تطوّر الشعر العربي في الأندلس

مع تركيز خاص على الموشح والزجل

أطروحة قدمتها

سودابي .ك. ب

لنيل شهادة الدكتوراه

في اللغة العربية وآدابها من جامعة كاليكوت

تحت إشراف

الأستاذ د/ ك.م. محمد

الرئيس السابق بقسم اللغة العربية

جامعة كاليكوت

كيرالا - الهند

٢٠٢٠م.

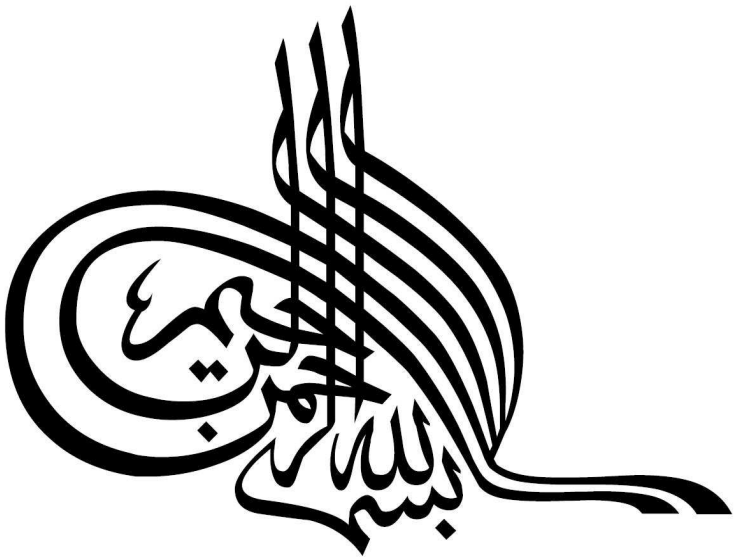
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أمي الحنون

وإلى أبي الودود

غفر الله لهما في الدارين

المحتويات

مقدمة ١

الباب الأول: تاريخ الأندلس الإسلامي ٩

الفصل الأول: أحوال الأندلس قبل الفتح الإسلامي..... ١٤

عهود الحكم الإسلامي في الأندلس..... ١٦

الفصل الثاني: فتح الأندلس الإسلامي ١٩

أسباب الفتح..... ٢٠

العوامل المساعدة للفتح ٢٢

مقدمات الفتح ٢٣

فكرة الفتح..... ٢٤

مراحل الفتح ٢٦

الفصل الثالث: دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس ٣١

قيام الدولة الأموية في الأندلس ٣٢

فراره إلى المغرب ٣٢

عبد الرحمن بن معاوية في المغرب ٣٤

عبد الرحمن بن معاوية في الأندلس..... ٣٥

موقعة المصارة..... ٣٧

الفصل الرابع: حضارة العرب في الأندلس..... ٤٠

الباب الثاني: الشعر العربي في الأندلس ٤٥

الفصل الأول: تطــورالشعـر الأندلســـي..... ٤٨

انتشار الشعر ٤٩

مراحل الشعر في الأندلس..... ٥٠

الفصل الثاني: فنـــون الشعـر الأندلســـي..... ٥٤
فنون الشعر الأندلسي التقليدية..... ٥٥
فنون الشعر الأندلسي الموسعة..... ٦٩
فنون الشعر الأندلسي المحدثة..... ٧٩
الفصل الثالث: خصائص الشعر الأندلسي..... ٨٢
الفصل الرابع: أبرز شعــراء الأندلــس..... ٨٥
عبد الرحمن الداخل..... ٨٥
حسّانة التميمية..... ٨٥
يحيى الغزال..... ٨٧
ابن عبد ربه..... ٨٧
ابن هانىء الأندلسي..... ٨٩
ابن درّاج القسطلي..... ٩٠
ولادة بنت المستكفى..... ٩٣
ابن زيدون..... ٩٤
ابن خفاجة..... ٩٨
الأعمى التطيلي..... ٩٩
الرمادي..... ١٠٢
ابن سهل..... ١٠٣

الباب الثالث: الموشحات الأندلسية..... ١٠٥
الفصل الأول: الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها..... ١٠٧
التعريف اللغوي..... ١٠٧
التعريف الاصطلاحي..... ١٠٧
سبب التسمية..... ١٠٨
نشأة الموشحات وتطورها..... ١٠٩

الفصل الثاني: أجزاء الموشحات ١١٣
الفصل الثالث: أوزان الموشحات ١٢٢
الفصل الرابع: أغراض الموشحات ١٢٦
الغزل ١٢٧
الخمريات ١٣٠
المدح ١٣١
وصف الطبيعة ١٣٣
الرثاء ١٣٥
الأغراض الدينية والصوفية ١٣٦
الهجاء ١٣٩
الفصل الخامس: الوشاحون في الأندلس ١٤٠
عبادة بن ماء السماء ١٤٠
عبادة القزاز ١٤٢
الأعمى التطيلي ١٤٣
ابن بقي ١٤٥
ابن زُهر الحفيد ١٤٦
أبو الحسن الششتري ١٤٧
ابن حزمون ١٤٨
ابن مالك السَرقُسطِي ١٤٩
نزهون الغرناطية ١٥٠
ابن سهل الإشبيلي ١٥٢
لسان الدين بن الخطيب ١٥٣
ابن زُمرُك ١٥٥

الباب الرابع: الأزجال الأندلسية ١٥٧
الفصل الأول: نشأة الزجل وتطوره ١٥٩
تعريف الزجل ١٥٩
نشأة الزجل ١٦٠
تطور الزجل.....١٦٣
الفصل الثاني: أغراض الزجل.....١٦٨
الغزل ١٦٨
المدح.....١٧٠
وصف الطبيعة ١٧١
الخمر ١٧٣
الهجاء.....١٧٤
الرثاء ١٧٦
الأغراض الدينية والصوفية ١٧٦
الفصل الثالث: أجزاء الزجل.....١٨٠
الفصل الرابع: الزجالون في الأندلس ١٨٣
يخلف بن راشد ١٨٣
ابن قزمان ١٨٤
مدغليس.....١٨٦
ابن غرلة.....١٨٨
أبو بكر الحصّار.....١٨٨
ابن صارم ١٨٩
الدبّاغ ١٩٠
ابن عربي.....١٩١
الشّشتري.....١٩٣
محمد بن عبد العظيم.....١٩٤

الباب الخامس: تأثير الموشحات والأزجال
في الشعر الغربي والعربي ١٩٧
الفصل الأول: العلاقة بين الموشح والزجل ٢٠١
الفصل الثاني: تأثير الموشحات والأزجال في الشعر الغربي ٢٠٤
تأثير الشعر الأندلسي في شعر التروبادور ٢٠٤
الشعر العربي في أوربا ٢٠٤
تأثير الموشحات والأزجال في شعر التروبادور ٢٠٦
الفصل الثالث: تأثير الموشحات والأزجال في الشعر العربي ٢٢١
الوشاحون في المشرق..... ٢٢٢
الزجل في المشرق..... ٢٣٣
الباب السادس: الموشحات والأزجال في العصر الحديث . ٢٣٥
الفصل الأول: الموشحات والأزجال في مصر..... ٢٣٨
الشعراء والموسيقيون الذين ساهموا في تطويرالموشحات
والأزجال في العصر الحديث ٢٣٩
الفصل الثاني: الموشحات والأزجال في سوريا..... ٢٤٧
من الوشاحين والزجالين في سوريا..... ٢٤٨
الفصل الثالث: الموشحات والأزجال في لبنان ٢٥١
أشهر الجوقات الزجلية في لبنان..... ٢٥٢
من أهمّ شعراء الزجل في لبنان..... ٢٥٦
الفصل الرابع: الموشحات والأزجال في شعراء المهجر ٢٥٨
خاتمة ٢٦٤
المصادر والمراجع..... ٢٦٨

مقدمة

بســــــــــم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على نبينا محمد العربي الكريم الذي قال إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

هذه الأطروحة: المعنونة **"تطور الشعر العربي في الأندلس مع تركيز خاص على الموشح والزجل"**. دراسة عن الشعر العربي الأندلسي عامة وعن الموشحات والأزجال خاصة. فهما فنان مستحدثان متشابهان أندلسيان خالصان. ظهرت الموشحات واللأزجال أوّلاً في البيئة الأندلسية. ثم اتسعت دائرة شهرتها في الأراضي المغربية والمشرقية ثم ازدهرت فيها وكثر فيها الوشاحون والزجالون في العصر القديم وفي العصر الحديث.

تعد الموشحات والأزجال ثورة جديدة في العالم الأدبي والشعري، استحدثها الأندلسيون رغبة منهم في التجديد والتحرر من نظم القصيدة التقليدية، وفنا ملائما لحياتهم الإجتماعية في تلك البلاد.

فإن الموشح يميز عن الشعر العربي في أمور عدة وذلك بالتزامه قوالب معينة من حيث التقفية واستعماله اللغة الدارجة والعجمية في خرجته وباتصاله بالغناء. ولايزال الشعراء والمطربون يلحنون ويتغنون به حتى اليوم سواء في المغرب أو المشرق .

أما الزجل فقد جاء بعد الموشح تقليدا له ولكنه يختلف عنه في اللغة وأحيانا في الشكل. فيُنظم الزجل بلغة مجردة من الإعراب وبكلمات من أصل محلي أو بربري. ولا يزال الزجالون إلى هذا اليوم ينظمونه ويتغنون به في المغرب والمشرق حتى عقدوا حفلات خاصة له.

لقد تأثر الشعر الأوروبي عامة والفرنسي خاصة بالأدب العربي من خلال الشعر الأندلسي في مضامينه وأشكاله. ويعد شعراء التروبادور في جنوب فرنسا من الأوائل الذين تأثروا بالموشحات والأزجال، ونظموا قصائدهم على منوالها.

تحليل العنوان

عنوان هذا البحث "تطوّر الشعر العربي في الأندلس مع تركيز خاص على الموشح والزجل".

تطوّر: مصدر لفعل تطوَّرَ معناه تحوّل من طور إلى طور أو من حال إلى حال تدريجيّا.

الشعر العربي: الشعر فن من فنون الأدب العربي الأول عند العرب. وقد برز هذا الفنّ في التاريخ الأدبي العربي منذ العصر الجاهلي، فكلمة الشعر مشتقة من كلمة شَعَرَ. ويقال شَعَرَ الرجُلُ أي قال شعرا، فيعرف الشعر على كلّ كلام موزون ومقفّى. والشعر العربي هو مجموعة الأعمال المكتوبة باللغة العربية نظما.

الأندَلس: هو اسم منطقة أطلقه المسلمون على شبه جزيرة أيبيريا عام ٧١١م بعدما دخلها العرب بقيادة طارق بن زياد وضمّوها للخلافة الأموّية. واستمر المسلمون فيها حتى سقوط مملكة غرناطة. وتقع في الجنوب الغربي من القارة الأوربية. يفصلها من الشمال عن جنوب فرنسا جبال البرت، ويفصلها من الجنوب عن افريقية مضيق جبل طارق.

مع تركيز خاص على : أي يتركز هذا البحث على الموشحات والأزجال.

الموشح: اسم مفعول مشتق من الوشاح وهو من حلي النساء، وهو نوع من الشعر العربي المستحدث ابتكره الأندلسيون خلال القرن الثالث الهجري، يختلف

عن الشعر العربي التقليدي. لأنّه لا يتقيّد فيه قافية واحدة. فالموشح عند ابن سناء المُلك كلام منظوم على وزن مخصوص.

الزجل: في اللغة هو الصوت بمعنى التطريب والغناء.وهو أيضا فن من فنون الشعر الأندلسي المستحدث. ظهر في الأندلس وازدهر على يد الشاعر ابن قزمان.

دوافع اختيار الموضوع

الأمور التالية هي التي دفعت الباحثة لاختيار هذا الموضوع وللخوض في دراسته.

- الاهتمام بالتراث الأندلسي الإسلامي عامة والشعر خاصة لأنّ بلاد الأندلس معروفة بالفردوس المفقودة.
- رغبة الباحثة على أن تعرف كثيرا عن الموشحات والأزجال الأندلسية.
- والتعرف على تأثيرها في الشعر العربي والغربي، خاصة في شعراء التروبادور.
- والتعرف على أشهر الوشاحين والزجالين في العصر الأندلسي وفي العصر الحديث. وتأثيرها في العصر الحديث نظما ولحنا وغناء بها.

أهمية البحث

وللموضوع أهمية بارزة لأنه يسلط الضوء على فن الموشحات والأزجال في بلاد الأندلس وفي بلاد المشرق. فهما من أجمل أشعار التراث العربي لرقتها وعذوبتها، وجمال كلماتها وإيقاعاتها الموسيقية. برغم من أنها إبتكار قديم فهي مستمرة، ولها مكانة مرموقة لدى الجمهور حتّى اليوم.

الدراسات السابقة

وجدت الباحثة بعض الدراسات والرسائل المتعلّقة بأطراف هذا البحث. ومنها:

١. الموشحات في بلاد الشام منذ نشأتها حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري - مقداد رحيم، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
٢. الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في الشعر التربادور - الدكتور محمد عباسة، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، الطبعة الأولى ٢٠١٢.
٣. الموشحات والأزجال وأثرها في الأدب الأوربي القديم: شعر التربادور أنموذجيا - رسالة الدكتوراه قدمتها الدكتورة نميش أسماء جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس عام ٢٠١٦.

مشكلة البحث

تعالج الباحثة في هذه الدراسة بعض المشاكل كالتالي:

- أحوال الأندلس قبل الفتح الإسلمي وبعدها
- مكانة الشعر العربي في الأندلس
- الموضوعات الشعرية التي عالجتها الأندلسيون وأشهر الشعراء في الأندلس.
- مفهوم الموشحات والأزجال.
- تطور الموشحات والأزجال في الأندلس وفي بلاد العربية والغربية
- أبرز الوشاحين والزجالين
- تأثير الموشحات والأزجال في شعراء التروبادور
- تأثير الموشحات والأزجال في الشعر في العصر الحديث

وعند حلول هذه المشاكل واجهت الباحثة جملة من الصعوبات. على رأسها غزارة المادة في الأبواب الأربعة وقلة المادة وندرتها في الأبواب الباقية.

منهج البحث

أما المنهج التي اتبعته الباحثة فكان مزيجا من المناهج المختلفة. هي المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي، بحسب ما اقتضته طبيعة الأبواب والفصول. قامت الباحثة بجمع المعلومات والكتب المتعلقة بالموضوع. وجمعت المعلومات من المكتبات المختلفة، ومن العلماء المكرمة في هذا الفن ومن الشبكات الإنترنت.

وراجعت كتبا قيمة من الجامعات والمكتبات في أنحاء ولاية كيرلا، وكذلك بجامعة أم القرى في مكة المكرمة.

خطة البحث

هذه الأطروحة مقسمة إلى ستة أبواب. والباب الأول حول تاريخ الأندلس الإسلامي، يحتوي هذا الباب أربعة فصول. والفصل الأول يشرح أحوال الأندلس قبل الفتح الإسلامي، والثاني يبين فتح الأندلس الإسلامي والفصل الثالث يشرح دخول عبد الرحمن بن معاوية في الأندلس والرابع يتناول عن حضارة العرب في الأندلس.

والباب الثاني يناقش الشعر العربي في الأندلس. هذا الباب يتضمن أربعة فصول. والفصل الأول يشرح تطور الشعر الأندلسي والثاني فنون الشعر الأندلسي والثالث خصائص الشعر الأندلسي والرابع أبرز الشعراء في الأندلس.

والباب الثالث يوضح الموشحات الأندلسية. قسمت الباحثة هذا الباب إلى خمسة فصول. فيتناول الفصل الأول الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها. والثاني

أجـزاء الموشـحات ويـنـاقش الفصـل الثالـث أوزان الموشـحات والفصـل الرابـع أغراض الموشحات والخامس يبين الوشاحين في الأندلس.

الباب الرابع يبين الأزجال الأندلسية في أربعة فصول. الفصل الأول نشأة الزجل وتطوره، تبين الباحثة فيه تعريف الزجل ونشأته ومخترعه وتطوره. ويناقش الفصل الثاني أغراض الزجل والثالث أجزاء الزجل. والفصل الرابع يعالج أشهر الزجالين الأندلسيين.

والباب الخامس حول تأثير الموشحات والأزجال في الشعر الغربي والعربي. فيه ثلاثة فصول يناقش الفصل الأول العلاقة بين الموشح والزجل. والفصل الثاني عن تأثير الموشحات والأزجال في الشعر الغربي والفصل الثالث يحدث عن تأثيرهما في الشعر العربي

والباب السادس يناقش الموشحات والأزجال في العصر الحديث. فيتناول الفصل الأول الموشح والزجل في مصر. والفصل الثاني يناقش الموشح والزجل في سوريا والثالث الموشح والزجل في لبنان، ويناقش الفصل الرابع والأخير الموشح والزجل في شعر المهجر.

كلمة الشكر والتقدير

الحمد والشكر لله رب العالمين الذي منّ علي بالصحة والعافية والوقت الكافية والبركات أذكرها بكل غبطة وسرور.

وأقدم جزيل الشكر والعرفان لمشرفي المحترم الأستاذ الدكتور ك. م محمد رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كاليكوت على إشرافه وإرشاداته القيمة لهذا البحث، وهو الذي ساعدني كثيرا على إتمام البحث باقتراحاته وتوجيهاته القيمة ودعمه اللازم خلال تنفيذ هذه الدراسة، فجزاه الله أحسن الجزاء وأدخله فسيح جناته.

وكذلك أعبر جزيل الشكر للدكتور عبد المجيد رئيس قسم اللغة العربية والدكتور أي. بي. محيي الدين كوتي رئيس قسم اللغة العربية سابقا والدكتور ن. أ. محمد عبد القادر رئيس قسم العربية سابقا والسيد عبد الشكور وأمين المكتبة نصر الدين. وكل من ساعدني لإتمام هذه الدراسة منذ البداية إلى النهاية. جزاهم الله خيرا وأحسن الجزاء.

وأخيرا أوجه كلمات الشكر والفضل والإحسان إلى والدي الودود وأمّي الحنون اللذين هداني إلى طريق العلم والحكمة، وشجعني بالدعاء والموعظة، وأدام الله لهما الصحة والعافية وأدخلهما في جناته النعيم مع جميع أعضاء الأسرة، وإلى الإخوة والأخوات خاصة إلى أختي حُسنة التي بذلت أوقاتها كثيرا لرعاية بنتي خلال بحثي، وإلى زوجي الذي ساعدني كثيرا، وابنتي عافية التي ضاعت أيامها من هذه الطفولة بدون حنان أمها ومقربتها معها باشتغالي بالدراسة.

وأسأل الله التوفيق وإليه أنيب.

الباب الأول

تاريخ الأندلس الإسلامي

الفصل الأول : أحوال الأندلس قبل الفتح الإسلامي

الفصل الثاني : فتح الأندلس الإسلامي

الفصل الثالث : دخول عبد الرحمن بن معاوية في الأندلس

الفصل الرابع : حضارة العرب في الأندلس

الباب الأول

تاريخ الأندلس الإسلامي

الأندلس هو الإسم الذي أطلقه المسلمون على شبه جزيرة أيبيريا عام ٧١١م بعد أن دخلها المسلمون بقيادة طارق بن زياد وضمّوها للخلافة الأموية واستمر وجود المسلمين فيها حتى سقوط مملكة غرناطة عام ١٤٩٢م.

إن الباحثين المحدثين من العرب يرون أن اسم الأندلس أخذه العرب من كلمة vandalos وهو "الوندال" وأن كتابتها بالجرمانية wandal وجمعها wandalos وأن الحرف الأول منها وهو "w" وينطق بما يشبه الواو في اللغة العربية فيكون نطق هذا الجمع بالعربية وندلس[١].

تقع شبه جزيرة الأيبيرية (الأندلس) في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية، تفصلها من الشمال، عن جنوب فرنسا جبال البُرت أو البرتات وتعرف بالإسبانية[٢] حيث تتصل الأندلس بالأرض الكبيرة. يفصلها من الجنوب – حدودا للقارة الأوربية، عن افريقية – مضيق جبل طارق الذي يبلغ عرضه من الشرق إلى الغرب ١٣- ٣٧ كم[٣]، وطوله حوالي ٨٠ كم، فهو إذن ذراع ضيّق من الماء يمكن في يوم صحو رؤية الشاطئ المغربي من الشاطئ الأسباني وبالعكس، وبهذا تكون مسافة المضيق التي تفصل المغرب عن الأندلس مسافة ضيقة لا وزن لها من ناحية الإنتشار العسكري أو الثقافي والإقتصادي. ومن هنا نشأ صراع تقليدي مستمر بين الشاطئين الأفريقي والأوروبي حول السيطرة على

---

١ - الدكتور طاهر أحمد مكي- دراسات أندلسية، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٨٧، ص٩.

٢ - تسمى هذا الجبال أحيانا البرانس. الظاهر أنها تسمية خاطئة لأن جبال البرانس تقع شمال قرطبة وتعرف أيضا بجبال المعدن.

٣ - د.عبد الرحمن علي الحجي - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلمي حتّى سقوط عرناطة، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١، ص٣٥.

هذه المنطقة المحيطة بالمضيق والمعروفة باسم العدوتين، عدوة المغرب وعدوة الأندلس، والعدوة معناها الجانب أو الشاطئ[٤].

تقع على المضيق بعض مدن المغرب الأقصى في الشمال الأفريقي. ويصل المضيق بين شبه الجزيرة الأيبيرية والمغرب الأقصى - وما بعده – برّا، كما يصل بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط بحرا[٥].

تقع سواحلها الشمالية والشمالية الغربية على المحيط الأطلسي عند خليج بستاية Biscay الذي تقع عليه مدينة خيخون Cijon وتقع على سواحلها الغربية على المحيط الأطلسي، (بحر الظلمات) وتقع شواطؤها الشرقية والجنوبية الشرقية على البحر المتوسط[٦].

مصطلح الأندلس

أصل مصطلح الأندلس مأخوذ من قبائل الوندال vandals التي تعود إلى أصل جرماني. احتلت شبه الجزيرة الأيبيرية حوالي القرن الثالث والرابع وحتى الخامس الميلادي، وسميت باسمها فاندلسيا vandalusia أي بلاد الوندال. ثم نطقت بالعربية "الأندلس". أما مدلول هذا المصطلح فقد أطلقه المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون أحيانا على كل شبه الجزيرة الإيبيرية، والتي يسمونها أيضا الجزيرة الأندلسية. ثم استعمل للدلالة على كل المناطق التي سكنها المسلمون وحكموها من شبه الجزيرة الإيبيرية[٧].

حدود الأندلس أيام الخلافة الأندلسية تشمل كل البرتغال تقريبا وأكثر أسبانيا الحالية، كانت الأندلس تمتد جنوب الخط الإفتراضي الذي يصل بين نهر دُويرُه

---

٤ - د.علي حسين الشطشاط – تاريخ الإسلام في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠١، ص١٦.
٥ - المصدر السابق، ص- ١٦.
٦ - د.علي حسين الشطشاط – تاريخ الإسلام في الأندلس، ص١٧.
٧ - د.عبد الرحمن علي الحجي - التاريخ الأندلسي، ص- ٣٧.

(Duero) في الغرب حتى برشلونة Barcelon في الشرق، مع ارتفاع إلى الأعلى في الوسط. يفصل هذا الخط بين إسبانيا النصرانية في الشمال وبين الأندلس (إسبانيا الإسلامية) في جنوبه.

الأندلس يقصد به أيضا المنطقة الإسلامية التي شمولها الإسلام سلطانا وسكانا، من شبه الجزيرة الأيبيرية، وعلى الأغلب في شمولها أيام الخلافة الأندلسية أو شاملة لكل شبه الجزيرة. تطلق اليوم كلمة أندلُسيا بالإسبانية على المنطقة الجنوبية من إسبانيا وهو اصطلاح إداري لا يمثل المعنى التاريخي المبيّن لمصطلح الأندلس[٨].

بعض أسماء الأمكنة والمدن في شبه الجزيرة الإيبيرية ذات أصل أندلسي منقول إلى الإسبانية أو إسباني نقل إلى العربية. فعدد من الأسماء يتسم بطابعه الأندلسي، وكل اسم في الإسبانية حاليا مسبوق بالتعريف دليل على أندلسيته أو تأثره.

كانت ولا زالت تقوم في إسبانيا مدن وقواعد أندلسية. بعضها كبرى تحتفظ بآثار العمران الأندلسية مثل قرطبة وإشبيلية وغرناطة وطُليطلة ومالقة وغيرها.

فاسم الأندلس كان مرتبطا بالدولة الإسلامية وحدها مهما كان امتدادها يتسع بإتساعها ويضيق بانحسارها، ولم يذهب هذا الاسم بنهاية دولة الإسلام في الأندلس. فإنه لا يزال مستعملا للمعنى القديم كلما ذكرت الأندلس أو ذكر علم من أعلامها أو فن من فنونها أو أثر من آثارها أو أي شيئ له صلة بها[٩].

٨- المصدر السابق، ص- ٣٧

٩- د.محمد رضوان الداية - في الأدب الأندلسي، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٠، ص١٨.

الفصل الأول

أحوال الأندلس قبل الفتح الإسلامي

كانت شبه الجزيرة الإيبيرية Iberian Penisula (إسبانيا والبرتغال) قبل الفتح الإسلامي تحت حكم القوط الغربيين (Visigoth). وقد بدأ احتلال القوط لها في أوائل القرن الخامس الميلادي، بعد طردهم للوندال[١٠] (Vandals) الذين اتجهوا بعد ذلك احتلال الشمال الأفريقي وطردوا منها على يد الرومان سنة ٥٣٤م. احتل الوندال إبارية منذ القرن الثالث الميلادي وحتى الخامس.

اتخذ القوط "طليطلة" عاصمة لملكهم وتأثروا بالحضارة والأنظمة الرومانية في قوانينهم ونظمهم، واعتنقوا المسيحية، وظلوا يحكمون الأندلس إلى أن قدم المسلمون وتغلبوا عليهم سنة ٩٢هـ ٧١١م، وقد ساد البلاد خلال حكمهم وضع شاذّ من الناحية الإجتماعية والإقتصادية والدينية والسياسية، حيث كان المجتمع مقسما إلى طبقات يتحكم بعضها في الآخر بعنف وقسوة.

استبد القوط (coths) بالحكم لاسيما قبيل الفتح الإسلامي، وبسوء سياستهم وحكمهم ساءت حال أسبانيا واضطربت حياة سكانها. فانتشرت الفوضى وأصبحت غالبية الشعب تعيش عيشة ضنكة لسوء الأحوال المعيشية ولسياسية الاستغلال. فكان الشعب يُستغل لحساب طبقة الشعب المقهور والحاكمين، وفيما بين الحاكمين أنفسهم. وكان الشعب الأسباني مثل غيره من الشعوب الأوربية مقسما إلى طبقات عديدة هُضمت حقوقها مع وجود الفوارق الطبقية. ولأسرة المالكة بيدها كل شيء دون سواد الشعب الذي يُلاقي الإهمال والظلم فتفرض عليه الضرائب والتكاليف الباهظة. وقد انقسم الشعب إلى طبقات تالية:

---

١٠ الوندال – إحدى جماعات المتبربرين من الجرمان.

طبقة النبلاء : ومنها الطبقة الحاكمة وكان التنافس على أشده بين هذه الطبقة للوصول إلى العرش، بالرغم من أن الملك كان ينتخب انتخابا، وهم من سلالة القوط الفاتحين التي استولت على أكثر الأراضي الزراعية الخصبة.

طبقة رجال الكنيسة (رجال الدين) : وهي طبقة تشارك النبلاء في حكم البلاد والإستمتاع بخيراتها، وكان نفوذهم غير محدود.

الطبقة الوسطى : وهي طبقة التجّار والزراع والملاّك الصغار الذين يتحملون الضرائب المختلفة، فكانت حالتهم سيئة.

الطبقة الدنيا : وهي طبقة عبيد الأرض الذين يتبعون مالكها وينتقلون مع مالكيتها من سيد إلى آخر، ولم تكن لهم حقوق.

طبقة العبيد Slaves : وهذه الطبقة تكونت من أسرى الحرب، ويتصرف فيهم بيعا وشراء، ولم تعط لهم ولا لعبيد الأرض الحقوق التي يستحقونها ولم ينالوا خيرا.

طبقة اليهود : وبالإضافة إلى الطبقات السابقة المسيحية هناك طبقة أخرى تختلف من ناحية الدّين، وهم اليهود الذين بلغوا عددا كبيرا في أسبانيا، بسطوا نفوذهم في المجال الإقتصادي، ولكنهم عانوا كثيرا من عسف الملوك والكهنة والنبلاء، وذاقوا شتى ألوان الجور والإضطهاد. ودفعهم ذلك إلى التآمر وتدبير ثورة على الحكم القائم ولكن مؤامراتهم اكتشفت قبل القيام بها عام ٦٩٤م عهد الملك "اجيكا" الذي وافقه الأحبار في طليطلة على معاملتهم معاملة قاسية فنكّل بهم وصادر أملاكهم، وقضى على من بقي منهم بالرق الأبدي للنصارى، ووزعهم شيبا وشبابا وذكوراً وإناثاً على المسيحيين. فأما الشيوخ فقد سمح لهم بالبقاء على دينهم القديم، وأما الشبان والأطفال فقد أُقنوا العقيدة المسيحية ونشئوا عليها فصار لايتزوج عبد يهودي إلا بجارية نصرانية، ولا تتزوج يهودية إلا

بنصراني[١١]. وهكذا عصفت يد البطش والمطاردة باليهود أيما عصف، فكانوا قبيل الفتح الإسلامي ضحية ظلم لا يطاق، وكانوا كباقي طوائف الشعب المهيضة يتوقون إلى الخلاص من هذا النير الجائر، وإلى جانب هذا الوضع الإجتماعي والإقتصادي الظالم كان الوضع السياسي مملوءاً بالإضطرابات والإنقلابات السياسية[١٢].

وفي بداية القرن الثامن الميلادي كان على عرش الأندلس الملك وتيزا (Wittiza)، والروايات الأسبانية تختلف في أمره فيصفه البعض بحسن السحرة وبالحكمة وبالعمل على ردّ المظالم وإقامة العدل، بينما يصفه آخرون بالجور والظلم والبغي على كل من يخالفه أو يقف في سبيل أطماعه. وقد تمكن غيطشه من القضاء على الثورات التي قامت ضده جميعا، ماعدا الثورات التي تزعمها ردريك (Rodrigo) الذي انضم إليه رجال الدين والأشراف وأعلن نفسه ملكا وتمكن من القضاء على وتيزا بعد خوض حرب أهلية عنيفة. وذلك حوالي سنة ٧١٠م. وهنا تختلف الرواية فيقال إن وتيزا قتل في هذا النضال وخلص الملك لمنافسه. وفي رواية أخرى أن ردريك ظفر به وسمل عينيه انتقاما لأبيه. ويقال أيضا إنه ارتد إلى احدى الولايات الشمالية وامتنع بها حتى وفاته. ويختلف المؤرخون كذلك في تاريخ ولاية ردريك الملك. فيقول البعض، ومنهم ردريك الطليطلي، إنه تولى سنة ٧١١م، وحكم مع وتيزا قسما من أسبانيا، وإنه لما توفي وتيزا في سنة ٧١٣م استأثر بالحكم مدى عام آخر حتى فتح أسبانيا[١٣].

عهود الحكم الإسلامي في الأندلس :

استقر حكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية ثمانية قرون منذ فتحها سنة

---

١١ - محمد عبد الله عنان – دولة الإسلام في الأندلس، القسم الأول ، مكتبة الخانجي بالقاهرة- الطبعة الرابعة ١٩٩٧، ص: ٣٢.

١٢- د.علي حسين الشطشاط - تاريخ الإسلام في الأندلس، ص١٩-٢٠.

١٣- محمد عبد الله عنان – دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص: ٣٣- ٣٤.

٩٢هـ/٧١١م إلى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ /١٤٩٢م. وقد مرت الأندلس في هذه القرون بعدة عهود، تقلّبت خلالها بين الضعف والقوة، وبين النصر والهزيمة. وكان لكل عهد منها طابع مميز، وهي كالآتي:

١. عهد فتح الإسلامي للأندلس: استمر حوالي أربع سنوات، ٩٢- ٩٥هـ/ ٧١١- ٧١٤م.
٢. عهد الولاة: ٩٥ – ١٣٨هـ/ ٧١٤ – ٧٥٥م، استمر حوالي ٤٢ سنة. وحكم الأندلس في هذا العهد عشرون واليا تقريبا الذين كانوا تابعين للخلافة في دمشق مباشرة، أو بواسطة ولاية الشمال الإفريقي. ويعتبر بعض المؤرخين أن مدة الفتح داخلة في هذا العهد.
٣. عهد الإمارة الأموية: ١٣٨ – ٣١٦هـ / ٧٥٥ – ٩٢٩م. يبدأ هذا العهد منذ مجيء عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وتأسيسه إمارة مستقلة عن الخلافة العباسية التي استمرت ١٧١ سنة، وينتهي بإعلان الخلافة من قبل الأمير عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٦هـ / ٩٢٩م.
٤. عهد الخلافة: ٣١٦ – ٤٠٠هـ / ٩٢٩ – ١٠٠٩م. يبدأ هذا العهد منذ إعلان الخلافة حتى وفاة الحكم المستنصر بالله عام ٣٦٦هـ / ٩٧٦م، أو حتى الدولة العامرية في نهاية القرن الرابع الهجري. فاستمر هذا العهد حوالي قرن.
٥. عهد الطوائف: ٤٠٠ – ٤٨٤هـ / ١٠٠٩- ١٠٩١م. وهو عهد دول أو ملوك الطوائف، الذي سبقته أعوام من الفوضى والانقسامات الداخلية، واستمر هذا العهد حوالي ستين عاما، وينتهي بدخول الأندلس سلطان المرابطين.
٦. عهد المرابطين والموحدين: ٤٨٤ – ٦٢٠هـ / ١٠٩١ – ١٢٢٣م، حيث دخلت الأندلس أولا في دولة المرابطين، التي تنتهي في حوالي ٥٢٠هـ / ١١٣٤م، أي أقل من نصف قرن. وبعد مدة ظهرت في

الأندلس قوة جديدة، تمكنت من القضاء على المرابطين، وهم الموحدون، وينتهي في حوالي سنة ٦٢٠هـ.

٧. إمارة غرناطة: ٦٢٠ – ٨٩٧هـ / ١٢٢٣ – ١٤٩٢م، هي عصر دولة بني الأحمر في غرناطة. استمرت هذه الدولة ما يزيد عن قرنين ونصف، حتى نهاية القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي. يمثل سقوطها نهاية الحكم الإسلامي للأندلس، وذهاب سلطان المسلمين السياسي منها، وتبقى ملايين عديدة من المسلمين عشرات السنين، تحملوا خلالها الكثير من الاضطهاد وعمليات الإفناء التي أتت عليهم قتلا وتشريدا. وكادت تأتي على كل ما خلّفه المسلمون من إنتاج إنساني رفيع شمَل مختلف الميادين. وهؤلاء عرفوا في التاريخ باسم الموريسيكيين.

الفصل الثاني

فتح الأندلس الإسلامي

بعد أن تولى ردريك الملك لم يقض على الإضطراب السياسي في الأندلس مما حمله على قمع الثورات التي قامت ضده، وخاصة في الشمال، إلا المؤامرات التي كان يديرها أبناء الملك "غيطشه" في سرّ وكتمان. وبينما كانت الأندلس تعيش في هذا الوضع المضطرب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، يضيق معظم سكانها بالذل والهوان الذي يلقونه من حكامهم. فهم يعملون ولكن لا ينالون من نتيجة عملهم شيئا، ولا يعرفون للحرية طعما ولا للكرامة الإنسانية مذاقا. يعيش السكان على الشاطئ الأفريقي المقابل في حرية وعزة وكرامة في ظل الهداية الإسلامية والتي ارتفعت راياتها على أرض يسودها الإخاء والمحبة والعدل الإجتماعي الذي سوّى بين البربري والعربي. ويرنون بأبصارهم إلى الأندلس هادفين إلى نشر الدعوة الإسلامية، وإقامة مشاعلها التي ستنقذه مما تردى وتجعله المنبع لبعث الحضارة الأوربية الحديثة[١٤].

في الوقت الذي كانت شبه الجزيرة الأسبانية تجوز فيه هذه الحوادث والأزمات الخطيرة. كان العرب قد أتموا فتح المغرب الأقصى، واستولوا على ثغر طنجة وأشرفوا على شواطئ الأندلس من الضفة الأخرى من البحر. ولم يبق لإتمام فتح أفريقية سوى ثغر سبتة الذي يقع مقابل طنجة في الطرف الآخر من اللسان المغربي. وكانت سبتة قد استطاعت لمنعتها وسهر حاكمها "الكونت يوليان"(Julian, Count of Ceuta) أن تحبط كل محاولة لأخذها. وكان موسى بن نصير يتُوق إلى افتتاح هذا الثغر المنبع وتطهير إفريقية من البقية الباقية من العدو. وبينما هو يرقب الفرص لتحقيق هذه الأمنية، جاءته رسالة من يوليان نفسه يعرض فيها تسليم معقله، ويدعوه إلى فتح أسبانيا. وجرت بينهما المفاوضة

١٤- د.محمد محمد زيتون – المسلمون في المغرب والأندلس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٠،ص١٥٢- ١٥٣.

في هذا المشروع الخطير. وإن يوليان استدعى موسى إلى سبتة، وهنالك وقعت المفاوضة بينهما. فقد استجاب موسى لدعوة يوليان، واهتم بمشروعه أعظم اهتمام وكان قد وقف على أحوال أسبانيا وخصبها وغِناها، واستطاع أن يقدر أهمية مثل هذا الفتح وجليل مغانمه ومزاياه. فلما علم من يوليان وحلفائه ما تعانيه أسبانيا من الخلاف والشقاق وما يسودها من الإنحلال والضعف. ورأى مما يعرضه يوليان من تسليم سبتة وباقي معاقله وتقديم سفنه لنقل المسلمين في البحر ومعاونته بجنده وإرشاده[١٥].

أسباب الفتح :

اختلف المؤرخون حول الأسباب التي دفعت المسلمين لفتح الأندلس، ومن أهمها[١٦] :

قوة المسلمين ومجدهم: ومن أهم أسباب فتح الأندلس هو وصول المسلمين إلى أوج مجدهم وقوتهم، فقد وصلت جيوشهم إلى أقصى بلاد الشرق كما وصلت إلى أقصى بلاد المغرب. ونالوا من الإنتصارات خلال نصف قرن من الزمن، وقد أذهل العالم آنذاك وتركه عاجزا عن الدفاع عن نفسه أمام تلك الفتوحات العربية القوية، فمن الطبيعي أن يكونوا قد فكروا بعد وصولهم إلى المضيق الفاصل بين إفريقية وأوربا، أن يجتازوا ذلك المضيق وينساحوا في تلك البلاد والتي كانوا يسمعون عن غناها وخصوبتها.

الأحوال الداخلية في أسبانيا: كانت الأحوال الداخلية في أسبانيا مضطربة، وقام بكثير من الخلافات والصراعات على الحكم، لقد شجع العرب على التفكير في مشروعهم ما كانوا يسمعونها عن الأحوال الداخلية في أسبانيا، وعن التنازع على الحكم وخاصة الانقلاب الأخير الذي قام به القائد ردريك على الملك الشرعي غيطشه، وما كان في نفوس أولاد الملك المخلوع من رغبة في الإنتقام

١٥- محمد عبد الله عنان – دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص: ٣٩.
١٦- د.علي حسين الشطشاط - تاريخ الإسلام في الأندلس، ص: ٢٣- ٢٦.

ممن اغتصب عرش والدهم. ولذا كان هذا الوقت مناسب تماما لشن الغارات على بلاد الأندلس.

تعاون الكونت يوليان مع العرب: إن يوليان حاكم سبتة كان على خلاف مع الملك الجديد ردريك، وأنه كان لا يزال يضمر الطاعة والإحترام للملك السابق غيطشه الذي اغتصب ردريك منه العرش، وأنه كان يعتبر أن السلطة الشعبية لا زالت في بيت الملك ذاك، وأن ردريك لم يكن يملك شيئا من الشرعية في تسلّمه مقاليد الحكم، بل لم يكن سوى مغتصب له. ولذلك حاول يوليان بالاتفاق مع أولاد غيطشه على إقناع المسلمين لفتح الأندلس. هكذا أرسل أولاد غيطشه إلى يوليان رسالة بطلب المساعدة منه لاسترجاع العرش، حيث ذهبوا إلى طارق بن زياد، وطلبوا منه إمدادهم بجيش لفتح البلاد مقابل جزية يدفعونها للمسلمين.

يرى البعض: أن ذلك راجع إلى أخلاقية تتعلق باغتصاب الملك لذريق لفلورندا (Florinda) إبنة يوليان مما أثار حفيظة أبيها ودعاه إلى أن يستدعى المسلمين من الغرب، ويحثهم على فتح الأندلس انتقاما من لذريق.

وفي رواية أخرى التي تَرويها المصادر الأسبانية، أن الملك القوطي السابق غيطشه وقله (Akhila) لما عُزل من ملكه ذهب أنصاره إلى حليفه يوليان طالبين مساعدته، فقادم يوليان بدوره إلى موسى بن نصير بالقيروان حيث تم الإتفاق على أن يمدهم موسى بجيش من عنده ليرد إلى ملكهم المعزول عرشه في مقابل جزية سنوية يؤديها للعرب

ويذكر المقّري أن حديث يوليان إلى موسى بن نصير عن بلاد الأندلس وحسنها وفضلها، وما جمعت من أشتات منافعها وأنواع مرافقها، وطيب مزارعها ووفرة ثمارها، وكثرة مياهها وعذوبتها مع ضعف أهلها وقلة بأسهم شوّق موسى بن

نصير إلى فتح الأندلس، وكأن الأطماع الإقليمية والغنائم هي التي دفعت المسلمين إلى الفتح[١٧].

الحروب التي كانت جارية على سواحل المغرب: إن الحرب كانت مستمرة بين المسلمين والبيزنطيين الذين يهاجمون الشواطىء الأفريقية مثل جُزر البليار ومنورقة، وميورقة ويابسة وصقلية وسردنية، وأن أسطول القوط انضم إلى أسطول الروم في مراقبة سواحل أفريقية، فتم الإستيلاء على جزائر منورقة وميورقة ويابسة، وبعد هذا الاستيلاء السريع توجه المسلمون لفتح الأندلس، إنما هو مواصلة لهذه الحرب التي كانت دائرة بينهما.

وربما تكون هذه أسبابا مباشرة حدثت قريبا من زمن الفتح، فظنّ البعض أنها هي التي حملت المسلمين على فتح الأندلس، ولكن الحقيقة أن امتداد الفتح إلى الأندلس كان أمرا طبيعيا يتمشى مع حقيقة الدعوة الإسلامية وطبيعة القائمين بها، وقد تم ذلك بعد أن تهيأت الظروف والوقت الملائم.[١٨]

العوامل المساعدة للفتح :

وقد ساعد المسلمين على تحقيق فتح الأندلس أمور كثيرة منها[١٩]:

١. استقرار أقدام المسلمين في أفريقية واعتناق البربر للإسلام، وحماستهم لحمل دعوته وبذلهم أرواحهم بسخاء في سبيل ذلك، وحبهم للجهاد في سبيل دعوة الإسلام مثل ما للعرب المسلمين.
٢. اليقظة والحذر اللذان اتصف بهما المسلمون بمحاولة التعرف على حال البلاد عمليا بتوجيه بعض الحملات الخفيفة السريعة، التي تعرف بها طبيعة البلاد وحالة أهلها وتعطى المسلمين جريئة على مواجهة عدوهم.

---

١٧ - المقري التلمساني – نفح الطيب، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، المجلد الأول. ص٢٣٧.

١٨ - د.علي حسين الشطشاط – تاريخ الإسلام في الأندلس، ص٢٦.

١٩ - د. محمد محمد زيتون – المسلمون في المغرب والأندلس، ص١٥٧.

٣. تعريف مقر الخلافة بخطة الفتح وإحاطتها علما بمجريات الأمور لتكون على أهبة المعاونة وإرسال المدد إذا لم تنجح خطة الفتح، وذلك يعطى للحملة صفة الشرعية المستمدة من الخلافة الساهرة على حماية الإسلام وتعاليمه وتبليغها للعاملين.

٤. بذل المسلمين جهدهم لإنشاء دار صناعة للسفن (ترسانة بحرية) وأسطول بحري في الشمال الأفريقي ابتدأه حسان بن النعمان، وواصل موسى بن نصير التوسع في تكوين الأسطول. ففي هذا الخصوص يقول المقري: " فقد أخذ في عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثيرة "[٢٠].

٥. حالة بلاد الأندلس من اضطراب من الناحية السياسية واغتصاب للعرش، وفروق شاسعة بين الطبقات في الناحية الإجتماعية ثم الظلم الصارخ في توزيع الثروات مما يفقد غالبية الشعب روح الدفاع عن البلاد عند المهاجمة.

٦. المساعدات من يوليان ورجاله للمسلمين، حيث كان يدلهم على العورات ويتجسس لهم الأخبار.

كل ذلك وغيره من الأمور الكثيرة التي ساعدت على الفتح الإسلامي للأندلس.

مقدمات الفتح :

كان الفتح الإسلامي لشبه جزيرة الإيبيريا أمرا طبيعيا، حسب الخطة التي اتخذها المسلمون أثناء فتوحاتهم وهي تأمين حدودهم ونشر دعوتهم. وذلك بالمضي في جهادهم إلى ما وراء تلك الحدود، لنشر العقيدة الإسلامية التي تقتضي أن يستمر المدّ الإسلامي ما دامت فيه القوة على الإستمرار. ولمّا وصل تيار الفتح إلى شمال إفريقية كان المدّ الإسلامي المكين يحمل عناصر القوة

٢٠ - المقري – نفح الطيب، ج -٢، ص – ٢٤١.

الذاتية الأصلية. ومن هنا ما كان منتظرا من هذه القوة الجديدة التي دفعت بالقائمين بها والعاملين فيها إلى الإستمرار أن تقف عند شواطىء إفريقية الشمالية الغربية. فكان طبيعيا ومتوقّعا عبور هذا المد إلى أسبانيا عبر المضيق المجاز أو الزقاق[٢١].

بعد أن أرسى موسى بن نصير ومن معه جذور الإسلام بجهودهم في الشمال الإفريقي كانت خطوتهم التالية الطبيعية هي فتح الأندلس. وقد اتبع موسى خطة سليمة أكمل بها جهود من سبقه من الجند الدعاة قادة وجيشا في ترسيخ قدم الإسلام في المغرب الكبير. وأدرك أن تعميق الإسلام وإقراره يتطلب تثبيته في النفوس ليحافظ عليه ذاتيا وكيما تحيط قلوب الناس هذا الدين الجديد، وتلك أصالة وأسلوب واضح ثابت، تقيمه طبيعة الدين ولا ترضى غيره بديلا. لذلك جهّز موسى جيشا من نوع جديد يحمل العلم والمعرفة الإسلامية، لترسيخ وتفقيه المغاربة هذا الدين. مثل هذه الخطوة لها اعتبارها دوما وهي متبعة في كل الظروف. وأمكن بهذا لا أن يرسخ الإسلام في قلوبهم فحسبُ بل غدوا يتحمسون لنشره في الخارج، حتى كانت أكثرية جيش طارق إلى الجزيرة الإيبيرية من المسلمين البربر، الذين تحمسوا لهذه العقيدة حبّا لها وتضحية من أجلها طمعا في مغنم أو حرصا على جاه[٢٢].

فكرة الفتح :

إن فكرة فتح الجزيرة الإيبيرية هي فكرة إسلامية تماما، بل يروي أنها فكرة قديمة تمتد إلى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان(ر). فقد كان القائد عقبة بن نافع الفِهري[٢٣] (٦٣هـ - ٦٨٢م) يفكر في اجتياز المضيق إلى أسبانيا لو

٢١- عبد الرحمن الحجي – التاريخ الأندلسي ، ص٤٣.

٢٢ - د.علي حسين الشطشاط – تاريخ الإسلام في الأندلس، ص٢٩، التاريخ الأندلسي ، ص-٤٣-٤٤.

٢٣- عقبة بن نافع الفهري القرشي هو قائد من أبرز قادة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في صدر الإسلام، لقب بفاتح أفريقية.

استطاع[٢٤]. وسبق للمسلمين نشاط على شواطىء إسبانيا الشرقية وبعض الجزائر الشرقية القريبة منها وهي ميورقة (Mallorca) ومنورقة (Menorca) واليابسة(Ibeza). ويذكر الذهبي أنه في سنة ٨٩هـ (٧٠٧م)، جهز موسى بن نصير ولده عبد الله. فافتتح جزيرتي ميورقة ومنورقة[٢٥].

أما الإتصال بيوليان أو بغيره من الإسبان فإنها جاءت مواتية على ما يبدو، في الوقت الذي كان موسى بن نصير يفكر في تنفيذ فكرة الفتح.

بدأ موسى استشارته للخلافة في دمشق الوليد بن عبد الملك قبل اتصاله بيوليان، أو اتصال يوليان بموسى. وقد ترددت الخلافة بادئ الأمر بالقيام بمثل هذا العمل الكبير، خوفا على المسلمين من المخاطرة في مفاوز أو إيقاعهم في مهالك. لكن موسى أقنع الخليفة الوليد بالأمر. ثم تم الإتفاق على أن يسبق الفتح اختبار المكان بالسرايا أو الحملات الإستطلاعية.

وأرسل موسى في رمضان سنة ٩١هـ/ ٧١٠م سرية استكشافية إلى جنوب أسبانيا مكونة من خمس مائة جندي، منهم مائة فارس بقيادة طريف بن مالك، وهو مسلم من البربر. وجاز هذا الجيش الزقاق (المضيق) من سبتة بسفن يوليان أو غيره. ونزل قربَ جزيرة بالوما في الجانب الإسباني. وعرفت هذه الجزيرة فيما بعد باسم هذا القائد جزيرة طريف Tarifa. عادت حملة طريف بالأخبار المطمئنة والمشجعة على الإستمرار في عملية الفتح[٢٦].

وفي ذلك ينقل المقري وغيره نصوصا موضحة: " فكتب موسى بن نصير إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك يخبره بالذي دعاه إليه يوليان من أمر الأندلس، ويستأذنه في اقتحامها. فكتب إليه الوليد أن خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها، ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال، فراجعه أنه ليس ببحر زخار، إنما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه، فكتب إليه: وإن كان فلا بدّ

٢٤- د. حسين مؤنس- فجر الأندلس، دار المناهل، بيروت، لبنان ٢٠٠٢، ص٥٤.
٢٥ - المقري - نفح الطيب ، ج-١، ص- ٢٧٩.
٢٦- محمد عبد الله عنان – دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص٤٠.

من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه. فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من البرابرة اسمه طريف يكْنى أبا زرعة في أربع مائة رجل معه مائة فرس. سار بهم في أربعة مراكب، فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الأندلس المعروفة بالخضراء، التي هي اليوم معبر سفائنهم ودار صناعتهم. ويقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها"[٢٧].

مراحل الفتح :

١. عبور طارق بن زياد بقواته إلى الأندلس

اطمأن موسى بن نصير إلى النتائج التي حققتها الحملة الإستطلاعية بقيادة طريف، وزادت رغبته في الفتح واشتد عزمه على السير في هذه المغامرة، فجهز جيشا من سبعة آلاف جندي من المسلمين البربر وليس فيهم من المسلمين العرب إلا العدد القليل. وأمر عليهم قائدا من قواده المشهورين بحسن القيادة وقوة الإخلاص، هو مولاه طارق بن زياد وهو أيضا من البربر من قبيلة نفزة.

عبر طارق بن زياد بجيشه من سبتة إلى الطرف الإسباني، في الخامس من شهر رجب سنة ٩٢هـ / ٧١١م في السفن الأربعة ليوليان التي وضعها لخدمة المسلمين.

وبعد العبور تجمع الجيش الإسلامي عند جبل كالبى (Calpe) الذي عرف فيما بعد باسم "جبل طارق" (Gibraltar)، وأقام طارق بتلك المنطقة عدة أيام ، بنى خلالها سورا أحاط بجيوشه سماه سور العرب، وأقام قاعدة حربية بجوار الجبل على الساحل لحماية الجيش من الخلف في حالة الانسحاب، في موضع يقابل الجزيرة الخضراء. ولم يمض وقت طويل حتى اشتبك جيش طارق مع قوات القوط في عدة معارك بالقرب من الجزيرة الخضراء، وانتصر فيها المسلمون. يقول الرازي – من كبار المؤرخين الأندلسيين - لما بلغ لذريق خبر طارق ومن

٢٧- عبد الرحمن الحجي – التاريخ الأندلسي، ص: ٤٦.

معه بعث إليهم الجيوش، جيشا بعد جيش، وكان قد قود على أحدهم ابن أخته يسمى "ينج"، وكان أكبر رجاله. فكانوا عند كل لقاء يهزمون ويقتلون، وقتل ينج وهُزم عسكره فقوي المسلمون وركب الرجّالة الخيل وانتشروا بناحيتهم التي جازوا بها.

٢. معركة وادي بَرباط أو وادي لكّه

بينما كان ردريك مشغولا بقمع بعض الثورات في بنبلونة في الشمال، جاءه الخبر بمجيء الجيوش الإسلامية وانتصارهم على قوته في عدة معارك، وبدأ يتجهّز جيشه للقاء جيوش المسلمين، ويقدره المؤرخون أنه جمع مائة ألف مقاتل. وقيل سبعين ألفا وتسعين ألفا[٢٨]. ولما علم طارق بأخبار تلك الحشود كتب إلى موسى بن نصير يستمده. فأمده بخمسة آلاف محارب بقيادة طريف بن مالك. وبهم كملت عدة الجيش الإسلامي اثني عشر ألف محارب جلهم من المسلمين البربر[٢٩].

وقد واصل طارق السير بجيوشه ومشى في محاذاة الساحل، وأقام معسكره في منطقة سهلية واسعة في كورة شذونة (Sidonia) بالقرب من نهر برباط ووادي لُكه الذي يصب في المحيط عند مدينة " قادش" الساحلية. وفي هذه المنطقة تم اللقاء بين الجيش القوطي والجيش الإسلامي، ودارت معركة حاسمة استمرت ثمانية أيام، من يوم الأحد ٢٨ رمضان إلى يوم الأحد ٥ من شوال سنة ٩٢ / ٧١١. انتهت المعركة بهزيمة القوط هزيمة ساحقة بعد أن اقتتل الطرفان، وتبعهم المسلمون بالقتل والأسر. وقد اختلفت الروايات في أمر ردريك، فقيل إنه مات غريقا في وادي لكه، ويذكر البعض أن ردريك فر من الميدان والتقى بالمسلمين في معركة أخرى شمالي إسبانيا وقتل فيها. لكن هذا الرأي الأخير ضعيف لا تدعمه الأدلة[٣٠].

٢٨- محمد عبد الله عنان – دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص: ٤٢.
٢٩- عبد الرحمن الحجي – التاريخ الأندلسي، ص: ٥٢.
٣٠- المصدر السابق، ص٥٧.

٣. الاتجاه نحو الشمال وفتح طليطلة عاصمة القوط

وبعد هذا النصر المبين الذي حققه طارق وجنده، زحف إلى الشمال نحو مدينة شذونة، وفتحها عنوة بعد حصار، ومضى إلى مورور (Moron) وافتتحها. ثم عطف على قرمونة (Carmona) ثم تقدم إلى إشبيلية فصالحه أهلها على الجزية، ومنها اتجه إلى مدينة "استجّة" حيث دارت معركة حامية هزم فيها الجيش القوطي، وافتتحت المدينة. "ولم يلق المسلمون فيما بعد ذلك حربا مثلها..، وقذف الله الرعب في قلوب الكفرة، فسقط في أيديهم، وتطايروا عن السهول إلى المعاقل، وصعد ذَوو القوة منهم إلى دار مملكتهم طليطلة"[٣١].

وقد وجّه طارق بن زياد من استجّة سرايا وبعوثا من جنده إلى عدة جهات. فبعث جيشا بقيادة مغيث الرومي في سبع مائة فارس لفتح مدينة قرطبة، فافتتحها مغيث دون مشقة كبيرة. وأرسل جيشا آخر إلى مالقة (Malaga) وآخر إلى كورة إلبيرة حيث افتتح مدينتها غرناطة. وكذلك أرسل إلى كُورة تُدْمير (Tudmir) وافتتحها بمساعدة سرية مالقة وسرية إلبيرة. وقد حدثت عدة معارك في هذه المناطق، واستطاع المسلمين فتح عدة مدن فيها.

فقد سار طارق بمعظم أجناده إلى كورة جَيّان في طريقه إلى طليطلة فدخلها سنة ٩٣هـ دون مقاومة لأنه وجدها خالية، ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة. وفرّ حاكمها مع أصحابه من كبار القوط حاملين معهم ذخائر الكنيسة. فترك طارق فرقة من جنوده في طليطلة وسلك إلى وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه، فبلغ مدينة خلف الجبل تسمّى بمدينة المائدة وفتحها وأصاب بها مالا وحليا كثيرا، ثم انصرف إلى طليطلة في أوائل ٩٣ هـ.

٤. عبور موسى بن نصير إلى الأندلس واستكمال الفتح

كتب طارق إلى موسى بن نصير يحيطه بأخبار الفتح وما حصله على نجاح، ويطلب منه المساعدة. وعلى الفور عزم موسى التوجه إلى الأندلس وأصدر

٣١- عبد الرحمن الحجي – التاريخ الأندلسي، ص: ٦٣-٦٤.

أوامره إلى طارق بوقف الفتح حتى يلحق به. وقد اختلف أقوال المؤرخين في تعليل البواعث التي حملت موسى على العبور إلى الأندلس وإصدار أوامره بوقف الفتح. والراجح من هذه الأقوال أن طارق خالف الأوامر الصادرة إليه بألا يتعدى قرطبة، أو حيث تقع الهزيمة بالقوط، وتوغل بسرعة غير متوقعة إلى داخل البلاد دون نظر إلى العواقب. ومن ثم تخوّف موسى على جيش المسلمين من الترامى إلى هذا البعد في بلاد فسيحة، ومسالك مجهولة، فقرر بالعبور تعزيزا للجيش الإسلامي وسدا لمحاولات قطع الطرق عليه وإتماما للفتح.[٣٢]

فقد عبر موسى البحر إلى الأندلس في عشرة آلاف من العرب وثمانية آلاف من البربر، في سفن صنعها لذلك، وذلك في رمضان سنة ٩٣ (٧١٢). تحرك موسى بالجيش نحو شذونة وافتتحها عنوة. ثم سار إلى قرمونة وهي يومئذ من أمنع معاقل الأندلس، فاستولى عليها بمساعدة يوليان. وقصد بعد ذلك إلى إشبيلية أعظم مدائن الأندلس. فافتحها بعد أن حصرها شهرا، ثم اتجه إلى ماردة إحدى قواعد الأندلس وحاصرها مدة وأعد كمائن عديدة في جهات صخرية مواجهة لها، وقتل من جنده كثيرون حتى استسلم أهلها ودخلها صلحا في رمضان أو شوال سنة ٩٤هـ، على أن تكون أموال الغائبين والكنائس غنيمة للمسلمين دية لمن قتل منهم.

وبعد شهر من إقامته في ماردة تحرك موسى نحو طليطلة، وبلغ طارقا خبره فخرج إليه ولقيه في موضع من كورة طلبيرة، ثم عاد بالجيش إلى طليطلة وأقام بها طوال فصل الشتاء. وفي هذه المدة بدأ موسى عمله كأول وال مسلم يحكم قطراً أوروبيا، وقام ببعض التنظيمات الإدارية. فأمر بضرب عملة ذهبية لصرف رواتب الجند. كما أنه رد على أبناء غيطشة ما انتزع من ضياعهم،

٣٢- محمد عبد الله عنان – دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص٥٢.

وعين بعضهم في وظائف عليا ونصب أخا غيطشة أُسْقُفًا على طليطلة. وقد بعث موسى رسولين من قبله إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يخبرانه بالفتح.

وحينما انتهى الشتاء سار الجيش الإسلامي نحو الشمال الشرقي لشبه الجزيرة الإيبيرية، واخترق ولاية "أراجُون" وافتتح مدينة سرقُسطة ومدنا أخرى حولها. وبعدها عزم موسى للدخول في بلاد "جِلّيقة" ولكن الوليد بن عبد الملك أرسل رسوله مغيث الرومي بأمره بالخروج من الأندلس والكف عن التوسع في البلاد والعودة إلى دمشق مع طارق بن زياد. وقد استجاب موسى لهذا الإستدعاء، ولكنه طلب إمهاله حتى يتم الفتح ويتم له السيطرة على المعاقل الجبلية الشمالية. ومن هنا قسم موسى جيشه إلى قسمين، قسم بقيادته والآخر بقيادة طارق. وسارا على طريقين مختلفين وافتتحا مدنا كثيرة، حتى بعث الوليد بن عبد الملك رسولا آخر إلى موسى يتعجل وصوله إلى دمشق. فاستجاب لأمر الخليفة وأسرعا السير في ذي الحجة عام ٩٥هـ، فوصلا إلى طليطلة ومنها إلى قرطبة فإشبيلية ثم إلى دمشق. وترك موسى ابنه عبد العزيز واليا على الأندلس ليقوم بما تقتضيه أحوال البلاد من التنظيم والإصلاح. وبه يبدأ عصر الولاة[٣٣].

هكذا استطاع لهذين الرجلين مع جيش المسلمين من العرب والبربر أن يفتتحوا قطرا أوربيا واسعا يعد من أصعب الأقطار الأوربية من الناحية الجغرافية الطبيعية.

٣٣- عبد الرحمن الحجي – التاريخ الأندلسي، ص: ١٠٣- ١١٩.

الفصل الثالث

دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس

أبو المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي المعروف بلقب صقر قريش وعبد الرحمن الداخل. ويعرف بالداخل الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس وأحد عظماء العالم. فرّ من الشام إلى الأندلس في رحلة طويلة استمرت ست سنوات، بعد سقوط الدولة الأموية في دمشق عام ١٣٢هـ وتتبع العباسيون لأمراء بني أمية وتقتيلهم. دخل الأندلس وهي تتأجج بالنزعات القبلية والتمردات على الولاة، فقضى عبد الرحمن في فترة حكمه التي استمرت ٣٣ عاما في إخضاع الثورات المتكررة على حكمه في شتى أرجاء الأندلس تاركا لخلفائه إمارة استمرت نحو ثلاثة قرون[٣٤].

ولد سنة ١١٣هـ ٧٣١م في خلافة جده هشام بن عبد الملك في بلاد الشام عند قرية تعرف بديرحنا وقيل بأرض تدمر. توفي أبوه شابا عام ١١٨هـ في خلافة أبيه هشام بن عبد الملك. فنشأ عبد الرحمن في بيت الخلافة الأموي بدمشق حيث كفله وإخوته جده هشام[٣٥]، وكان جده يؤثره على بقية إخوته ويتعهده بالصلات والعطايا في كل شهر حتى وفاته.

لما أقام العباسيون دولتهم على أنقاض الدولة الأموية، هدفوا إلى تعقب الأمويين والقضاء عليهم خشية أن يحاولوا استرداد ملكهم، فقتلوا بعضهم مما جعل الباقين منهم يستترون. حينئذ أظهر العباسيون الندم على ما كان منهم. وأشاعوا أنهم أمّنوا من بقي من الأمويين حتى اجتمع منهم بضع وسبعون رجلا منهم أخ لعبد الرحمن الداخل يدعى يحيى فقتلوهم. وحين بلغ عبد الرحمن بن معاوية ذلك هرب من منزله بدير حنا.

٣٤- ويكيبيديا الموسوعة الحرة

٣٥- محمد عبد الله عنان – دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص ١٥٠

قيام الدولة الأموية في الأندلس :

أُنشأت الدولة العباسية في الكوفة في ربيع الأول سنة ١٣٢ (٧٤٩) في اليوم الذي بويع فيه لأبي العباس عبد الله بن محمد بعد دخول قائده أبي سلمة الخَلال الكوفة قبل ذلك بأسابيع، ولم تنقض أشهر حتى رفرفت رايات العباسيين على دمشق. وفر مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بمن معه من الجند، ولحق بهم عبد الله بن علي عم السفاح وأوقع بهم هزيمة كبيرة على نهير الزاب أحد فروع دجلة، وفر مروان وطارده عبد الله بن علي حتى قتله في قرية بوصير بمصر. وبذلك زالت الدولة الأموية في المشرق من الوجود. وأعقبت ذلك مذبحة كبرى أنزلها العباسيون بالأمويين حتى لم يفلتوا منهم رجلا عثروا له على أثر، واستمرت المذابح بعد ذلك سنوات حتى لم ينج من بني أمية إلا أفراد شردوا في الآفاق[٣٦].

فراره إلى المغرب :

كان عبد الرحمن بن معاوية يجلس في بيته في العراق إذ دخل عليه ابنه ابن أربع سنين يبكي فزعا وكان عبد الرحمن بن معاوية مريضا معتزلا في الظلام في ركن من البيت من أثر رمد في عينه، فأخذ يسكن الطفل بما يسكن به الأطفال إلا أن الطفل ظل فزعا مرعوبا لم يسكن. فقام معه عبد الرحمن فوجد الرايات السود (رايات الدولة العباسية) خارج البيت. وكانت تعم القرية جميعها، فعلم أنه مطلوب، رجع عبد الرحمن بن معاوية أخذ أخاه الوليد بن معاوية وما معه من نقود، وترك النساء والأطفال وكل شيء، لأن العباسيين لم يكونوا ليقتلوا النساء ولا الأطفال. ولكن كانوا يقتلون كل من بلغ وكان أهلا للخلافة. ثم خرج هاربا نحو الفرات. وحل هناك ببعض القرى واختفى بها حيبا يدبر أمره، ولكن

٣٦- حسين مؤنس – فجر الأندلس، ص٦٦٢.

جند المسوّدة[٣٧] ما لبثت أن حلت بتلك الجهة تستقصى آثار بني أمية. فبادر عبد الرحمن بالفرار. وتنقل الرواية على لسانه قصة مؤثرة عن حوادث فراره. وتصف كيف أدركته خيل المطاردين على ضفة النهر مع أخيه الصبي، فوثبا إلى النهر واستطاع عبد الرحمن أن يقطعه سباحة إلى الضفة الأخرى، ولكن الغلام عجز عن قطعه وعاد إلى الضفة الأولى حيث وعده المطاردين بالأمان، ولكنه ما كاد يقع في أيديهم حتى انقضوا عليه وقطعوا رأسه أمام عيني أخيه. وقلبه يتفطر روعة وأسى[٣٨]. ولما أمن عبد الرحمن خطر مطارديه سار مختفيا إلى الجنوب قاصدا إلى المغرب[٣٩].

قال : "فخرجت فإذا أنا برايات مطلّة، فلم يرُعْني إلاّ دخول أخي فلان، فقال: يا أخي رأيت المسوّدة ؟ وكنت لمّا فعل بي الصبيّ ما فعل قد خرجت فرأيتهم لم أدرك شيئا أكثر من دنانير تناولتها. ثم خرجت أنا والصبي أخي. وأعلمت أختيّ: أم الأصبع وأمة الرحمن، بمتوجّهي. وأمرتهما أن يلحقني غلامي بما يصلحني إن سلمت. فخرجت حتى اندسست في موضع ناء عن القرية وأقبلوا فأحاطوا بالقرية ثم بالدار، فلم يجدوا أثرا ومضينا حتى لحقني بدر. ثم خرجت حتى أتيت رجلا على شاطئ الفرات، وأمرته أن يبتاع لي دواب وما يصلحني، فأنا أرقب ذلك إذ خرج عبد له أو مولى، فدلّ علينا العامل فأقبل إلينا. فوالله ما راعنا إلاّ جلبة الخيل إلينا في القرية، فخرجنا نشتد على أرجلنا، فأبصرتنا الخيل فدخلنا بين جنان على الفرات، واستدارت الخيل فخرجنا وقد أحاطت بالجنان، فتبادرنا وسبقناها إلى الفرات. فترامينا فيه، وأقبلت الخيل فصاحوا علينا: لا بأس عليكم. فسبحت وسبح الغلام أخي. فلما سرنا ساعة سبقته بالسباحة وقطعت قدر نصف الفرات، فالتفت لأرفق وأصيح عليه ليلحقني، فإذا هو والله لما سمع تأمينهم إياه

٣٧- سمّوا المسوّدة- لأنهم رفعوا شعار السّواد بدلا من شعار البياض الذي اتخذه بنو أمية.

٣٨- ابراهيم الأبياري – أخبار مجموعة في فتح الأنلس ، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، ص ٥٤-٥٥.

٣٩- محمد عبد الله عنان – دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص١٥٠.

وعجل خاف الغرق. فهرب من الغرق إلى الموت، فناديته: أقبل يا حبيبي إليّ فلم يأذن الله بسماعي فمضى، فمضيت حتى عبرت الفرات. وهمّ بعضهم بالتجرد ليسبح في إثري ثم بدا لهم وأخذوا الصبيّ فضُربت رقبته وأنا أنظر، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، رحمه الله. قال: ثم مضيت"[٤٠].

ثم مضى عبد الرحمن حتى أدرك مكانا من فلسطين كان قد ذكره لأختيه، وهناك أدركه مولاه بدر وسالم مولى أخته بمال وجوهر ليستعين بهما في محنته. ومضى الثلاثة معجلين فعبروا بمصر وأفضوا إلى افريقية حين كان الحال مضطربا ثائرا. فأمنوا برهة في وديان المغرب وشعابه وبين قبائله وأهله الذين فرقتهم الثورات وصرفتهم عن الإلتفات إلى دعوة العباسيين[٤١].

كانت سنه عشرين سنة حينما أقبل إلى افريقية ولم يكن يفكر إلا النجاة من رجال العباسيين الذين كانوا يتتبعون كل أموي يعثرون له على أثر، ولم تكن الظروف في إفريقية لتغذي فيه أي عمل في تحسين الحال، لأن بربر إفريقية كانوا يكرهون العرب كراهة عميقة بعد الذي كان من عفهم بالبربر وثورة هؤلاء عليهم هذه الثورة العنيفة، وكان دعاة الخارجية وأعداء بني أمية الهاربون قد ملأوا قلوب أهل البلاد كراهة للأمويين وسخطا عليهم، فلم يكن للفتى على ذلك بعد السلامة مطمع[٤٢].

عبد الرحمن بن معاوية في المغرب :

وصل عبد الرحمن إلى افريقية أيام عبد الرحمن بن حبيب، ومن الطبيعي أن يتخوفه على نفسه، ولو قد كان هذا الأموي الشارد خامل النفس قنوعا للجأ إلى عبد الرحمن بن حبيب وعاش في ظله عيشة خمول لا تخلو من الإستمتاع كما

---

٤٠ أخبار مجموعة في فتح الأندلس- ص: ٥٤-٥٥.
٤١ المصدر السابق، ص:٥٦.
٤٢ - حسين مؤنس – فجر الأندلس، ص٦٦٤.

كان غيره من أمراء بني أمية يفعلون، ولكنه كان مغامرا بطبعه جريء القلب ففضل أن يعيش بين البربر حياة قلق واضطرا ب.

فتجوّل عبد الرحمن على نواحي افريقية كلها دون أن يغادر منها ناحية لم يجرب فيها حظه. أقام ببرقة حينا، ثم مضى إلى تاهرت حيث استظل برعاية رستم حينا. ثم اختفى في قبائلَ مكناسة، ثم قضى ردحا في صبرة وانتهى به الأمر بعد خمس سنوات من الهرب والتجوال والمغامرة إلى قبائل نفزة على مقربة من طنجة. وكانت أمه من سبيهم، والظاهر أنه استطاع كسب ودهم لأن كثيرا منهم عطف عليه وقام برعايته. والظاهر كذلك أنه لم يقنع بحياة الخمول فجعل يدبر على عبد الرحمن بن حبيب. واتصل أمره بهذا الأخير فبعث من يبحث عنه. وكان يرافقه في هذه المغامرات كلها مولاه بدر ومولى أخته سالم. وكان عبد الرحمن عنيفا على مولييه هذين لميلٍ إلى الإستبداد كان فيه.

أقام عبد الرحمن عند قبائل مغيلة من ساحل طنجة في كنف شيخها أبي قرة. ويغلب أن استقراره عند مغيلة هؤلاء كان حوالي سنة ٧٥٣/١٣٦. كان سالم مولى أخته قد حدثه بشيء عن خير الأندلس وكان قد قدمها مع موسى بن نصير، فتطلعت نفس عبد الرحمن إلى هذا البلد الواسع الغني الذي أفسد الإضطراب أمره[٤٣].

عبد الرحمن بن معاوية في الأندلس :

أقام عبد الرحمن عند أخواله النفزيين وبقي معه مولاه بدر، أما "أبو الشجاع" سالم فقد عاد إلى مولاته أم الأصبغ[٤٤] بالشام. ورأى عبد الرحمن أن يبادر بالإتصال بزعماء بني أمية في الأندلس. فبعث مولاه بدرا رسولا إلى أبي

٤٣- المصدر السابق- ص: ٦٦٧.
٤٤- أخت عبد الرحمن بن معاوية

عثمان عبيد الله بن عثمان، وعبد الله خالد بن أبّان بن أسلم، زعيمي موالي بني أمية وأرسل إليهما كتابا يعرض عليهما فيه رياسته للأندلس.

وذلك في أواخر سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م. فنزل بدر بقرية طُرّش Torrox من ساحل إلبيرة، وكانت جند الشام ويجتمع فيها موالي بني أمية. وكانت رياستهم إلى "أبي عثمان عبيد الله" وصهره "عبد الله خالد بن أبان"، فاجتمع بدرا بهما وقدّم إليهما كتاب عبد الرحمن، يشكو فيه ما ابتلوا به ويعظم عليهم حقه ونزوعه إليهم وما صنع به "ابن حبيب" وبقومه بأفريقية ويعلمهم أنه إن دخل إلى يوسف الفهري لم يأمنه ويعرض أنه إنما يريد الإعتزاز بهم أن يمنعوه وأن تهيأ لهم ما فيه طلب سلطان الأندلس أن يعلموه[٤٥].

وقد نشط موالي الأمويين لهذا الأمر واستشاروا "الصّميل" زعيم القيسية في معاونة عبد الرحمن وتأييده ولكن "الصّميل" بعد أن استجاب لنصرة عبد الرحمن، عاد فأبدى ترددا وفتورًا، واقترح أن يتزوج ابن معاوية من ابنة "يوسف الفهري". وأن ينزل آمنا في ظله، ثم صرفهما وقال : إن عبد الرحمن "من قوم لو بال أحدهم في هذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله"[٤٦].

كانت الخطوة المؤثرة التي نجح فيها بدر هو وصوله إلى موالي بني أمية في الأندلس، وشيخهم أبو عثمان ومن خلالهم حاول التحالف مع القيسية، إلاّ أنّ الصميل بن حاتم – وقد كان زعيم القيسية الذين كانوا عماد الفهري – عبّر بوضوح عن مخاوفه من وجود أمير أموي في البلاد، فوضع القيسية حينئذ لن يكون كما هو في ظلّ الفهري الذي يستطيعون أن يأخذوا منه ويردّوا عليه. فذهبوا إلى اليمنية فرضوا وتم لهم الأمر.

فقد نجح بدر في مهمته، فأرسل رسولا إلى عبد الرحمن يقول له: إن الوضع أصبح جاهزا لإستقبالك هناك.

---

٤٥ محمد عبد الله عنان – دولة الإسلام في الأندلس، ص٨٨

٤٦ المصدر السابق- ص٨٨.

نزل عبد الرحمن بن معاوية على ساحل الأندلس بمفرده. واستقبله هناك مولاه بدر، وكان يحكم الأندلس في ذلك الوقت يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وكالعادة كان في الشمال يقمع ثورة من الثورات[٤٧].

وبعد أن دخل عبد الرحمن الأندلس بدأ أن يُجمّع الناس حوله، من محبي الدولة الأموية والأمازيع وبعض القبائل المعارضة ليوسف الفهري، كما كان قد وصلت إلى الأندلس فلول من الأمويين الهاربين إلى جانب التحالف المأخوذ مع اليمنية.

كان على رأس اليمنيين في ذلك الوقت أبو الصباح اليحصبي، وكان المقر الرئيسي لهم في إشبيلية، وهي المدينة الكبيرة التي كانت تعد حاضرة من حواضر الإسلام في ذلك الوقت. فذهب عبد الرحمن بن معاوية بنفسه إلى إشبيلية. واجتمع طويلا مع أبي الصباح اليحصبي، فبايعه أبو الصباح.

وقبل القتال أرسل عبد الرحمن بن معاوية عدّة رسائل إلى يوسف الفهري يطلب ودّه، وأن يسلّم له الإمارة، ويكون الفهري رجلا من رجاله في بلاد الأندلس بحكم أنه حفيد هشام بن عبد الملك، لكن يوسف الفهري رفض ذلك. وجهّز جيشا وجاء ليحارب عبد الرحمن ومن معه.

موقعة المصارة :

معركة المُصارة أو المسارة هي معركة وقعت بين جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهري آخر ولاة الأندلس وجيش عبد الرحمن بن معاوية أول أمراء الأندلس في ٩ ذي الحجة ١٣٨هـ. وانتهت بانتصار عبد الرحمن بن معاوية وفرار يوسف الفهري، ودخول عبد الرحمن قرطبة ومبايعته بها أميرا على الأندلس في اليوم التالي.

---

٤٧ أخبار مجموعة، ص٧٣.

تعجل يوسف والصميل السير من المدور شمالي قرطبة وانحدرا بمن معه إلى ناحية مقابلة لطشانة (Tocina) على الشاطئ العربي للوادي الكبير. وكان الوقت شتاء والوادي الكبير فياض بالماء، فامتنع العسكريين أن يعبر أحدهما إلى الآخر. ولبثا على ذلك حينا ثم أراد عبد الرحمن أن يلتمس غرة من يوسف ويمضي بعسكره إلى قبالة قرطبة ثم يعبر إليها فيدخلها. فأوقد نار معسكره بليل، ثم ترك النار موقدة ومضى بعسكره وكادت تنجح الحيلة، لولا أن تنبّه لها يوسف وصاحبه فأسرعا عائدين إلى قرطبة، فكانا مع جيش عبد الرحمن في سباق. ووقف الجيشان مرة أخرى ينظر أحدهما إلى الآخر عند المصارة على مقربة من قرطبة، وكانت كفة يوسف أرجح لأنه كان مقيما مع قومه في ناحية زرع وخير. وفي حين كان مقام عبد الرحمن في غابات لا مزارع فيها. فأقام جنده في محل لا يقتاتون إلا ببعض الفول الأخضر أصابوه مما حولهم، وكانوا يرجون أن يدخل بهم صاحبهم ليقيموا أنفسهم بما فيها من الخير ولكنهم لم يستطيعوا[٤٨].

وأقبل يوم الخميس التاسع من ذي الحجة سنة ١٣٨هـ (١٣ مايو ٧٥٦م) فاستبشر به عبد الرحمن لأنه يقابل اليوم الذي وقعت في غده معرَكة مرج راهط[٤٩] وانتصر فيها مروان بن الحكم على الضحّاك بن قيس الفهري. فقرر أن يخوض المعركة الحاسمة مع يوسف الفهري يوم الجمعة التالي ومن ثم أمر جنده أن يستعدوا ليوم الفصل[٥٠].

وفي صباح يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨هـ نظّم عبد الرحمن جيشه ورتبه ترتيبا محكما. ثم عبر الوادي الكبير وأفضى إلى الضفة المقابلة دون أن يعرض له يوسف أو أحد من رجاله. ويبدو أنه كان ما يزال يؤمل في

---

٤٨ - حسين مؤنس - فجر الأندلس – ص: ٦٨٠.
٤٩ - وقعت المعركة يوم عيد الأضحى سنة ٦٤هـ.
٥٠ - تاريخ الإسلام في الأندلس- ص :٩١.

الصلح، وعلى ذلك كان كثير من أنصاره. لم يخوضوا المعركة إلاّ بعد أن وضعهم عبد الرحمن أمام الأمر الواقع فلم يجدوا عن القتال مندوحة[٥١].

دارت المعركة على مقربة من "المُصارة" من أرباض قرطبة وانتصر عبد الرحمن على خصومه، فسار إلى قرطبة فدخلها. وقد قتل في هذه المعركة ابني كل من يوسف الفهري، والصميل وكبار قوادها ووجوه القيسية والفهرية. وفرّ يوسف إلى طليطلة والصميل إلى جنوب جيانا، ثم لحق الصميل بيوسف الفهري في طليطلة مع عدد من أصحابه فقوي أمرهما وانضم إليهما من بقى من مضر في تلك الجهات فأخذا يستعدان من جديد للعودة إلى قرطبة والإستيلاء عليها.

٥١ المصدر السابق- ص٩١ ، فجر الأندلس- ص: ٦٨١.

الفصل الرابع
حضارة العرب في الأندلس

كانت أسبانيا قبل الفتح قد ملكها الرومان حتى القرن الخامس من الميلاد، ثم انقض الوندال والألين والسويف – الذين هم من القبائل البربرية – على أسبانيا. ولم يلبث القوط الذين هم من البرابرة أيضا، أن قهروهم واستولوا على أسبانيا في القرن السادس للميلاد، وظلوا سادتها إلى أن جاء العرب. وقد اختلط القوط البرابرة باللاتين في إسبانيا، فاتخذوا اللاتينية لغة لهم، وانتحلوا النصرانية التي كانت دين الدولة الرسمي، وخضعوا بذلك لسلطان الحضارة اللاتينية.

وكان اختلاط القوط باللاتين قبل الفتح العربي مقتصرا على عِلْيَة القوم، وكان سكان البلاد الأصليون من الأرقاء، الذين ليس لديهم شيء يدافعون عنه وكانوا مستعدين لقبول أي سلطان عليهم، فتنافس القوطيون على عرش المملكة، لأن النظام الملكيّ القوطي قائما على الانتخاب، ورشح كثير منهم للعرش، فيقتتل أنصار هؤلاء المرشحين على الدوام ويمزّقون باقتتالهم المملكة القوطية، فهذا التنافس على عرش أسبانيا أدّى إلى نزاع اجتماعي وفتن داخلية، وفقدان الروح العسكرية وفتور عن الدفاع بين الأهلين المستعبدين، وكان من جزاء ذلك تفرق الدولة القوطية، وسهل للعرب تحرير أسبانيا[٥٢]. ونتيجة للتعاون بين العرب والبربر بعد تحرير أفريقية دخل جيش إسلامي مؤلف من اثني عشر ألف جندي بلاد أسبانيا في زمن الخليفة العاشر سنة ٩٢هـ/ ٧١١م، وتم فتحها بقيادة طارق بن زياد والقائد موسى بن نصير. وقد وصفها القائد المسلم في رسالة إلى الخليفة الأموي أنها " شامية في طيبها وهوائها، يمنية في اعتدالها واستوائها،

٥٢- غوستان لوبون – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة ٢٠١٢، ص٢٧٩.

هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عِظم جباياتها، صينية في معادن جواهرها، عدنية في منافع سواحلها"[٥٣].

وتميزت الفترة الأولى من تاريخ العرب في الأندلس بين ٩٢- ١٣٨هـ والتي تسمى 'عصر الولاة' بعدم الاستقرار وانشغال الولاة فيما بينهم بالمنازعات مما مهد لدخول عبد الرحمن الداخل الأموي بعد فراره من وجه العباسيين، وأسس الدولة الأموية في الأندلس بعصريها الإمارة والأندلس، والتي امتدت من سنة ١٣٨- ٤٢٢هـ (٧٥٦- ١٠٣١م).

ولم يكن الفتح الإسلامي لأسبانيا احتلالا عسكريا، بل كان حدثا حضاريا هاما، وحركة تحرير للشعوب الأسبانيا، فقد امتزجت حضارة سابقة كالرومانية والقوطية مع حضارة جديدة هي الحضارة العربية الإسلامية. ونتج عن هذا المزج حضارة أندلسية مزدهرة أثرت في الحياة الأوربية، وتركت آثارا عميقة مازالت تتراءى مظاهرها بوضوح حتى اليوم.

وبعد تحرير أسبانيا استقر العرب والبربر مع سكان البلاد، فكان للسلوك الإسلامي الإنساني تأثير كبير في تآلف القلوب، إذ لم يلبث المسلمون أن أنسوا إليهم وحصل التزاوج والمصاهرة بينهم. فنشأت في أسبانيا طبقة اجتماعية جديدة، هي طبقة المولدين التي هي خليط من دم أهل البلاد الأصليين ودم العرب والبربر، كما نشأت طبقة جديدة أخرى هي طبقة المستعربين، وهم الأسبان المسيحيون الذين ظلوا على ديانتهم المسيحية ولكنهم تعربوا بعد دراسة اللغة العربية وآدابها وثقافتها[٥٤].

وأحسن العرب سياسة سكان إسبانيا، فقد تركوا لهم كنائسهم وأموالهم وقوانينهم وحقّ المقاضاة إلى قضاة منهم، ولم يفرضوا سوى جزية سنوية صغيرة،

٥٣- المصدر السابق، ص٢٧٩.

٥٤- د/ أحمد مختار العبادي – في التاريخ العباسي والأندلسي، مطبعة دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١، ص٣١٦.

وخضعوا للعرب من غير مقاومة ولم يبق على العرب إلا أن يقاتلوا الطبقة الأريستوقراطية المالكة للأرضين[٥٥].

كانت إسبانية النصرانية ذات رخاء قليل وثقافة في زمن ملوك القوط، ولم يكد العرب يُتمّون فتح إسبانيا حتى بدأوا يقومون برسالة الحضارة فيها. فاستطاع العرب في أقل من قرن أن يحيوا ميت الأرضين ويعمروا خرب المدن، ويقيموا فَخْم المباني ويوطّدوا وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى، ثم بدأوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب ويُترجمون كتب اليونان واللاتين ويُنشؤون الجامعات التي ظلّت ملجأ للثقافة في أوربا زمنا طويلا[٥٦].

امتازت حضارة العرب في الأندلس بميلها الشديد إلى العناية بالفنون والآداب والعلوم، فأنشأوا المدارس والمكتبات والمختبرات، وترجموا الكتب المختلفة، ودرسوا العلوم الرياضية والفلكية والطبية والكيمياوية والطبيعية بنجاح. ولم يكن نشاطهم في الصناعة والتجارة أقل من ذلك، فكانوا يصدرون منتجات المناجم ومصانع النسائج، ومعامل الأسلحة والجلود والسكر إلى إفريقية والشرق بواسطة تجار من اليهود والبربر. وبرعوا في الزراعة براعتهم في العلوم والصناعات، وأدخلوا إلى حقول الأندلس زراعة قصب السكر والتوت والقطن والأرز والموز وغيرها، - وأصبحت إسبانية بأقل زمن جنّة واسعة بفضل أساليب العرب الزراعية الفنية- وأكثروا من إنشاء الطرق والجسور والمشافي والفنادق والمساجد في كل مكان[٥٧].

فأنشأ العرب أسطولا ضخما لمواجهة قوة الأسطول البيزنطي ولضمان أمن السواحل العربية من هجماتهم، فازدهرت التجارة مما أدى إلى ازدهار الحياة

٥٥- غوستان لوبون – حضارة العرب، ص٢٨٠.
٥٦- المصدر السابق، ص٢٨٧.
٥٧- المصدر السابق، ص٢٨٨.

الإقتصادية والإجتماعية وتمكين العرب في الأندلس من الاتصال بالعالم الخارجي.

واستطاع العرب أن يحوّلوا الأندلس ماديا وثقافيا في بضعة قرون وأن يجعلوها على رأس جميع الممالك الأوربية. وقد أثّر العرب في أخلاق الشعوب النصرانية، فقد علموهم التسامحَ الذي هو أثمن صفات الإنسان، وبلغ حِلم عرب الأندلس نحو الأهلين مبلغا كانوا يسمحون به لأساقفهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر أشبيلية النصرانية الذي عُقد عام ٧٨٢م ومؤتمر قرطبة الذي عقد عام ٨٥٢م، وتعد كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم، وأسلم كثير من النصارى، فغدا النصارى واليهود مساوين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة[٥٨].

فالحضارة العربية في الأندلس مرت بأدوار وخضعت لمؤثرات حضارية، منها ما ترجع أصولها إلى الأمّ أي الحضارة العربية في المشرق، كما خضعت أيضا لمؤثرات حضارية محلية بحكم البيئة التي نشأت فيها وبدرجة محدودة.

بعد الفتح الإسلامي للأندلس ازدهر الأندلسيون في جميع مجالهم، فاستطاعوا في أقل من قرن أن يحيوا ميت الأرضين ويعمروا خرب المدن، ويقيموا فَخْم المباني ثم بدأوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب ويُترجمون كتب اليونان واللاتين ويُنشؤون الجامعات التي ظلّت ملجأ للثقافة في أوربا زمنا طويلا، وأدت نموّهم إلى الأعمال الأدبية وترعرعت بينهم الشعر والنثر، والباب الثاني حول الشعر العربي في الأندلس.

٥٨- غوستان لوبون – حضارة العرب، ص٢٩٠ – ٢٩١.

الباب الثاني

الشعر العربي في الأندلس

الفصل الأول : تطــورالشعـر الأندلســـي

الفصل الثاني : فنـــون الشعـر الأندلســـي

الفصل الثالث : خصائص الشعر الأندلسي

الفصل الرابع : أبرز شعــراء الأندلــس

الباب الثاني

الشعر العربي في الأندلس

كان الشعر الأندلسي شديد الشبه بالشعر العربي في المشرق في أغراضه وتطوره، وقد كان من نتائج منافسة الأندلسيين للمشارقة اتخذ شعرهم صبغة الشعر العباسي، فظهر التجديد في الغزل والمجون والخمر ووصف الطبيعة والعمران وبقي التقليد مسيطرا على الأبواب الأخرى إلا أنهم رغم ذلك لم يصلوا إلى العمق الذي وصله الشعر في المشرق، ولكن خيالهم كان واسعا وأكثر إصباغا من خيال المشارقة حيث تزدحم الصور البراقة المنتزعة من طبيعة الأندلس الخلابة.

انتشر الشعر العربي في الأندلس بعد أن دخل الفاتحين العرب فبلغ إيطاليا وبحر الأدرياتيك[٥٩] (Adriatic Sea) ووصل إلى جزيرة صقلية وجزيرة مالطة، بل وكل بقعة في البحر المتوسط. فازدهر في كل مكان لجزالته ورقة أسلوبه ووضوح معانيه وخاصة إنه نظم في هذه الأصقاع الجديدة الغناء والخضرة الدائمة والجو اللطيف حتى وصل الشعر إلى منتهاه في الرقي والتطور في زمن ظهور دول الطوائف، حيث أن كل أمير جمع حوله الأدباء والشعراء وبذلك حصل الشعر العربي على مكانة عظيمة وثروة أدبية كبيرة.

٥٩- البحر الأدرياتيكي هو أحد فروع البحر المتوسط الذي يفصل شبه الجزيرة الإيطالية عن شبه جزيرة البلقان.

الفصل الأول

تطور الشعر الأندلسي

تطور الشعر الأندلسي كما تطور الشعر العباسي من التقليد إلى التجديد. وبعد الفتح جاء العرب إلى الأندلس وافدين من مختلف القبائل العربية والأقاليم الإسلامية، وتدفقوا على الأندلس تدفقا شديدا حتى تموج البلاد بفترة يسيرة بالعرب موجا. وحملوا معهم إلى الأندلس طبيعتهم الشعرية، كما حملوا نزعاتهم العرقية وكان الشعر يحل حيثما حلّوا. وكان ينمو ويترعرع في انفجار طبيعيّ أشبه بانطلاق النور من قلب الشمس، وفي هذا الجوّ الجديد اتسع المجال لموطن شعريّ جديد. وقد قلّد ما استطاع التقليد. وكان دائم التطلع إلى دمشق وبغداد والمدينة. ونظر الشرق إلى الغرب نظرة استصغار. فالأندلس بلاد فتحت على غير إرادة السلطة ثم قام فيها حكم يناوىء حكم العباسيين في بغداد[٦٠].

وفي القرن الحادي عشر قويت الشخصية الأندلسية وأخذ الأندلسيون يعرضون شيئا فشيئا عن المشارقة، وأخذوا في جمع الشعر الأندلسي فوضع أبو الوليد الحميري[٦١] كتاب "البديع في وصف الربيع" وأعلن في مقدمته أن الأندلس أصبحت في غنى عن أدب المشرق لما أتى به أدباؤها وشعراؤها من روائع القول. ثم وضع ابن بسام كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة". وظهرت كذلك دواوين الشعراء، فكانت البرهان القاطع على عروبة الشعر الأندلسي وعلوّ منزلته[٦٢].

٦٠- حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) دار الجيل، بيروت-لبنان،٢٠٠٥ ، ص٩٣٤.

٦١- أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامربن حبيب الحميري، لقب بالحبيب، شاعر من شعراء الأندلس، توفي سنة ٤٤٠ هـ.

٦٢- حنّا الفاخوري - الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص٩٣٤-٩٣٥ .

انتشار الشعر :

شاع الشعر في الأندلس شيوعا واسعا. وانتشر في جميع الطبقات، فزاوله الملوك والقضاة والوزراء وأنشده القضاة والعلماء. وقاله الأعمى المتسوّل والساعي المتجوّل وفاه به القائد في مقدمة الجيوش والجندي في ميادين القتال. حتى لتحسب أن الشعر في الأندلس لغة الحياة وأن الحياة شعر وألحان. والذي يلفت النظر في الموضوع أنّ للريفيين في الشعر الأندلسي أعمق الأثر، قال هنري بيريس[٦٣]: "لم يكن عمل الفلاحة ليلف الحياة الريفية لفا كاملا. ولم يكن الفلاح ليذوب في عمله كيانا وبيانا، بل كانت له فلتات أحلام وانسيابات خيال وإلهام. ولن نخرج عن جادة الصواب إذا قلنا إنّ أعمق الشعر شخصية هو شعر الرجال والنساء الذين كانوا ألصق بالأرض وأقرب إلى الطبيعة. فقد تسربت إلى شعرهم عذوبة المشاهد وقسوتها. فهم الذين أكسبوا الشعر الأندلسي تلك الميزة الريفية التي تصلها بأصدق ما كتبه اليونان والرومان في موضوع الريف"[٦٤].

وقد بلغ انتشار الشعر ذروته منذ القرن الحادي عشر. وكان ذلك فريدا في تاريخ العرب. فكان الشعر في الأندلس شعبيا بكل ما في الكلمة من معنى، وكان تنفس الحياة بكل ما في الكلمة من معنى وكان لغة الجميع. "فهو للعامل والفلاّح أنشودة الجمام بعد التعب، وهو للكاتب والوزير والأمير انفلاتة من عبودية الهموم والمهام. وهو للشعراء الرسميين وسيلة للتكسب وكسب لقمة العيش، كما هو في الوقت نفسه مجال لإنطلاق الفنّ. وهو للجميع موضوع فخر ومباهاة، ومجال حرّ لا يضيق بوزير ولا أمير. والأندلسيون يميلون إليه لأنه شعر ولأنه كلام موزون ينطلق من الشفاه ألحانا وأنغاما، لأنه كلام مجنّح وموسيقى قبل أن يكون خطابا"[٦٥].

٦٣- هنري كونت بيريس (١٩٠٨- ١٩٩٩)، كاتب فرنسي.
٦٤- حنا الفاخوري –الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص٩٣٦.
٦٥- المصدر السابق، ص٩٣٥-٩٣٦.

مراحل الشعر في الأندلس :

وللشعر الأندلسي ستة مراحل

الشعر في عهد الولاة: نشأ الشعر الأندلسي في عهدهم نشأة غامضة وكان صدى ضعيفا للشعر المشرقي تتردد فيه معانيه وأساليبه، ومن شعراء تلك الفترة بكر الكناني، وعباس بن ناصح ويحيى بن حكم الغزّال وحسّانة التميمية وغيرهم، وقد زاد التأثير البغدادي أنغام الجواري المشرقيات اللآتي حُملن إلى الأندلس من مثل قمر والعجفاء وأوتار علي بن نافع[٦٦] الملقّب بزرياب. وقد ظهرت في هذا العهد الأراجيز التاريخية كما ظهرت الموشحات على يد الشاعر الأندلسي مقدم بن معافي القبري الذي عاش في أواخر زمن الولاة، وانتشر شعر النَّورِيات[٦٧] والزّهديات والتاريخيات[٦٨].

كان في العرب الوافدين على الأندلس في تلك الفترة نفر ممن يقرضون الشعر، منهم أبو جعونة بن الصِّمة، وهو من العرب الطارئين على الأندلس وقد اشتهر بهجاء الصُّميل بن حاتم رئيس القيسية هناك، واشتهر أيضا بمدحه بعد أن تمكن منه فعفا عنه. ومن شعره:

"ولقد أراني من هواي بمنزل عال ورأسي ذو غدائر أفرعُ

والعيش أغيد ساقط أفنانه والماء أطيبه لنا والمرتع"[٦٩].

ومنهم أبو الخطار حُسام بن ضرار. وكان من أشراف القحطانيين في الأندلس

٦٦- أبو الحسن علي بن نافع، موسيقي ومطرب عذب الصوت في العصر العباسي، لقب بزرياب لأنه كان يمتلك صوت بارع وبشرة شديدة السواد لذا شبه الناس ب طائر الزرياب الذي كان أسود اللون وعذب الصوت.

٦٧- النوريات هي أن يخصص الشاعر مقطعة أو قصيدة بوصف نورة أو أكثر من النواوير دون سواها، تسمى تلك المقطعة أو القصيدة نورية، نسبة إلى النور.

٦٨- حنا الفاخوري – تاريخ الأدب العربي، ص- ٩٣٧.

٦٩- الدكتور أحمد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار غريب، القاهرة، ط ١١،٢٠١٠: ،ص٦٠.

وممن شهدوا فتوح المسلمين بإفريقيا وأبلوا فيها. وقد وفد حسام على الأندلس واليا سنة ١٢٥ هـ -٧٤٢م أيام هشام بن عبد الملك. وكان شاعرا فارسيا ولذا لقب بعنترة الأندلس، ولم يعثر إلى اليوم على قليل من شعره. فمن ذلك قوله في ثأر أخذه لعزيز من قومه:

"فليت ابن جوّاس يخبّر أنني سعيت به سعي امرئ غير عاقل

قتلت به تسعين تحسب أنهم جذوع نخيل صُرّعت في المسايل

ولو كانت الموتى تُباع اشتريته بكفي وما استثنيت منها أناملي"[٧٠]

الشعر في عهد بني أمية: ازداد الشعر في هذا العهد انتشارا لما اولاه الحكام من عناية ولما كان هناك من حركة علمية وأدبية، وهي أشبه شيئ بحركة أوائل عهد العباسي في الشرق، واشتهر اذ ذاك ابن عبد ربه (٩٤٠/٣٣٩) وابن هانئ الألبيري (٣٦٢هـ/٩٧٢م) والزبيدي (٣٧٩/ ٩٨٩) والمصحفي (٩٨٢/٣٧٢) وابن ادريس الجزيري (٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م). واشتهر في فترة الانتقال من العهد الأموي إلى عهد ملوك الطوائف ابن شهيد (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) وابن حزم (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) وهما من أظهر أعلام الثقافة الأندلسية، وقد شهدا سقوط خلافة الأموية، وبكيا قصر الخلافة في قرطبة لما عراها من خراب ودمار[٧١].

الشعر في عهد الإمارة: في ذلك العهد انهارت الخلافة الأموية، وتحولت بلاد الأندلس إلى إمارات، تنافسَ فيها الحكام في طلب العلم والأخذِ بأسباب الأدب وتقريب الشعراء، بل تنافسوا في نظم الشعر وكانوا يتراسلون فيما بينهم شعرا ويحاولون أن يعيشوا حياة شعرية، واشتهر في تلك الفترة المعتمد بن عبّاد، وابن زيدون ، وأبوبكر بن اللبانة الداني وأبو عبد الله محمد بن الحداد وغيرهم.

٧٠- المصدر السابق. ص٦١.

٧١-حنا الفاخوري – تاريخ الأدب العربي، ص٩٣٧.

الشعر في عهد المرابطين[٧٢]: وفي عهد المرابطين انحطّ الشعر انحطاطا مشئوما لأسباب شتى، منها أن ذلك العهد كان قصيرا لم يتهيأ لأصحابه من الوقت ما يهذّب خشونتهم ويرقق من أذواقهم، وإن الثقافة في العهد السابق لم تكن من العمق والمتانة بحيث يتهيأ لها البقاء في هذا العهد، وكذلك أن المشرق كان إذ ذاك في انهيار ولم يبق له على الأندلس إلاّ أثر ضئيل جدا. فراح الشعر يتضاءل ويتلاشى، وينزع نزعة الزجل والتوشيح، وانصرف نفر من أهل الحرص يجمعون الشعر الأندلسي خشية أن يضيع، فوضع أبو الحسن علي بن بسام مجموعته "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" ووضع أبو نصر الفتح بن خاقان القلاعي كتابه "قلائد العقيان". وقد تغلب في تلك الفترة ذوق العوام ومال الشعر الى كل ما هو سوقي واتسم بسمة البذاءة، وهكذا كان العهد عهد الهجاء اللاّذع والسخر العنيف، وعهد المتحررين والمُجّان من الشعراء وكذلك عهد كبار الزجالين. والشعراء المشهورون هم أبو إسحاق بن خفاجة و الأعمى التطيلي وابن بقي، واشتهر في الشعر الزجلي ابن قزمان.

الشعر في عهد الموحدين[٧٣]: كان عهد الموحدين عهد هدوء وسكينة، كما كان عهد علم عرف ابن طفيل، وابن رشد، وابن عربي، وابن زهر، واشتهر أبو عبد الله محمد بن غالب البلنسي المعروف بالرصافي، وأبو بحر صفوان بن ادريس الجِمْيري وإبراهيم بن سهل الاسرائيلي وعدد من النساء اللاتي تعاطين القريض مثل حفصة الركونية وغيرها.

الشعر في عهد بني الأحمر[٧٤]: فكان عهد بني الأحمر في غرناطة عهد انحلال اشتهر فيه الوزير لسان الدين بن الخطيب (١٣١٣ – ١٣٧٤م) والوزير محمد بن

٧٢- الدولة المرابطية هي دولة إسلامية ظهرت خلال القرن الخامس والسادس الهجري في منطقة المغرب الإسلامي.

٧٣- الدولة الموحدية هي دولة إسلامية أسسها الموحدون في القرن السادس الهجري، وهم من سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب والأندلس.

٧٤- دولة بني الأحمر آخر السلالات الإسلامية حكمت في الأندلس.

يوسف الشريحي المعروف بابن زمرك (١٣٣٣- ١٣٩٣م) وقد رددا أصداء الماضي المولّي في نغم نادر الجمال والروعة.

وهذه المراحل مر بها الشعر الأندلسي ومن خلالها أن الشعراء قليلو العدد قبل القرن الحادي عشر وأن شعرهم تقليد للشعر العباسي في موضوعاته وأساليبه. وقد ازداد عدد الشعراء بعد ذلك العهد وتضخّم الإنتاج الشعري وظهرت فيه الشخصية الأندلسية والنزعة الشعبية، وإذا الشعر على ألسنة جميع الطبقات، والحكام والأمراء والوزراء وأرباب الفقه والأطباء والمتصوفون، والعميان والعمال وغيرهم يتعاطون القريض[٧٥].

٧٥- حنا الفاخوري – تاريخ الأدب العربي، ص٩٣٩.

الفصل الثاني

فنون الشعر الأندلسي

فالشعر في الأندلس لم يكن يقتصر على الشعراء وحدهم، ولكن شارك في نظمه كثيرون من أهل البلاد على اختلاف أهوائهم ومشاربهم، وقد نظم الأندلسيون في جميع فنون الشعر العربي، وزادوا عليها بعض فنون اقتضتها ظروف بيئتهم وأوضاع مجتمعهم.

ويمكن تقسيم الفنون التي نظموا فيها إلى ثلاث مجموعات :

الأولى : مجموعة الفنون التقليدية التي جارَوا فيها شعراء المشرق، وإن اختلفت طريقة التعبير فيها عندهم في بعض أجزائها. ومن هذه الفنون: الغزل والمدح والرثاء والحكمة والزهد والإستعطاف والهجاء والمجون.

والثانية : مجموعة الفنون التي لا تخرج عن كونها من الفنون التقليدية أيضا، ولكن الأندلسيين توسَّعوا بالقول فيها لوجود مقتضيات هذا التوسع ودواعيه في مجتمعهم. وهذه الفنون هي الحنين وشعر الطبيعة ورثاء المدن والممالك والشعر العلمي.

والثالثة : مجموعة الفنون الشعرية المحدَثة التي لم يُسبَقوا إليها، وهذه هي : الموشحات والأزجال وشعر الاستغاثة أو الاستنجاد.

وكل فنون الشعر الأندلسي تجمع بينها سمات عامة مشتركة، ثم ينفرد كل فن بعد ذلك بسمات خاصة تميزه وفقا لطبيعته .

فنون الشعر الأندلسي التقليدية :

١- الغزل

من أهم الأغراض التي عالجها الشعر الأندلسي، وأوضح سماته تتجلى في رقته الناشئة من التفنن البياني في وصف محاسن من يقع الشعراء في حبهن من نساء الأندلس الجميلات وفي تصوير مشاعرهم المتضاربة تجاههن من وصل وهجر، وقرب وبعد، وإقبال وإعراض وما أشبه ذلك من التجارب التي يدور حولها موضوع الغزل.

شعر الغزل فهو غزل حسي يقف عند حدود الوصف المادي مستعيرا أوصاف المحبوب من البيئة حوله.

كان من المتوقع أن ينفعل الشاعر الأندلسي بمؤثرات الحياة الجديدة من طبيعية واجتماعية، فيبدل من نظرته إلى المرأة ومن مفهومه لقيم الجمال فيها، وظل الغزل الأندلسي كأخيه المشرقيّ غزلا حسيّا بعيدا عن تصوير خلجات النفوس وما يضطرب فيها من شتى المشاعر.

ومن مواقف شعراء الأندلس بالنسبة للتجربة الغزلية اتجاهين: اتجاه من اتخذوا الغزل طريقا للهو والمتعة. ومن مثال ذلك قول علي بن عطية البلنسي:

"ومُرتجّةِ الأعطــاف أمّا قوامها

فلدن، وأمّا ردفهـــــــا فرداح

ألمّت فصـار الليل من قصر به

يطير، وما غير السرور جناح

وبتّ وقد زارت بأنعــم ليلـــة

يعانقني حتى الصباح صبـــاح"[٧٦]

واتجاه من تغزلوا تعبّدا بالجمال، حيث اتخذوا من العفاف حائلا بينهم وبين الغواية، ومن مثال ذلك الإتجاه قول ابن فرج الجيّاني:

"بأيّهمـــا أنا فـــي الحبّ بـادي بشكر الطيـف أم شكر الرقـــاد؟

سرى فازداد بي أملي ولكـن عففـــت فلم أنل مـنه مـــــرادي

وما في النوم من حرج ولكن جريت من العفاف على اعتيادي"[٧٧]

ومن اتجاهات الغزل الأندلسي أيضا والمتأثرة بالبيئة التغزل بالنصرانيات وذكر الصُلبان والرُهبان والنسّاك والكنائس، ومن ذلك غزل ابن الحداد في صبية نصرانية تُدعَى "نويرة"،ومن قوله فيها :

"وبين المسيحيات لـي ســـامريّة بعيد على الصبّ الحنيفيّ أن تدنـو

مثلّثـة قـــد وحّد الله حســـــنها فتُثّنيَ فـي قلبـي بها الـوجد والحـزن

وفـي معقد الزنّار عقد صبـــابتي فمن تحته دعص ومن فوقه غصن

وفي ذلك الوادي رشا أضلعي له كنـــاس، وقمريّ فؤادي لـه وكـن"[٧٨]

قد شاع بين شعراءالأندلس "الغزل بالمذكر"، وكانوا فيه مقلدين لبعض شعراء العباسيين. ومن أكثر شعراء الأندلس غزلا بالمذكر ابن سهل الإسرائيلي، ومن شعره في فتا اليهوديّ موسى قوله:

"ولمّا عـــــزمنا ولم يبق من مُصانعة الشوق غيرُ اليسيـر

بكيتُ على النهر أُخفي الدموعَ فعرّضـها لونـهـــا للظهـــور

٧٦- د. عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس، ص١٧٠.
٧٧- المقري - نفح الطيب، ج٤، ص٤٠٢.
٧٨- د. عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص: ١٧٣.

ولو علم الركب خطبـــي إذن لما صحبونـــي عند المسيـــر

إذا ما سرى نفسي فـي الشراع أعادهم نحـــو حمص زفيري

ومَنّ الفـــــراق بتوديعـــــه فشَبّهتُ ناعي النّوى بالبشيـــر

وقبّلتُ وجنتـــه بالدمـــــوع كما التُقِطتْ وردةٌ من غديـــر

وقبّلتُ فـــي التّرب منـــه خُطًا أُميّـــــــزها بشميـم العبيـــر

أموســـى تملَّ لذيذ الكـــــرى فليلـي بعدك ليـــلُ الضريـــرِ"[٧٩]

ومن عيون شعر ابن زيدون في الغزل تلك القصيدة الرائعة التي كتبها بعد فراره من سجنه بقرطبة إلى إشبيلية، ولكن قلبه جذبه إلى محبوبته بقرطبة،فأرسل إليها بتلك القصيدة النونية التي يقول فيها:

"أضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ألا وقد حان صبح البيْنِ صَبحَنا حَين فقام بنا للحـين ناعـينا"

٢- المدح

لم يختلف المدح عند شعراء الأندلس عن المدح عند إخوانهم المشارقة، فقد نظموا المدائح وأكثروا فيها مثل الشعراء الكبار ابن هانئ الأندلسي وابن دراج القسطلي وابن حمديس الصقلي، قد خرج أكثر شعرهم في المديح.

فكان معظم شعر المدح موجها إلى أمراء الأندلس وخلفائه وملوكه وحكّامه، وكان يتناول من حيث المضمون جانبين، أولهما الصفات التي يخلعها الشعراء على ممدوحهم من الشجاعة والمروءة والوفاء والكرم، وثانيهما انتصارات الممدوحين التي هي نصر للإسلام والمسلمين، ثم وصف جيوشهم ومعاركهم الحربية.

٧٩- المصدر السابق، ص١٧٣.

ويتنوع أسلوب المدح بين الجزالة والفخامة، والرقة والسهولة، وفقا لطبيعة المعاني المعبّر عنها، ولكنه بوجه عام يميل إلى التأنق في العبارة والصياغة. فطرائقهم في بناء قصائد المدح، إنها تختلف من شاعر إلى آخر، فمنهم من ينظم قصيدته على موضوع المدح وحده، فيدخل فيه من غير مقدمات. ومنهم من ينظمها على موضوعين فيستهلّها مثلا بالغزل أو وصف الطبيعة، أو الخمر أو الشكوى، ثم يخرج إلى المدح. ومنهم أيضا من ينظمها على ثلاثة موضوعات، فيستهلّها باثنين من هذه الموضوعات حتى إذا بلغ غايته منهما ينتقل إلى المدح[٨٠].

وقد تختلف طريقة بناء قصائد المدح بين شاعر وآخر، فبعضها كان يجري على سنن الأقدمين، فكان من تقاليد قصائد المدح عندهم أن تبنى من مقدمة طَلَلِية ونسيب ووصف للرحلة، ثم يتخلص إلى المدح. بينما يجد منهم من يعمد إلى موضوعه مباشرة دونمقدمات.

ومن شروط المدح الجيد عند النقاد، أن يكون أسلوبه جزلا وأن تكون ألفاظه متخيرة، وأن تكون القصيدة متوسطة الطول، وذلك خشية من سأمه إن كانت طويلة. وبعض الشعراء يرى الإطالة في المدح ضربا من الهجاء.

ومن أشهر شعراء الأندلس في هذا الفنّ ابن حمديس وابن هانئ الأندلسي وابن زيدون وابن درّاج القسطلي.

ومن المدائح التي بنيت على المدح فقط شعر ابن حمديس في مدح الأمير عليّ بن يحيى، قوله:

"يُفشي يداك سرائر الأغماد لقِطاف هام واختلاء هواد

إلاّ على غزو يبيدُ به العدى للهِ من غزو له وجهاد

٨٠- د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص١٨٦.

وعزائـِمِ ترميهـــمُ بضراغم تستأصلُ الآلافَ بالآحـــــاد

من كلّ ذِمْرٍ في الكريهةِ مُقْدِمٍ صـــــالٍ الحرّسعيرها الوقّاد

كسناد مَسمُرةٍ وقَسوَرِ غَيضَةٍ وعُقـــــابِ مَرْقَبَةٍ وحيّةِ واد"[٨١]

ومن المدح الذي استهلّبوصف الخمر فوصف الطبيعة، قول ابن عمار في مدح المعتضد بن عبّاد:

"أدر المدامة فالنسيـــــــم قد البرى والنجم قد صرف العنان عن السّرى

والصبح قـد أهدى لنا كافـــــــوره لما اســتردّ الليـــل منه العنبـــــرا

والروض كالحــسنا كســـــاه زهره وشـيا وقلّده نـــــداه جوهـــــــرا

أو كالغلام زها بـــــــورد خـدوده خجلا وتـــــاه باسـهنّ معـــــذّرا

روض كأن النهـر فيـــــــه معصم صـــــاف أطلّ علـــى رداء أخضـرا

وتهزه ريـــــــح الصـبا فتخالـــــه سـيف ابن عبـّاد يبدّد عسكـــــرا

مالك إذا ازدحـمّ الملـــــوك بمورد ونحـاه لا يردون حتـــى يصـــدرا

أندى علـــى الأكبـــــاد من قطرالنّدى وألذّ فـــي الأكفان من سنة الكـــرى

يختـار إذ يهـــب الحريدة كاعبـــــا والطّرف أجرد والحســـام مجوهرا

أيقنت أنـــي من ذُراه بجنّـــــــــــة لمآ سقانـــــي من نداه الكوثـــــــرا

وعلمت حقا أن رَبعـي مخصـــــب لمّـا سألت بـه الغمام الممطـــرا"[٨٢]

٨١- ديوان ابن حمديس، رومية الكبرى ١٨٩٧، ص١٢٠.
٨٢- نفح الطيب، ج ٢، ص١٧٧.

٣- الرثاء

ويقال له أيضا التأبين، واذا كان المدح هو الثناء على الشخص في حياته فإن الرثاء هو الثناء على الشخص بعد موته وتعديد مآثره والتعبير عن الفجيعة فيه شعرا[٨٣].

إن مراثي الأندلسيين مختلفة، تختلف اتجاهات الشعراء ومذاهبهم فيها لنزعة كل شاعر منهم في هذا الفن وعلاقتِه بالشخصيات التي يعرض لها بالرثاء.

فمن هذه الاتجاهات: اتجاه الذي ينبع من العقل أكثر مما ينبع من القلب، فالمرثية عند أصحاب هذا الاتجاه تبدو من منظور عقليّ، وكأنها صيغت لتخفيف المصاب على قلوب المصابين بالعظة والعبرة بضرب الأمثال بمن أبادهم الدهر، وأفناهم في الغابر من الأمراء والملوك.

وهذا نموذج من مراثي أصحاب هذا الاتجاه، قال ابن عبدون في رثاء الوزير الفقيه أبي مروان بن سراج :

"ما منك يا موت لا واق ولا فادي

الحكم حكمك في القاري وفي البادي

يا نائم الفكر في ليل الشباب أفق

فصبح شيبك في أفق النّهى بادي

سلني عن الدهر تسأل غير إمّعة

فألق سمعك واستجمع لإيرادي

نعم هو الدهر،ما أبقت غوائله

على جديس ولا طسم ولا عاد

٨٣- د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص: ١٩٤.

وأســـــلمت للمنايا آل مسلمـــــــة

وعبـــــدّت للرزايا آل عبّـــــــاد"[٨٤]

واتجاه العلماء الشعراء، كان مراثي هؤلاء تاريخ لمن يرثونهم أو ترجمة حياتهم ويعدّدون أعمالهم وآثارهم في كلام لا يجمعه بالشعر إلا بالنظم. فيرثي عالم شاعر الفقيهَ أبا مروان بن سراج، يقرر الشاعر فيه أنه إمام في علوم الدين والنحو والحديث والقرآن، يقول :

"أودَى سراج المجد وابن سراجـــه

فلنـــور شمس المكرمـــات أفـــولُ

لو كان علـــم الدين يبكـــي ميتـــــا

لبكـــى الحديث عليـــه والتنزيـــــلُ

كم من حديث للنبـــي أبـــــــانـــه

فبدت لـــه غُرر تُـــرى وحُـجُـــول

كم مصعب فـــي النحو راض جماحه

حتـــى غدا والصعـــبُ منه ذلـــول"

واتجاه الشعراء الرسميين ممن ينهضون لرثاء الملوك وبعض أفراد أُسرهم. يكون هذه المراثي قوية في صياغتها ضعيفة في عاطفتها. ومن أمثال ذلك مرثية ابن زيدون في أبي الحزم .

"أبا الحزم" قد ذابت عليك من الأسى قلوب مُناها الصبر لو ساعد الصبر

"دع الدهـــــر يفجع بالذخائر أهله فما لنفيس مذ طواك الردى قـــدر

٨٤- د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص: ١٩٩.

تهون الرزايا بعـــــد وهـــي جليلة ويعرف مُذ فارقتنا الحادث النُـــكر

فقدْناك فقْدان السحابـــــة لم يـــزل لها أثر يُثنِـــي به السهـــل والوعر

مســـاعيك حَليٌ للّيالـــــي مُرصّع وذكرك فـــــي أردان أيامها عطـر

فلا تبْعَـــــــدن إن المنية غايـــة إليها التناهي طال أو قصر العُمر"[٨٥]

واتجـاه أخيـر فـي مراثـي الأندلسـيين وهـو رثـاء الآبـاء والامّهـات والأبنـاء والأصـفياء، وهـذا الإتجـاه هـو الـذى تتجلـى فيـه العاطفـة الصـادقة فمـن مراثـي المعتمد بن عباد لولدين له قُتلاغيلة على أيدى رجال يوسف بن ثاشفين قوله :

"يقولون صبرا لاسبيل إلى الصبر

سأبكي وأبكـي ماتطاول من عمـري

هوى الكوكبـــان الفتح ثم شقيقـــــه

يزيد، فهل بعد الكواكب من صبر؟"[٨٦]

ويعد ابن حمديس الصقلي من اكثر شعر الأندلس قولا فـى الرثـاء وفـي ديوانـه من المراثي الرسمية لبعض من كان له بهم اتصال من الامراء والأشراف وقواد الجيـوش، ولـه قصـائد أخـرى رثـى بهـا أبـاه وزوجتـه وبنتـه وعمتـه وابـن أختـه وجاريـة لـه. وتتميّـز هـذه المراثـي بجـود الصـياغة وصـدق العاطفـة وقوتهـا وحرارتها[٨٧].

ومن أشجى مراثيه حقا مرثيته لزوجته التي جعلها على لسان ولده عمرد، بقولـه :

٨٥- ديوان ابن زيدون رسائله أخباره شعر الملكين، شرح كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة، الطبعة الأولى، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٢. ص١٥١.

٨٦-د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص: ٢٠٢

٨٧- المصدر السابق، ص٢٠٣.

"أيّ خطب عن قوسه الموتُ يَرمي

وســـــهام تصـــيب منــه فتُصمي

يُســـــرع الحي فـــــي الحياة ببرء

ثـــــم يُفضي إلـــــى الممات بسُقم"

٤- الحكمة:

الحكمة قول موجز رائع يتضمن حكما صحيحا مسلما، وقلما يخلو أدب أي امة من حكماء خلّفوا وراءهم اقوالاً رائعة أودعوها خلاصة فلسفتهم وتجاربهم في الحياة ونظرتهم إليها وموقفهم منها.

فالأدب العربي في كل عصر من عصوره لم يخل من حكماء عبّروا عن آرائهم وتجاربهم الخاصة في أقوال من الشعر أو النثر.

إن شعراء الأندلس قد اقتفوا أثر المشارقة في هذا الفن وفاقوهم فيه. فإنه لم ينشأ من حكماء العرب وفلاسفتهم شعراءُ مجيدون قدر من نشأ منهم بالأندلس وحدها، ولم يكن للفلسفة تأثير على شعرهم إلاّ من جهة معانيه الشعرية فإنها صارت من سموّ الخيال وبراعة الإبتكار وقوة التصور بحيث تدل على عقل صاحبها دلالة المطابقة. وبذلك زادوا في محاسن الشعر.

نموذج لهذا الفن:

قال الشاعر التطيلي الإشبيليّ الضرير:

"لك الله خـــــوّفتَ العِدا وأمِنتَهم

فذُقتَ الردى من خيفة وأمـــــانِ

إذا أنت خوّفت الرجـــال فخَفهَمُ

فإنك لا تُجزى هوى بهـــــوان"[٨٨]

٥- الزهد:

عرف الشعر الأندلسي الزهد في جملة الأغراض الشعرية المألوفة، وكان ابن أبي زمنين من رجال القرن الرابع أحد الذين طرقوا هذا الفن. وكان هذا اللون من الشعر يتردد على قلة عند بعض الشعراء على وجه تلقائي غالبا، تقف وراءه خطرات الشعراء وظروف الحياة بعد التقدّم في السن والملاحظات العابرة لوجوه الحياة المختلفة. وكان القرن الخامس الهجري في ظل دول الطوائف منطلقا لعدد غير قليل من الشعراء لنظم شعر الزهد.فبعض الشعراء غلب الزهد على دواوينهم أو مجموعاتهم كأبي اسحاق الإلبيري[٨٩].

أما شعر الزهد فقد تفوق الأندلسيون فيه على شعراء المشرق من حيث غزارة الإنتاج وتوليد المعاني ورسم الصوري المؤثرة القوية. ومن أشهرهم في هذا الفن ابن عبد ربه وابن حمديس والغزال.

ومن أحسن شعرالأندلسيين في الزهد من حيث الشكل والمضمون قصيدة ابن حميديس، قوله في الزهد:-

"يا ذنوبي ثقلتِ واللـــه ظهـــري

بان عذري،فكيف يقبـــل عذري؟

كلما تبت ســـــاعة عدت أخرى

لضروب من سوء فعلي وهجري

ثقلـتْ خطوتـــــي وفوْدي تفرّى

غـيهبُ الليل فيه عن نـــور فجر

٨٨- د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص: ٢١٣

٨٩- د. محمد رضوان الداية – في الإدب الإندلسي، ص:٨١

دبّ موت السـكون في حركـاتي

وخبا فـــي رماده حمر جمـــــري"[٩٠]

٦- الهجاء

الهجاء ضد المديح، ولما كان المدح الجيد المصيب إنما يكون بالفضائل النفسية فكذلك الهجاء الجيد إنما يكون بسلب هذا الفضائل.

ولم يخل الشعر الأندلسي من الهجاء فقد اقتفوا أثر المشارقة في هذا الفن أيضا، مع إختلاف فيما بينهم من طول الهجاء وقصره. فالهجاء عند المشارقة تكثر فيه قصائد الطوال وتقل فيه المقطعات وهذا عكس على هجاء الأندلسين حيث تكثر فيه المقطعات وتكاد تنعدم الطوال"[٩١].

ومن خلال الهجاء الأندلسي له عدة إتجاهات عندهم ومنها:

إتجاهة هجاء الفقهاء المرائين والمتكسبين بالعلم والزهد، وهذا النوع من الهجاء أقرب إلى النقد الإجتماعي. قال ابن خفاجة الأندلسي في هجاء المتكسبين بالعلم والزهد:

"درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم

فيها صـــدور مراتب ومجالس

وتزهدوا حتـــى أصابوا فرصة

في أخذ مال مســـاجد وكنائس !"[٩٢]

واتجاه يتمثل في هجاء المرابطين وممن هجاهم اليكي والأبيض الإشبيلي.

٩٠- ديوان بن حمديس، ص٢٦٥.
٩١- - د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص: ٢٤٥.
٩٢- المقري - نفح الطيب ج٤، ص:٢١٨

واتجاه يتمثل في هجاء الملوك والحكام. وزعيم هذا الاتجاه أبو القاسم خلف ابن فرج، ومن هجائه:

"ناد الملـــوك وقـــل لـهم

مـــاذا الـــذي أحدثتهـــم ؟

أســـــلمتم الإســـــلام في

أيـــــدي العِدا وقعدتـــم !"[٩٣]

وإتجاه يُذكّر بشعراء العباسيين من حيث طول القصيدة وطبيعة الهجاء، وقد تفرد بهذا الإتجاه ابن هانئ الأندلسي.

ومن اتجاهاتهم هجاء شخصيات عامة. ومن اتجاهاتهم أيضا الهجاء الفاحش المليء بالقذف والسباب مما يؤذي المشاعر ويبعث الإشمئزاز في النفوس. وممن تناول هذا اللون من الشعر البذيء أبوبكر المخزومي هجاء الأندلس.

قول أبي بكر المخزومي في هجاء نزهون بنت القعلاعي:

"على وجه نزهون من الحسن مسحة

وإن كان قد أمسى من الضـوء عاريا

قواصد نزهـــون توارك غيـــــرها

ومَن قصدَ البحـــرَ استقلّ السواقيـــا"[٩٤]

٧- الإستعطاف

فن قديم من فنون الشعر العربي ويقال له أحيانا "الإعتذار" وقصيدة الإستعطاف تدور أكثر معانيها عادة على ترفق الشاعر في الإحتجاج على براءته مما نسب

٩٣- ابن بسام – الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج١، ق ٢، ص٣٧٤.
٩٤- د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص: ٢٥٤.

إليه واستمالة قلب المستعطَف أو المعتذر إليه ووصف ما يعانيه في سجنه من ضروب الإعانات والحرمان إن كان سجينا.

والنابغة الذبياني أول من فتح باب الإستعطاف في الشعر العربي، وفي صدر الإسلام يلتقي باستعطاف الحطيئة لخليفة المسلمين عمر بن الخطاب عند ما حبسا بسبب هجائه للزبرقان بن بدر صاحب رسول الله وعامل عمر على الصدقات.

فالأندلسيون قد اقتفى أثر المشارقة في شعر الإستعطاف. ومن بين جميع شعراء الأندلس نظم أربعة شعراء كبارا شعر الإستعطاف وأجادوا فيه، وهم أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي، وابن عمار وابن زيدون وأبو عبد الله الغساني البجالي.

نموذج من شعر ابن زيدون في الإستعطاف :

فله قصائد كثيرة في الإستعطاف أرسلها للأمير أبي الحزم ابن جهور الذي ألقى به في السجن بسبب ما أدخله خصوم الشاعر في روع الأمير من أنه يتآمر على حكمه ويطلق لسانه فيه جائه[٩٥].

قوله :

"إن طال في السجن إيداعي فلا عجبٌ

قد يودع الجفن حدُّ الصارمِ الذكر

وإن يُشبطْ أبا الحزم الرضَّي قدرٌ

عن كشف ضُرّي فلا عتبٌ على القدر"[٩٦]

٨- المجون

٩٥- المصدر السابق، ص٢٣٦.
٩٦- ديوان ابن زيدون، ص٩٤.

المجون هو خلطُ الجدّ والهزل وصلابة الوجه وقلّة الإستحياء وعدمُ مبالاة الإنسان بما يصنع أو يقول.

كان شعر المجون في العصر الجاهلي والعصر الأموي قليل. وقد كثر شعر المجون في العصر العباسي لأن خلفاء العباسيين والأمراء ووالوزراء كانوا يعقدون مجالسا للغناء والشراب، يحضرها الشعراء والمغنون، ولذا كثر في شعرائهم أهل المجون والخلاعة.

فإن شعر المجون أوالشعرَ الهزلي لم يكن له أثر يذكر في عصر دولة الأمويين بالأندلس، لأنها عصر فتوح وغزوات وبناء وتشييد، ومن ناحية أخري كان الحماس الدينيّ قويا في النفوس، له قداسته واحترامه، والناس يرهبون سلطانه ويخشون القائمين عليه من الفقهاء والقضاة. ولكن منذ عصر ملوك الطوائف بدأت الحياة الإجتماعية في الأندلس تنزع إلى الترف والرفاهية، وتنعتق شيئا فشيئا من صرامة الحكام والفقهاء كما أخذ كل ملك في حاضرته يتشبّه بخلفاء الأمويين، ويشجع الأدباء والشعراء والمغنين وبذلك أخذ اللهو يسري إلى حياة الخاصة والعامة ويضعف الوازع الدينيّ في النفوس ويتجرأ بعض الشعراء، فيقولون الشعر في الهزل والمجون ويتخذون منه مادة سمرهم في مجالس الشراب والأدب والغناء. وقد شاع هذا اللون من الشعر وكثر في عصر ملوك الطوائف ثم في عصور المرابطين والموحدين وبني الأحمر[٩٧].

وقد اتخذ المجون في الشعر الأندلسي صورا مختلفة أي أن يجعل الشاعر نفسه موضوع السخرية التي يبني عليها قصيدته، وذلك بأن يعرض نفسه على من يخاطبه من أهل الكرم والعطاء في صور ساخرة ضاحكة يستدرّ بها عطفه وعطاءه.

٩٧- د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص: ٢٥٨.

ومن الشعراء المجّان أبو عبد الله محمد بن مسعود، كان كثير الهزل في نظمه ونثره، وأبو عبد الله الأرزق وابن الأبيض وابن هانئ الأندلسي.

ومن قول أبي عبد الله الأرزق في المجون:

"عم باتصـــــال الزمن، ولا تبالـــي بمنِ

وهو يواسي بالرضا، من سمج أو حسن

لا أمّ لي لا أمّ لـي إن لم أُبرّد شجنـــــي

وأخلعنّ في المجون والتصـابي رسنـــي

يا عاذلي في مذهبي أرداك شرب اللبن

فلا تكن لي لاحيا وفي الأمور استفتني"

فنون الشعر الأندلسي الموسعة :

١ـ الحنين

الحنين إلى الوطن هو أدب ينضح بالروح الوثّابة والعاطفة المشبوبة التي لا تخلو غالبا من ميل إلى الحزن والتأمل. وكذلك لا يخلو هذا الشعر من نسائم الأمل بالعودة أو تسجيل خطرات النفس في هواجسها ودمعات المُقل في انسيابها ووفرات الشوق في تصعيدها[٩٨].

وإذا كان المشارقة لهم الفضل السبق إلى شعر الحنين، فإن الأندلسيين قد لحقوا بهم أوتقدموا عليهم في هذا الفن وفاقوهم فيه كماً وكيفا[٩٩].

لقد توسع شعراء الأندلس في شعر الحنين أكثر مما توسع فيه المشارقة سبب ذلك في الواقع أمرين: أولهما التقليد الذي جرى عليه الأندلسيون من الرحلة

٩٨ - د. محمد رضوان الداية – في الإدب الأندلسي، ص: ١٣١.
٩٩ - د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص: ٢٧٣.

المطردة إلى المشرق لطلب العلم، وثانيهما أن معظم من رحلوا من الأندلس كانوا من ذوي القلوب والأقلام الشاعرة. فهذين الأمرين سبب لفيضهم الغزير من شعر الحنين وتوسعهم في هذا الفن.

فكان الأندلسيون كلما اشتدت عليهم وطأة الإغتراب ونالت من نفوسهم، فزع الشعراء منهم إلى الشعر يبثونه توْقهم وحنينهم المشبوب إلى أوطانهم وأهلهم وأحبابهم.

وأهم المعاني التي تدور عليها قصائد الحنين عندهم، هي : الشوق إلى الأوطان وتجاربهم الذاتية في ديار الغربة وتصوير ملاعب الصبا وذكر ايامهم وعهودهم السعيدة في ديارهم، ومدح الإغتراب عند بعضهم وذمه عند البعض الآخر والمزج بين الحنين والطبيعة في صورهم الشعرية وتفضيل البقاء في البطن مع الشظف والفاقة على الاغتراب مع الغنى والسعة. وتصويرما لقيه بعضُهم في ديار الغربة من عدم الترحيب والتقدير والندم على مجازفته بالاغتراب"[١٠٠].

نماذج من شعر الأندلسيين في الحنين:

قال أبو الحسن علي بن سعيد العنسي: لما قدمت مصر والقاهرة أدركتني فيهما وحشة أثارت لي تذكرَ ما كنت أعهد بجزيرة الأندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضا خصيبا وصحبت بها الزمان غلاما ولبست الشباب بردا قشيبا، فقلت :

"هذه مصر فأين المغـــرب؟ مذ نأى عني فعيني تسكب

فارقته النفس جهلا، إنمـــــا يعرف الشيء إذ ا ما يذهب

أين حمصٌ؟ أين أيامـــي بها؟ بعـــدها لم ألق شيئا يعجب

كم تقضّي لـــــي بها من لذة حيث للنـــهر خرير مطرب

---

١٠٠ - المصدر السابق، ص٢٧٤.

وحمـــــام الأيك تشدو حولنا والمثاني فـي ذراها تصخب

أيّ عيش قد قطعناه بهـــــا ذكره من كل نُعمى أطيب"[١٠١]

وقال نور الدين بن سعيد يتشوق إلى إشبيلية وهي حمص الأندلس:

"لولا تشوقُ أرضِ "حمص" ما جرى

دمعـــي ، ولا شمِتت بـــيَ الأعـداءُ

بلدٌ متـــى يخطُـرْ لـه ذكـــرٌ هفـا..

قلبـــي، وخـــــان تصبُّـرٌ و عـزاءٌ

من بعده ما الصبـح يُشـرق نـــــورُه

عنـدي ، ولا تتبـــدّل الظـلمـــــــــاء

إن الفراق هو النيّـــــة ... إنمـــــــا

أهل الهوى مـــاتو وهـــم أحيـــــــاء"[١٠٢]

يقول ابن زيدون من قصيدة مخمسة:

"أقرطبة الغراء هل فيك مطمـــــــع؟

وهـــل كبد حَرّى لبينـــك تنقـــــــع؟

وهـــل للَيـاليكِ الحميـدةِ مرجـــــــع؟

إذ الحُسن مرأى فيك واللهو مسمعُ واذْ كنف الدنيـــا لديـكِ مُوطّـأُ"[١٠٣]

١٠١- المصدر السابق، ص٢٧٤.
١٠٢- المقري - نفح الطيبج -٢، ص٢١٠.
١٠٣- د. محمد رضوان الداية – في الإدب الأندلسي، ص١٣٤.

٢- رثاء المدن والممالك

هذا الفنّ من فنون الشعر الموسعة، فهذا اللون في المشرق لم يزدهر كازدهاره في الأندلس، لأن طبيعة التقلبات السياسية في الأندلس كانت أشد حدة وأسرع إيقاعا. وأنها اتخذت شكل المواجهة بين النصارى والمسلمين حين تجمع الصليبيون عازمين على طرد المسلمين وإخراجهم من الأندلس.

ومن الواضح أن عددا من قصائد رثاء المدن في الأندلس لشعراء مجهولين. وذلك إما بخشيتهم من السلطان القائم بسبب نقدهم للأوضاع السياسية وإما بعنايتهم بالحس الجماعي واستثارته كانت أكثر من عنايتهم بذواتهم الشاعرة. يقوم هذا الرثاء على مقارنة بين الماضي والحاضر –ماضي الإسلام في مجده وعزه، وحاضره في ذله وهوانه. كان سقوط مدينة طليطلة في أواخر القرن الخامس الهجري بداية المأساة، فهي أول بلد إسلامي يدخله الفرنجة.

ذكر عنها صاحب كتاب "نفح الطيب": أن مِن أول ما استرده الإفرنج من مدن الأندلس العظيمة مدينة طليطلة، فقد استولى عليها النصارى بقيادة الأذفونش في شهر محرم سنة ٤٧٨هـ. من صاحبها القادر بالله بن ذي النون بعد حصار دام سبع سنين. وكان سقوطها في أيدي النصارى بالنسبة للأندلسيين مصابا جللا هز نفوسهم هزا عنيفا[١٠٤].

يقول شاعر مجهول يرثي طليطلة في قصيدة طويلة:

"لثُكلكِ كيف تبتســـم الثغــور سرورا بعدما بئِستْ ثَغورُ؟

أما وأبـــي مصــاب هدّ منـــه ثبير الدين فاتصل الثبـــور

لقد قصمت ظهور حين قالــوا أمير الكافرين له ظهـــور

ترى في الدهر مسرورا بعيش مضى عنا لطيّته الســرور

١٠٤ - د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص:٣٢٠

أليس بها أبـيّ النفس شهـم يديـر الدوائر إذ تدور"[١٠٥]

ثم يعرض الشاعر ما جرى في طليطلة وكيف كانت معقلا صعبا؟ يفوق بضخامته ومنعته إيوان كسرى والخورنق والسدير، لقد أخرج أهلها وشردوا عن ديارهم وحولت مساجد المدينة إلى كنائس يسمع فيها دق النواقيس بدلا من صوت الآذان. قال:

"طليطلة أباح الكفر منهـا حماها، إنّ ذا نبأ كبيـر

فليس مثالها إيوان كسرى ولا منها الخورْنقُ والسديـر

محصنة محسّنة بعيـد تناوُلُهـا ومطلبهـا عسيـر

ألم تك معقِلا للدين صعبا فذ لله كما شـاء القديـر

وأخرج أهلها منها جميعا فصاروا حيث شاء بهم مصير

وكانت دار إيمـان وعلم معـالمها التـي طمست تنيـر

فعادت دار كفر مصطفاة قد اضطربت بأهليها الأمـور

مساجدها كنائس، أي قلب على هذا يقرّ ولا يطيـرُ؟"[١٠٦]

وفي خاتمة القصيدة يتمنى الشاعر أن يظهر قائد ذو رأي ومشورة يستعان به وقت الشدائد ويكر إذا أقبلت السيوف ويتقدم عند اللقاء، ويستعظم الشاعر أن يكون الأمر قد بلغ بسكان الأندلس أن يكون إما قتيل أو جريح، وقد تنغصت الحياة ولا من مجير. أخيرا يتضرع الشاعر إلى الله لنصرة المسلمين، فهو نعم النصير.

"ألا رجل له رأي أصيـل به مما نُحاذر نستجيـر؟

١٠٥- المقري - نفح الطيبج ٤، ص: ٤٨٣.
١٠٦ - نفح الطيبج ٤، ص: ٤٨٣-٤٨٤.

يكر إذا السـيوف تناولته وأيـن بنا إذا ولّت كـرور؟

ويطعن بالقنا الخطّـار حتى يقول الرمح: ما هذا الخطيـر

عظيم أن يكون النـاس طرّا بأندلس قتيل أو أسيـــــر

أذكر بالقراع الليث حرصا على أن يقرع البيض الذكور

يبادر خرقها قبل اتســـاع لخطب منه تنخسف البـدور

يوسّـع الذي يلقاه صـــدرا فقد ضاقت بما تلقى صـدور

تنغّست الحياة فلا حيـــاة وودع جيرة إذ لا مجيـــر

فليـــل فيـــه همّ مستكنّ ويـوم فيـه شرّ مستطـير

ونرجـو أن يتيح الله نصرا عليهم ، إنه نعم النصيـــرُ"[١٠٧].

وفي رثاء المدن أو تصوير أحوالها البائسة وظروفها السيّئة ما أنشده ابن حزم في تصوير حال قرطبة بعد الفتنة وما أصابها من التدمير والخراب. وقد تناول الكلام على ما أصاب قرطبة من شعرائها مثل ابن دراج القسطلي وابن شهيد وابن حزم.

يقول ابن حزم في رثاء قرطبة:

"سلام على دار رحلنا وغودرت خلاء من الأهليـن موحشـة قفرا

تراها كأن لم تغـن بالأمس بلقعا ولا عمرت من أهلها قبلنا دهرا

فيا دار لم يقفرك منا اختيـارنا ولو أننا نسـتطيع كنت لنـا قبـرا

ولكـن أقدارا من الله أنفـذت تدمرنا لما حـل أو قهـرا

---

١٠٧ - المقري - نفح الطيبج ٤، ص: ٤٨٦.

فيـا خيـر دار قد تركت حميـدة سقتك الغوادي ما أجل وما أسرى

ويا دهرنا فيها متـى أنت عائـد فنحمد منك العود إن عدت والكرا

ويا مجتلى تلك البســـاتين حفها ريـاض قوارير غدت بعدنا غبرا"[١٠٨]

والطـابع الغالـب علـى هذا النـوع مـن الرثـاء هـو الأسـى العميـق والتمـاس العظـة والتأسـي فـي قيـام الـدول ثـم زوالهـا منـذ القـدم، وإرجـاع نكبـتهم إلـى فعـل الـدهر وتصـوير مـا أصـاب الإسـلام والمسـلمين فـي الأنـدلس مـن ذلّ وهـوان، وتعلّقهـم بـديارهم الجميلـة التـي أُجلـوا عنهـا، والتفجـع علـى الأهـل والرفـاق المشـردين والمقابلة القاسية بين هزلهم في حقهم وجِدّ عدوهم في باطلـه واستنهاض همم المسلمين في شتى الأقطار لمدّ يد المعونـة إلـى إخوانهم فـي الأنـدلس، والـدعوة للذود عن الإسلام والحرمات والتطلّع إلى المنقذ الذي ينضـوون تحـت علمـه فـي معركة المصير"[١٠٩].

٣- الشعر التعليميّ

هـو شـعر يهـدف إلـى تعلـيم النـاس ويشـتمل علـى المضـامين الأخلاقيـة والدينيـة والفلسـفية والتعليميـة. والشـعر التعليمـي لا يلتقـي مـع الشـعر الفنـي إلاّ فـي صـفة النـظم فقـط، وأغلبـه يـأتي مـن الرجـز المـزدوج أو المـزاوج. وهـو مـا يسـتقل فيـه شطرا كل بيت بقافية واحدة، والقليل منه يأتي في غير الرجز من بحور الشعر ويلتزم قافية واحدة من مطلع القصيدة إلى ختامها.

يراد بالشـعر التعليمـيّ الأراجيـز والقصـائد التاريخيـة أو العلميـة التـي جـاءت فـي حكم الكتـب، وكـذلك الكتـب التـي نظمـوهـا فجـاءت فـي حكـم الأراجيـز والقصـائد،

---

١٠٨ - إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص١٣٩.
١٠٩- د.عبد العزيز عتيق – الأدب العربي في الأندلس، ص٣٢٧.

وهو ما يعبر عنه المتأخرون بالمتون المنظومة كألفية الإمام محمد بن مالك في نحو العربية وغيرها مما يجمع قضايا العلوم والفنون وضوابطها[١١٠].

هوشعر يتضمّن مسائل العلوم والفنون تسهيلا لحفظها بعد اتساعها في العصر العباسي اتساعا عظيما ثم انتشر في بلاد الأندلس فيما بعد انتشارا فاق موطن نشأته الأولى.

وقد شارك شعراء الأندلس في الشعر التعليمي وتوسعوا أكثرا من المشارقة. وقد ابتدع متأخروهم لونا جديدا من الشعر التعليمي، يتمثل في نظم متون في العلوم المختلفة تيسيرا للدارسين على استيعابها وتذكّرها عند الحاجة لسهولة حفظ الشعر[١١١]. ومن أمثلة ذلك في علم النحو ألفية ابن معطي[١١٢] وألفية بن مالك[١١٣]، ومنها في الفقه ألفية لسان الدين بن الخطيب، وأرجوزته المسماة "المعلومة" في الطب، وأرجوزته في السياسة المدنية وأرجوزته "المعتمدة" في الأغذية المفردة"[١١٤].

أول من التفت من الأندلسيين إلى هذا الاتجاه يحيى بن حكم الغزال، فله أرجوزة تاريخية طويلة نظمها في فتح الأندلس، وذكر فيها السببَ في غزوها وفصّل الوقائع بين المسلمين وأهلها وعدّد الأمراء عليها وأسماءهم. وجاء بعده من الأندلسيين في نظم السِّيَر التاريخية الشاعر أبو عمر أحمد بن عبد ربّه صاحب العقد الفريد، فله أرجوزة طويلة مزدوجة، وقد نظم في أرجوزته هذه كلّ مغازي أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر، من سنة ٣٠١ إلى سنة ٣٢٢ هجرية.

ومن هذه الأرجوزة قوله:

"أقــول فــي أيـام خير النـــاس ومَن تحلّـــى بالندى والبـــاسِ

---

١١٠ -د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس ، ص:٣٢٩.
١١١- المصدر السابق، ص٣٣٣.
١١٢- يحيى بن معطي الزواويّ المغربي، توفي سنة ٦٢٨هـ.
١١٣- الإمام محمد بن عبد الله بن مالك الجيّاني الأندلسي، توفي سنة ٦٧٢ هـ
١١٤- د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس، ص٣٣٣.

ومن أبـــاد الكفـــر والنقاقـــا وشـرد الفتنـــة والشقاقـــا

ونحن فـــي حنـــادسٍ كالليـــل وفتنـة مثل غُثـــاء السيـــــل

حتـــى تولـــى عـــابد الرحمان ذاك الأغر من بنـــي مـروان

خليفـــــة الله الذي اصطفـــــاه على جميع الخلـق واجتبـــاه

من معدن الوحي وبيت الحكمة وخير منسـوب إلـــى الائمة"[١١٥]

ومنهم أبو طالب عبد الجبّار من أهل جزيرة شقر، فله أرجوزة مزدوجة في التاريخ، تبلغ ٤٥٥ بيتا، بدأت أرجوزته بمقدمات في أصول الاعتقادات، ومنها انتقل إلى التاريخ لبدء الخليقة وذرء الخلق بآدم وحواء (ع) ونسلهما، ثم يؤرخ عن الأنبياء والخلفاء الراشدين ومَن تلاهم من بني أمية والدولة العباسية حتى خلافة المسترشد بالله، وبعد ذلك يؤرخ لدولة بني أمية في الأندلس ومن تلاهم من ملوك الطوائف والمرابطين، حتى عصر عليّ بن تاشفين الذي ختم أرجوزته به.

ومن أرجوزته يؤرخ فيه لنهاية ملوك الطوائف وقيام دولة المرابطين بالأندلس، ويقول:

"ثم تمـــادت هذه الطـــوائف تخلفـــهم من آلـهم خـــوالف

دانت بدين الجـــور والعدول إذ سلبـــت عـــاقل العقـــول

فأهملـــوا البـــلاد والعبـــادا وعطّلـوا الثغـور والجهـــادا

واشتغلـت أذهانـــهم بالحمـر وبالأغانـي وســـماع الزّمـر

وزادهم فـي الجهـل والخذلان أن ظاهروا عصابة الصّلبان

١١٥- د.عبد العزيز عتيق – الأدب العربي في الأندلس، ص٣٣٥.

لما طوت صدورهم من غلّ ولاختبار البعض حال الكل

فاستولت الروم على البلاد واستعبدوا حرائر العباد

وقتلوا الرجال كيف شاءوا وضاع دلو الدين والرشاء

وإذ أطال القوم ، أسرى القدر نحوهم خسفا وما إن شعروا"[١١٦]

ومنهم أيضا شاعر المريّة أبو عبد الله محمد بن الهواري المعروف بابن جابر، وله أرجوزة طويلة من بحر الطويل على رويّ واحد في فضائل الصحابة العشرة وأهل البيت. ومن هؤلاء أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب والحسن والحسين وحمزة والعباس.

ومنهم أخيرا لسان الدين بن الخطيب، فكتابه "رقم الحلل في نظم الدول" يتضمن أرجوزة مزدوجة في تاريخ دول الإسلام، وقد ابتدأه الشاعر بقوله:

"الحمد لله الذي لا ينكره من سرحت في الكائنات فكره

ومنه قوله في الحكم بن هشام :

"حتى إذا الدهر عليه احتكما قام بها ابنه المسمّى حكما

واستشعر الثورة فيها وانقبض مستوحشا كالليث أقعى وربض

وكان جبّارا بعيد الهمّة لم يرع من آل بها أو ذمّة"

فنون الشعر الأندلسي المحدثة :

١- الموشحات الأندلسية

الموشحات هي فن أندلسي أصيل استحدثه الأندلسيون وأغربوا به على أهل المشرق، وظهروا كالشمس الطالعة. وقد ولدت الموشحات في أحضان الطبيعة

١١٦- المصدر السابق، ص٣٣٦.

الأندلسية المترفة وتخلقت أنغامها في بيئة المغنين والمغنيات، ووجدت رواجا كبيرا في أوساط الحكام والأمراء، وكانت الموشحات في حقيقتها تعبيرا عن شخصية الأندلس الفنية واستقلالها الأدبي، كما كانت انعكاسا لما شاع في البيئة الأندلسية من ترف وتحضر[١١٧]. ستوضح الباحثة عن الموشحات واضحة في الباب الثالث.

٢- الأزجال الأندلسية

الزجل فن أندلسي النشأة، نما وترعرع كالموشحات في الأندلس، ثم انتقل إلى المشرق. وقد أشار ابن خلدون إلى نشأة الزجل بقوله: "ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه، وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل"[١١٨].

يقرر ابن خلدون بهذا النص أن الزجل وليد الموشح وتابعه ومقلده. فالزجالون يقتفون آثار الموشح في الشكل والبناء والأوزان والقوافي. والزجالون يعارضون الموشحات المشهورة ويذكرون أسماء الوشاحين ويستعيرون خرجاتهم، ويطرقون الموضوعات التي طرقوها، حتى لا يكاد الزجل يختلف عن الموشح إلا في استخدامه اللغة العامية وفي بعض الفروق في أقفاله وقوافيه، ستبين الباحثة عن الزجل بيانا وافيا في الباب الرابع.

٣- شعر الاستغاثة

شعر الاستغاثة أو الاستنجاد هو واحد من فنون الشعر الأندلسي المستحدثة، نبع هذا الفن من عاطفتهم المشبوبة تجاه الأندلس، لما رأوا المدن تتساقط واحدة تلو الأخرى، والممالك تنسل من بين أيديهم.

١١٧- الدكتور فوزى عيسى – الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء ، الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

١١٨- ابن خلدون، مقدمة، ج ٣، ص ٤٠٤.

وهو شعر يقوم على استنهاض عزائم ملوك المغرب العربي وهمم المسلمين في شتى أقطارهم، لكي يهبّوا بباعث الأخوّة الإسلامية لنجدة إخوانهم في الأندلس، ومدِّ يد العون لهم في جهادهم ضد أعدائهم من نصارى الأندلس، الذين أطمعهم ضعف ملوك المسلمين بها. فراحوا يضاعفون من إغاراتهم على مدنهم، ويهددون أهلها بالاكتساح الشامل[١١٩].

وقد كثر شعر الاستغاثة في الأدب الأندلسي حتى صار بكثرته وتنوع صوره، فنا جديدا في الشعر الأندلسي بل في الشعر العربيّ كلِه لأن هذا الشعر نابع من صميم مأساة الأندلس التي لم يكن لها نظير في تاريخ الإسلام.

ومن شعراء الاستغاثة: الشاعر عبد الله بن فرج اليحصبيّ وأبو القاسم بن الجد وأبوعبد الله محمد بن الفازازي وأبو جعفر الوقشيّ البلنسي وغيرهم.

ومن نموذج هذا الشعر أبيات لأبي جعفر الوقشيّ، يصف فيها حال الأندلس ويدعو إلى الجهاد. وفيها يمدح الشاعر أمير المسلمين أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أحد ملوك الموحّدين، يقول فيه:

"ألا ليت شعري هل يمد لي المَدى ... فأبصر شمل المشركين طريدا؟
وهل بعد يقضى في النصارى بنصرةٍ ... تغادرهم للمرهّفات حصيدا؟
ويغزو أبو يعقوب في شنت ياقبٍ ... يعيد عميد الكافرين عميدا؟
ويلقي على إفرنجهم عبء كلكلٍ ... فيتركهم فوق الصعيد هجودا؟
ويَفتك من أيدي الطّغاة نواعيماً ... تبدّلن من نظم الحجول قيودا؟
وأقبلن في خشن المسوح وطالما ... سحبن من الوشي الرقيق برودا
وغيّر منهنّ التراب ترائباً ... وخدّد منهنّ الهجيرُ خدودا
ويا لهف نفسي من معاصم طفلة ... تجاور بالقدّ الأليم نهودا
وواها بمدّ الصوت منتحبا على ... خلوّ ديار لو يكون مفيدا"[١٢٠]

١١٩- د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس، ص٤١٣.
١٢٠- المصدر السابق، ص٤١٥.

الفصل الثالث

خصائص الشعر الأندلسي

كان الشعر في الأندلس الأكثر ذيوعا بين الأجناس الأدبية الأخرى لأنه كان من أهم مظاهر الحياة العقلية في الأندلس، وقد اشتهرت الألفاظ في الشعر الأندلسي بالوضوح والسهولة، ورقة الأسلوب المستخدم، فاهتم الشعراء الأندلسيون بوجه خاص بما يسمى بالصنعة اللفظية، وفي بداية ظهور الشعر التزموا التزاما كبيرا بوحدة الوزن والقافية وفيما بعد قاموا بتأليف كل ما هو جديد في مجال الأوزان خاصة بعد انتشار الغناء.

وقد احتفظ الشعر الأندلسي في بداية ظهوره بتقليد آثار الشرق، ونسج الشعر على منوال القصائد المشرقية، لأن أصحابه في الفترة الأولى كانوا من المشارقة، ولم يظهر جيل جديد من الشعب الأندلسي. ولذا سار الشعراء الأندلسيون على نفس خطا الشعراء في الشرق.

وقد كان للطبيعة دورا هامّا في الشعر الأندلسي،لأن الأندلس بلاد الطبيعة الجميلة الخلابة. وساعدت هذه الطبيعة الفاتنة على نضوج الشعر وحلاوته، فوصف الشعراء الطبيعة الفاتنة، كما وصفوا الحدائق والأبنية والقصور وما فيها. بلغ وصف الطبيعة ذروته في القرن الرابع الهجري، وأصبحت مدارس الزهريات والروضيات والثلجيات والمائيات في أوج إبداعها، فأحمد بن عبد ربه يصف الطبيعة في روضة فيقول:

"وما روضة بالحزن حاك لها الندى برودا من الموشيّ حمـــر الشقائق

قيـــم الدّجـــى أعناقهـــا ويميلها شعاع الضّحى المستنّ في كل شارق

إذا ضاحكتها الشمس تبكـي بأعين مكللـة الأجفـان صفـر

وقد اشتهر من أغراض الشعر الأندلسي الحنين إلى المشرق العربي، فهذا ما ظهر في شعر عبد الرحمن الداخل، يقول فيه ذكرياته بأرض آرائه وأجداده:

"تبدّت لنا وسط الرصافـــة نخلـة تناءت بأرض الغرب عن بلد النّخل

فقلت : شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بنيّ وعن أهلـي

نشأت بأرض أنـــت فيها غريبـــة فمثلـك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي يسحّ ويستمري السّماكين بالويل"[١٢٢]

ومن خصائص الشعر الأندلسي الرثاء والهجاء والغزل والمدح، وقد اشتهر في الشعر الأندلسي نوع جديد من أنواع الرثاء العربي، وهو رثاء المدن. وأبرز من نظم فيه هو الشاعر أبو البقاء الرندي الأندلسي، يقول في قصيدته:

"لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصـان فلا يغرّ بطيب العيش إنسـان

هي الأمور كما شـاهدتها دول من سرّه زمن ساءته أزمـان

وهذه الدار لا تبقـى على أحد ولا يدوم على حال لها شـان

دهى الجزيرة أمر لاعزاء له هوى له أحد وانهدّ ثهلان"[١٢٣]

فالهجاء هو من أبرز خصائص الشعر الأندلسي وأغراضه. وقد اشتهر الهجاء عندهم بالقسوة، ومنها يهجو ابن حزمون نفسه هجاء قاسيا، فيقول:

"تأمّلت في المرآة وجهي فخلته كوجه عجوز قد أشارت إلى اللهو

١٢١- الدكتور مصطفى الشكعة – الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة،بيروت – لبنان ١٩٨٦، ص٢٤٩.

١٢٢- المصدر السابق، ص٢٤٨

١٢٣- د.عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس، ص٣٢٦.

إذا شئت أن تهجو تامّل خليقتي فإنّ بها ما قد أردت من الهجـو"[١٢٤]

أمّـا الغـزل فقـد اهـتم الشـعراء بـه اهتمامـا كبيـرا، وتميـزت عـاطفتهم بالصـدق خصوصا في إظهار الشوق إلى الحبيب، وكان له ارتباط وثيق بالطبيعة الجميلة، فكـانوا يصـفون الطبيعـة الخلابـة التـي تمتعـت بهـا الأنـدلس، ويربطونهـا بجمـال المحبوبة. وكذلك المدح من أهم أغراض الشعر الأندلسي، فمدح الشعراء الملوك بصورة كبيرة. ومن خصـائص الشـعر الأندلسـي أيضـا ظهور الموشح والزجل، هما فنان مستحدثان في الأندلس يختلفا عن الشعر الغنائي العربي، ولم يعرفا من قبل إلا في الأندلس.

وبالجملـة يتميـز الشـعر الأندلسـي بالرقـة وجمـال الأسـلوب، ويغلـب عليـه الخيـال والطيف، يرتكز على الوصف وعذوبة الألفاظ، أكثر ممـا يرتكـز علـى المعـاني، لأن الشـعراء ابتعـدوا عـن التيـارات الفلسـفية والعمـق فـي المعـاني، ولأنهـم كـانوا يتغنّون به، فأكثر الشعر صالح للغناء.

وقد أبدع الأندلسيون فـي جوانـب كثيـرة مـن الشـعر الأندلسـي، كـالأراجيز ورثـاء المدن الزائلة والزهريات والاستعطاف، كمـا تفننـوا فـي اسـتعمال الألفـاظ وجمـال الأسلوب، فاخترعوا ألفاظا جديدة معربـة تتناسـب حيـاتهم الغنائيـة، واجتهـدوا فـي اختيار الحروف والكلمات التي تؤدي إلى الانسجام الموسيقي. وهذه الظـاهرة لـم يسبقهم أحد إليها من قبل[١٢٥].

١٢٤- http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/

١٢٥- محمد عباسة – الموشحات والأزجال وأثرها في شعر التروبادور، ص٣١.

الفصل الرابع
أبرز شعراء الأندلس

عبد الرحمن الداخل :

عبد الرحمن بن معاوية بن هاشم بن عبد الملك المعروف بلقب صقر قريش. ولد في إحدى قرى دمشق سنة ١١٣هـ. كان من أمراء الأمويين المرشحين للخلافة في الدولة الأموية في دمشق. فر من العباسيين عند قيام دولتهم إلى الأندلس، حيث دخلها وسمي بذلك عبد الرحمن الداخل، أسس فيها الدولة الأموية سنة ١٣٨الهجرية. واستمر في حكم الأندلس ٣٣ سنة، وتوفي سنة ١٧٢هـ.

كان شاعرا مجيدا وناثرا بليغا، يصور في شعره جوانبه المختلفة كإنسان ومحارب وسياسي. ومن شعره:

"لا يُلفَ ممتن عليـنا قـــــائل لولاى مـــا ملك الأنام الداخـل
سـعـدى وحـزمى والمهند والقنا ومـقـادر بلغت وحـــال حـــائل
إن الملوك مع الزمـان كـــواكب نجـم يـطـالـعـنـا ونجـم آفل
والحـــزم كل الحـــزم ألا يغـفلوا أيروم تدبيـــر البـــرية غـافل؟!
ويقـــول قـــوم ســـعـــده لاعـــقله خـير السعادة مـا حماهاالعـاقل
أبنى أمـيـــة قد جبـرنـا صدعكم بالغرب رغـمـا والسعود قبائل
مـــا دام من نسـلى إمـــام قـــائم فـالملك فـيكـم ثابت

حسّانة التميمية :

حسانة بنت عاصم أبو الحسين التميمية شاعرة من شواعر وأديبات الأندلس، وأول شاعرة أندلسية من الحرائر ظهرت على أرض الأندلس. ولدت في أواخر حُكم عبد الرحمن الداخل في إلبيرة. ورثت ملكة الشعر عن أبيهاعاصم أبو

١٢٦- الدكتور أحمد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، الطبعة الحادية عشرة، دار غريب، القاهرة – مصر ٢٠١٠م، ص٨٩.

الحسين، كان أبوها شاعرا مميّزا في الأندلس وممن مدحوا الحَكم بن هشام. وبعد موت أبيها مدحت حسانة الحكم مسترفدة إياه بقصيدة مشرقية السمات، تشكو فيها ما حالت إليه حالها بعد فقدان أبيها، ومن قولها:

"إنّي إليك أبا العاصي موجّعـــــــةٌ
أبا الحسين، سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع في نعماه ، عاكفـــــة
فاليوم آوي إلى نُعماك يا حكـم
أنت الإمام الذي انقـــــاد الأنام لـه
وملّكته مقاليد النّهى الأُمـــــــم
لا شيئ أخشى إذا ما كنت لي كنفا
آوِي إليه ولا يعرو ليَ العـــدم
لا زلت بالعزّة القعســـــاء مرتديا
حتى تذلّ إليك العرب والعجـم"[١٢٧]

فاستحسن الحكم شعرها وأمر لها بإجراء راتب وكتب إلى عامله على إلبيرة فجهزها بجهاز حسن.

يظهر في شعرها سمة شعر أموية مشرقية، ومن شعرها التي ذكرته بقول جرير في عم جده سليمان بن عبد الملك :

"الله أعطاكم مـن علمـه بكـــم
حكما ومـــــا بعد حكم الله تعقيب
أنت الخليفـــة للرحمـــان يعرفه
أهل الزّبور وفي التّوراة مكتـــوب"[١٢٨]

١٢٧- الدكتور مصطفى الشكعة – الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص١٢٢-١٢٣.
١٢٨- المصدر السابق، ص١٢٣.

يحيى الغزال :

هو يحيى بن حكم البكري الجيّاني المعروف بالغزال، وينتمي نسبه إلى أسرة بكر بن وائل، وأصله من مدينة جيّان، لقب بالغزال لجماله وظرفه، ولد الغزال سنة ١٥٦هـ في جيّان، ونشأ في قرطبة نشأة علمية أدبية، غير أن الشعر غلب عليه فاشتهر به. وكان من أوائل الرحّالين الأندلسيين وأشهر دبلوماسيا وفلكيا أندلسيا من القرن العاشر، واشتهر بلقب 'العرّاف' لخبرته في علم النجوم، إضافة إلى خبرته بالعلوم النقلية. عمّر الغزال طويلا حتى قارب مائة عام، توفي سنة ٢٥٠هـ.

هو شاعر أندلسي شهير برع في شعر الغزل والحكمة، وعاصر خمس أمراء للدولة الأموية، وتأثر بشعر أبي نواس وأبي تمام. ونظم الغزال في أغراض شتى، منها الغزل والمدح والوصف والحكمة والهجاء والزهد والتعريض، وبرزت مقدرته على معالجة النقد الاجتماعي في موضوعات شتّى.

ومن شعره في الحكمة:

"قالت أحبك قلتُ كـــاذبةٌ غُرّى بذا من ليس ينتقدُ
هذا كـــلام لست أقــبله الشيخ ليس يحبه أحـــد
سيان قولك ذا وقولك إنّ الريح نعقدها فتنعـــقـــد
أو أن تقولي النار باردة أو أن تقولي الماء يتقد"[١٢٩]

ابن عبد ربه :

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، عالم وشاعر وأديب، ولد في قرطبة سنة ٢٤٦ هـ، ونشأ بالعاصمة الأندلسية متلقيا علوم الإسلام والعربية على العلماء الأندلسيين الكبار في ذلك الحين. ثم أكب بنوع خاص على كتب التاريخ والأدب،

١٢٩- الدكتور أحمد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص :١٥٢- ١٥٣.

ودواوين الشعر التي نظمت المشارقة قبل عهده وفي أيامه[١٣٠]. وقد امتاز الشاعر بحبه لاطلاع في الرواية والعلم، وامتاز بالقصائد التي كانت عن المواعظ والزهد.

وقد عاصر ابن عبد ربه أربعة من خلفاء بني أمية في الأندلس ومدحهم، ونال منهم حظوة. ولمّا بلغت ابن عبد ربه الشيخوخة ندم على لهو شبابه ومال إلى الزهد، وبدأ يُعارض ما نظمه من قصائد الغزل بقصائد زهدية التي سمّاها الممحّصات[١٣١]. ومن أشهر كتبه " العقد الفريد " وهو كتاب يجمع بين الشعر والعروض والأمثال والأنساب والأخبار والموسيقى وقد شمل خلاصة ما كتب ابن قتيبة والجاحظ وأبو عبيدة والأصمعيّ وغيرهم. وتوفي ابن عبد ربه سنة ٣٢٨ هـ.

وله شعر سلس الأسلوب، فيه غزل ومدح ووصف وجميع أغراض الشعر المعروفة. وشعره لا يلتزم اتجاها واحدا من الاتجاهات المعروفة في عهده، وإنما هو شعر يسير في أكثر من تلك الاتجاهات، فهو يسير بشعره في الاتجاه المحافظ حينا وفي الاتجاه المحدث أحيانا. ثم هو يشارك في الأخذ بالاتجاه الشعبي، ويسابق المتجهين إلى المذهب المحافظ الجديد الذي كان يغلب على شعره بعد نضجه[١٣٢].

ومن ممحصاته قوله:

"يا عاجزا ليس يعفو حين يقتدر ... ولا يقضّى له من عيشه وطر

عاين بقلبك إن العين غافلة ... عن الحقيقة واعلم أنها سقر

سوداء تزفر عن غيظ إذا سعرت ... للظالمين فلا تبقى ولا تذر

إن الذين اشتروا دنيا بآخرة ... وشقوة بنعيم، ساء ما تجروا

يا من تلهى وشيب الرأس يندبه ... ماذا الذى بعد شيب الرأس تنتظر

١٣٠- المصدر السابق، ص٢٠٤.
١٣١- حنّا الفاخوري – الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص٩٠٧.
١٣٢- الدكتور أحمد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٢٠٦.

لو لم يكن لك غير الموت موغظة لكان فـيــه عن اللذات مــزدجـر
أنت المقــول له مـا قلـت مـبـتدئا هلا ادكـرت لبين أنت مـبـتـكر"[١٣٣]

ابن هانىء الأندلسي :

أبو القاسم محمد بن هانىء الأزدي الأندلسي، شاعر عبقري من شعراء الأندلس، ولد بإشبيلية سنة ٣٢٦هـ ونشأ بها، وتعلم بها الشعر والأدب. كان والده هانىء أديبا وشاعرا وخصّ ابنه بحظّ كبير من دراسة الشعر والأدب.

وهو من أبرز شعراء المغرب والأندلس العربي في عهد الدولة الفاطمية، وهو عند أهل المغرب والأندلس كالمتنبّي في بلاد المشرق العربي، لقّب بمتنبّي الغرب لأنه كان أشعر المغاربة على الإطلاق، وهو معاصر للمتنبي.

اتصل ابن هانىء بصاحب إشبيلية وحظي عنده، ثم اتّهمه أهلها بمذهب الفلاسفة، فأشار عليه الملك بالرحيل، فترك إشبيلية في السابعة والعشرين من عمره. فخرج إلى البلاد المغربية، ثم رحل إلى الزاب قاصدا جعفر ويحيى ابني عليّ فأكرماه حتى وصل خبره إلى المعزّ أبي تميم معد بن منصور فطلبه منهما، فحضر عنده وأقام في المنصورية بقرب القيروان، ومدحه مدحا مبالغا فيه.

لما توجّه المعزّ إلى مصر بعد أن فتحها جوهر الصقلي، طلب من ابن هانىء مرافقته إليها، فاستأذنه العودة إلى المغرب بقصد أخذ عياله. وفي الطريق إلى مصر قُتل ابن هانىء غيلة في برقة سنة ٣٦٢ هـ.

شعره:

ترك ابن هانىء ديوان شعر يسمّى 'ديوان ابن هانىء الأندلسي'. وقد احتوى الديوان بأشعاره الكثيرة وعديد من الأغراض الشعرية. وأكثره في المدح والرثاء والوصف والهجاء. أمّا مدحه فقد اتّبع فيه أسلوب أبي الطيب المتنبي، وحاول أن يجعله مجلى من مجالي القوّة. فاختار له ما طال من البحور واشتد

١٣٣- ابن دحية – المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبياري.. ص١٥٤.

من القوافي وضخم من اللفظ واختار له اللهجة البدوية والمعاني الصحراوية. هكذا كانت مدائحه تقليدا وتصويرا ومغالاة، وكانت اندفاقا وانطلاقا وميدانا من ميادين المقدرة الشعرية واللفظية والتصنيع[١٣٤].

ومن شعره الذي يمدح ابراهيم بن جعفر بن عليّ:

"قد مررنا على مغانيك تلك ... فرأينا فيها مشابهَ منكِ
عارَضَتْنا المَها الحواذِلُ أسْرا ... بأ بأجراعهَا فلمْ نَسْلُ عنكِ
لا يُرَعْ المَها بدارِكِ سِرْبٌ ... فلقد أشبَهَتْكِ إن لم تَكُنْكِ
مُسعِدي عُجْ فقد رأيتَ مَعاجي ... يومَ أبكي على الدّيار وتبكي
بخينٍ مُرَجَّعٍ كحنيني ... وتَشَكٍّ مُرَدَّدٍ كتَشَكّي
فاتّئد تسكبِ الدموعَ كسكبي ... ثم لا تَسفِكِ الدّماءَ كسفْكي
لا أرى كابنِ جعفر بنِ عليّ ... ملِكاً لابساً جلالَةَ مُلْكٍ
تتفادى القلوبُ منه وجيباً ... في مَقامٍ على المتَوَّج ضَنْك
فكأنّا صبيحَةَ الإذنِ نلقى ... دونَهُ المشرفيَّ هُزَّ لِبَتْك
وطويلَ النِّجادِ فُرِّجَ عنهُ ... جانبُ السِّجْفِ عن حياةٍ وهُلك
لا أراهُ بتاركي حينَ يبْدو ... وأشوبُ اليَقِينَ منهُ بشكِّ
هَتَكَ الظُّلَمَ والظلامَ به ذو ... رَوْعَةٍ لا يَريبُ سِتْراً بهَتْك"[١٣٥]

ابن درّاج القسطلي :

أبو عمر أحمد بن محمد بن درّاج القسطليّ، يلقب بالقَسطَلي منسوبا إلى بلدة قسطلة في غرب الأندلس. ولد بقسطلة سنة ٣٤٧ هـ (٩٥٨ م) في بيت ذي مكانة مرموقة ونشأ بها نشأة أدبية، كان شاعر المنصور أبي عامر وكاتب الإنشاء في أيامه. اتّصل بالمنصور مؤسس الدولة العامرية، فأُعجب بشاعريته وشعره وقرّبه وأجازه، ولكن جرّت عليه هذه الحظوة نقمة النقّاد والحسّاد، فراحوا

١٣٤- حنّا الفاخوري – الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص٩٦٢
١٣٥- ديوان بن هانىء الأندلسي، دار بيروت، بيروت ١٩٨٠، ص٢٤٩.

يحقّرون شأنه في عين المنصور ويطعنون في مقدرته الأدبيّة ويتهمونه بالعقم الشعري، ولكن هذا كله لم يحل دون تقييد اسمه في ديوان الشعراء وازداد تعصّب المنصور له وانحيازه لجانبه[١٣٦].

هكذا تأكدت منزلة ابن درّاج في بلاط المنصور، فلم يكن في ديوان الشعراء فقط ولكن ينضم إلى ديوان الإنشاء، وما زال ابن دراج يصعد حتى أصبح من كبار شعراء المنصور. وظل يعمل في خدمته شاعرا، يمدح ويسجل الانتصارات ويصور كبار الأحداث. وناثرا يجيد ما يطلب منه تحريره في ديوان الانشاء حتى مات المنصور. ثم استمر يعمل مع ابنه عبد الملك المظفّر، وظل يمدحه ويسجل انتصاراته، ويصور كبار الأحداث في عصره[١٣٧].

توفي ابن دراج في سرقُسطة سنة ٤٢١هـ .

شعره :

يعتبر ابن دراج من أغزر الشعراء الأندلسيين شعرا، بل من أكثر الشعراء العربية نتاجا. فقد خلف ديوانا ضخما. وموضوع المدح هو الموضوع الرئيسي الغالب على قصائد ديوانه، وفيه موضوعات أخرى.

وأهم تلك الموضوعات الفرعية التي يضمها الديوان: وصف مواقف الوداع وفراق الأهل، ووصف الأسفار، ومشاق الرحلة في البر والبحر وبالليل والنهار. ثم التعبير عن تجارب الغربة والقلق والضياع والإحساس بقسوة الأيام على الأبناء ووصف المعارك الحربية ومشاهد الجيوش والعدد البرية والبحرية. فكثر حديثه في ديوانه عن وداعه لزوجته وأولاده ومواقف الوداع من مشاهد حسية وآلام نفسية[١٣٨].

ومن قصيدته التي يمدح بها المنصور بن أبي عامر:

"دعي عزمات المستضام تسير فتنجد في عرض الفلا وتغور

١٣٦-حنّا الفاخوري – الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص٩٦٣.
١٣٧- الدكتور أحمد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٢٧٩.
١٣٨- المصدر السابق، ص :٢٨٣.

لعل بما أشـجاك من لوعة النوى يعز ذليل أو يفك أســـيـــر
ألم تعلـمى أن الثـواء هو التـوى وأن بيوت العاجزين قـبـور

إلى قوله:

ولما تدانت لـلوداع وقـــد هفـا بصبرى منها أنة وزفـــيـــر
تناشدنى عـــهـــد المودة والهوى وفي المهد مبغوم النداء صغير
عـَيٌّ بمرجـوع الخطاب ولحظه بموقع أهواء النفوس خـبـيـر
تبـوأ ممنوع القلوب ومـــهـدت له أذرع مـحـفـوفة وتحـــور
فكل مـفـدّاة التـرائب مـرضع وكل مـحـيـاة المحـاسن ظير
عـصيت شفيع النفس فيه وقادنى رواح التداب الســـرى وبكور
وطار جناح الشوق بى وهفت بها جوانح من ذعر الفراق تطيـر"[١٣٩]

يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بالحديث إلى زوجته مبررا لها سفره، وفراقه لها ولولده ويصف موقف الوداع بينه وبين زوجته وولده مبينا أن الزوجة لما اقتربت منه للوداع، قد زفرت زفرة وأنت أنينا لعبا بصبر الشاعر.

ومن شعره في بعض الأسفار البرية ليلا ونهارا :

"ولو شاهدتنى والصواخد تلتظى عليّ ورقراق السراب يمـــور
أسلّة حرّ الهاجـــرات إذا سـطا على حرّ وجهـى والأصيل هجير
وأستنشق النكبـاء وهـي بوارح وأستوطن الرمضاء وهي تفـور
وللموت في عون الجبان تلـون وللذعر في الشمع الجريء صفير
لبان لها أنـي من الضيم جازع وأني علي مضّ الخطوب صبـور
أمير على غول التنائـف ماله إذا ريح إلا المشرفـي وزيـر
ولو بصرت بي والسرى حلّ عزمتي وجرسي لجنّان الفلاة سمير
وأعتسف المومأة في غسق الدجى وللأسد في غيل الغياض زئير

١٣٩- ديوان بن دراج القسطلي، تحقيق الدكتور محمود مكي، دمشق ١٩٦١، ص :٢٩٧.

وقد حوّمت زهر النجــوم كأنها كواعبفي خضر الحدائق حـــور
ودارت نجوم القطب حتى كأنها كئوس مها والى بهن مديـــــــر
وقد خيّلت طرق المجـــرة أنها على مفرق الليل البهيم قتيســـــر
وثاقب عزمـــى والظلام مروع وقد غض أجفان النجوم فتـــــور
لقد أيقنت أن المنى طوع همتى وأنى بعطف العامريّ جديـــر"[١٤٠]

ولادة بنت المستكفى :

هـي ولادة بنـت محمد بـن عبـد الـرحمن المسـتكفى بـالله، أميـرة أندلسـية وشـاعرة عربية، من بيت الخلافة الأموية في الأندلس، ولدت بقرطبة.

وكانت ولادة من أشهر شـاعرات الأندلس، اشـتهرت بجمالهـا الفـاتن التـي ورثـت عن أمها، وهي جاريـة إسـبانية، كذلك اشـتهرت بالشـعر، فكانـت تحضـر مجـالس الشعراء وتنافسهم فيه، وجعلت دارها ملتقى الأدبـاء والشـعراء. ويقول فيهـا ابـن بشـكوال فـي كتابـه 'الصـلة' " كانـت أديبـة شـاعرة، جزلـة القـول حسـنة الشـعر، وكانت تناضل الشعراء وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء وعمرت عمرا طـويلا، ولم تتزوج قط"[١٤١].

علاقتها بابن زيدون: بعد وفاة أبيها الخليفة المستكفى جعلت دارها منتدى لرجـال الأدب، وانصرفت إلى اللهو والترف. وفي تلك الفترة وقعت في حب ابن زيدون الذي افتتن بجمالها وحبها. واشتهرا بقصة حب إلا أن هذا العشق لو يدم طـويلا، لأن ابـن زيـدون تعلـق بجاريتهـا السـوداء بارعـة الغنـاء، فغضـبت ولادة غضـبا شديدا، وقد عاتبت ابن زيدون قائلة:

"لو كنت تُنصف في الهوى ما بيننا
لَم تَــهْو جاريتي ولــم تتخيّــرِ
وتركت غُصــنا مُثمرا بــجمــالــه

١٤٠- المصدر السابق، ص٢٩٩- ٣٠٠.
١٤١- المقري - نفح الطيب، م ٤، ص٢٠٧.

وجَــنحت للغصن الذي لم يُثمـِر

ولقد علمــت بأنّني بــدر السّمـــــا

لكن دُهيت لشقوتـــي بالمُشتـري"[١٤٢]

ثم أنهت ولادة قصة الحب بينها وبين ابن زيدون، ثم اتصلت بالوزير ابن عبدوس، ولكن ابن زيدون ما زال هائما بها وبحبها، وظلت ولادة بعدها بدون أي زواج، حتى ماتت سنة ٤٨٠هـ.

تقول ولادة شاكية فراق عاشقها ابن زيدون:

"ألا هل لنا من بعد هذا التفرق

سبيل فيشكو كلُّ صبّ بما لقي"[١٤٣]

ابن زيدون :

أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي، وزير وشاعر وكاتب أندلسي، ولد في قرطبة سنة ٣٩٤ هجرية في زمن الدولة العامرية، في بيت شرف وفقه وأدب. ونشأ مكبّا على العلم وارتشاف مناهل الثقافة، وكرّس حياته للدرس والتحصيل، وساعد نبوغه ومواهبه على ذيوع شهرته، وكان عصره أزهى عصر أدبي في الأندلس، وقد تتلمذ على أساتيذ الأدب في زمنه، وأخذ عنهم الشيء الكثير في مختلف نواحي الثقافة، حتى صار بعد زمن قصير علما من أعلام الفكر والأدب، وقرض الشعر ونبغ فيه وهو في العشرين من عمره. واشترك ابن زيدون في الفتنة الكبرى القرطبية وقام بتعسيب كبير في تلك الثورة التي انتشرت نيرانها في قرطبة[١٤٤].

١٤٢- الدكتور مصطفى الشكعة – الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص١٨٣.

١٤٣- المصدر السابق، ص١٨٤.

١٤٤- ديوان ابن زيدون رسائله أخباره شعر الملكين، شرح كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة، الطبعة الأولى، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٢، ص٣٠.

كان ابن زيدون من زعماء تلك الفتنة، انتهت الفتنة بسقوط الأمويين وقيام دولة بني جهور، فقرّبه إليه أبي الحزم ابن جهور[١٤٥] الذي هو مؤسسها، وأعلى قدره ولقّبه " بذي الوزارتين". ثم اتّصل ابن زيدون بالخليفة المستكفى وعلق ابنته ولاّدة وهام في حبها الحب الشديد. وكانت ولادة من أهل الأدب والشعر والموسيقى، ولما توفي والدها المستكفى فتحت بيتها للأدباء والشعراء[١٤٦].

علقها ابن زيدون وعلقته وقضيا حياتهم حياة مجونا، ولكن تبدلت الأحوال وتبدلت ولاّدة حبّها لعشيقها، وقعت في هوى الوزير أبي عامر بن عبدوس. فبدأ ابن زيدون يتوسّل بغير جدوى وينظم الشعر مهدّدا ابن عبدوس وشاكيا إليها تباريح الهوى. ولكنها أغفلته واشتعلت عنه بحب ابن عبدوس. ولكن ابن زيدون لم ينسها طول عيشه، وما زال يقرض الأشعار متغزلا بها. فقصيدته النونية التي تعد من أشهر قصائده بل من أشهر قصائد الفراق التي نظمت في تاريخ الشعر العربي.

أدبه :

ولإبن زيدون مجموعة من رسائل، منها "رسالة هزلية" التي كتب إلى ابن عبدوس، سخر فيها منه على لسان حبيبته. و"رسالة جدّية" كتبها إلى أبي الحزم مستعطفا ومسترحما.

وله ديوان شعر طبع في مصر، ونظم الديوان على شتّى الأغراض الشعرية من العزل والرثاء والمدح ووصف الطبيعة وغيرها، أمّا غرض الغزل غلب عليه قصائده، ومن جميل غزله قوله:

"ما ضرّ لو أنّك لي راحـــم وعلّتي أنت بها عـــالم ؟
يهنيك، يا سؤليى ويا بُغيتـي، أنّك ممّا أشتكي ســـالم
تضحك في الحبّ، وأبكي أنا أللّه، فيما بيننا، حـــاكم

١٤٥- أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور (ت ٤٣٥ هـ) أحد وزراء الدولة الأمويةفي الأندلس، وأول حكام طائفة قرطبة.

١٤٦- حنّا الفاخوري – الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص٩٦٩.

أقول لمّا طار عنّي الكـــرى قـول مُعنّى، قلبـــه هائم

يا نائمـــــا أيقظني حبّـــــه هب لي رُقادا أيّها النّائم!"[١٤٧]

وكان ابن زيدون في مدحه ورثائه مقلّد شديد التقليد للشعراء العباسيين خاصة لأبي تمام والبحتري والمتنبي. وينقل كثيرا من معانيهم، ويجري على الكثير من أساليبهم. فعرف ابن زيدون ب"بحتري الغرب" لأنه حذا حذو بحتري في بعض قصائده.

وبالجملة "كان ابن زيدون شاعر الأندلس وبلبلها الغريد، وهكذا كان شاعر العبقريّة التي تعطي النفس من خلال الطبيعة التي تصف، وتعصر القلب في كؤوس الحب التي ترتشف، وتصعّد الزفرات والآمال أنغام سحر وروعة"[١٤٨].

ومن شعره:

قصيدته النونية المشهورة، يتحسر فيها على انقضاء أيام الوصال، ويشكو فيها ما يحسه من الوجد والألم القاسي، وبعث بها إلى عشيقته ولادة بنت المستكفى.

"أضحـــى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ألا وقد حان صبـــح البين صبّحنا حين فقـــام بنـــا للحين ناعيـنا

من مبلـــغ الملبسـينا بانتزاحهـــــم حزنا مع الدّهر لا يبلى ويبلينا

أن الزّمـــان الذى ما زال يضحكنا أنسا بقربهم قد عـــــاد يبكينا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا! بأن نغصّ فقـــال الدّهر آمينا

فانحـــــــلّ ما كان معقودا بأنفسنا وأنبتّ ما كان موصولا بأيدينا

وقد نكـون وما يخشـــــــــى تفرّقنا فاليوم نحن وما يرجـى تلاقينا

يا ليت شـعرى ولم نعتب أعـــاديكم هل نال حظا من العتبى أعادينا

لم نعتقـد بعـــدكم إلاّ الوفاء لكـــــم رأيا ولم نتقلّد غيـــــره دينا

ما حقنا أن تقـــرّوا عين ذي حســـد بنا ولا أن تسُرّوا كاشحا فينا"[١٤٩]

١٤٧- المصدر السابق، ص٩٧١- ٩٧٢.

١٤٨- المصدر السابق، ص٩٧٢.

١٤٩- ديوان ابن زيدون، ص٦٠.

قوله في مدح ابن جهور:

"أما علمت أنّ الشفيع شبـــاب فيقصر عن لوم المحب عتاب
علام الصبا غضٌّ يــرِفُّ رُواؤه إذا عنّ من وصل الحسان ذَهابُ
وفيم الهوى محض يشفّ صفاؤه إذا لم يــكن منهنّ عنه ثواب
ومُسعفة بالوصل إذ مربع الحمى لها كلما قظنا الجـناب جنابُ
تظنّ النوى تعدو الهوى عن مزارها وداعي الهوى نحو البعيد مُجاب
وقلّ لها نضو يرى بحضه السُّرَى وَبَهْماء غُفْلُ الصَّحْصَحَان تجَابُ
إذا مَا أحبّ الرَّكْبُ وجهًا مغسوْا له فهان عليم أن تخـــبّ ركَابُ
عروب الاحت من أعاريب حلة تجاوب فيها بالصّهيلِ عرابُ
غيارى من طّيف المعاود في الكرى مشيحون من رجم الظنونِ غِضَــابُ
وماذا عليها أن يسنى وَصْلَــهاَ طعان فإن لم يُغْنِنا فَضِـرَابُ
ألم تدر أنّا لا نراحُ لِـرِيــبَــةٍ إذا لم يلمّعْ بالنّجيعِ خِضَـابُ
ولاَ ننشقُ العِطْرَ النّمومَ أريجُهُ إذا لم يُشَعْشَعْ بِالعَجَاجِ مَلاَبُ"[١٥٠]

ابن خفاجة :

أبو اسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة، من أبرز الشعراء الأندلسيين خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين. ولد في جزيرة شقر من أعمال بلنسية سنة ٤٥٠هـ. وهي بلدة جميلة يحيط بها نهر شقر من أكثر جهاتها، نشأ وترعرع في هذه البلدة ذات الطبيعة الرائعة، التي كان لها الأثر المهم في تكوين شخصيّته الشعرية، ولأن والده كان من كبار أعيان البلدة آنذاك، وكذلك وقد اختلط ابن خفاجة منذ صغر سنّه بكبار العلماء وطلب العلم منهم حتى أصبح واحدا من أبرز الشعراء في الأندلس.

١٥٠- المصدر السابق، ص٤٠.

شعره:

يتميّز شعره بتعدّد الأغراض الشعرية من المدح والغزل ووصف الطبيعة والرثاء والفخر والعتاب. وله ديوان شعر طبع في مصر، وأشهر ما فيه وصف الطبيعة. فإنه شاعر الطبيعة ومصوّرها، وقد امتلأت نفسه من جمال الحياة والطبيعة، فيبرز الشاعر هذا الجمال المعنوي في صورة مختلفة من الجمال اللفظي فالتقى في شعره الأساليب الصافية والألوان الزاهية. فلقب ابن خفاجة بشاعر الطبيعة لكثرة ما كتب معظم قصائده عن الطبيعة وجمالها في الأندلس.

ومن شعره الذي يصف الذئب في ليلة داجية:

"سَرى يرتمي ركضا به، كلّ موجة ترامى بها بحر من الليل أخضر
ولا صاحب إلاّ طريرُ مهنّد، ومُعتدل لَدْنُ المهزّة أسمر
وأطلس زوّار مع الليل أغبشٌ سرى خَلْف أستار الدجى يتنكر
تثاءب من مسّ الطّوى فهو يشتكي فيعوي وقد لفّته نكباءُ صَرْ صْرُ
ودونَ أمانيه شَرارةُ لَهْذَمٍ يُقلِّبُ فيها مثلَها حينَ ينظُرُ
فمِن جوعة تُغرِيهِ بي فهوَ مدّنٍ ومن روعة تثنيه عنّي فيقصِرُ"[١٥١]

ومنه أيضا يرثي الشاعر الوزير أبا محمد عبد الله بن ربيعة:

"في كلّ نادٍ منك روض ثناء وبكلّ خدّ فيك جدول ماءٍ
ولكلّ شخص هزّةُ الغصن النَّدِي غِبّ البكاء ورِنّة المكّاء
يا مَطلع الأنوار إن بمقلتي أسفا عليك كمنشإ الأنواء
وكفى أسى لا سفير بيننا يمشي وأن لا موعدٌ للقاء
فيمَ التجمّلُ في زمان بزّني ثوب الشباب وحيلة النّبلاء
فعريتُ إلاّ مِن قناع كآبة وعَطِلتُ إلاّ من حُليّ بكاء
فإذا مررت بمعهد لشبيبة أو رسم دار للصديق خلاء
جالت بطرفي للصبابة عبرة كالغيم رقّ فحال دون سماء

١٥١- ديوان بن خفاجة، شرحه وضبط نصوصه - الدكتور عمر فاروق الطبّاع، دار القلم ، بيروت – لبنان. ص١٢٢.

ورفعت كفّي بين طرف خاشع تـنـــدى مــآقيه، وبين دُعاء
وبسطت في الغبراء خدّي ذلّةً أستنزل الرُّحمى من الخضراء
مُتململا ألما بـمـصـرع سيّد قد كان ســابــقَ حلبة النجباء
لا والذي أعلقت من تـقـديسه كـفّــي بحبليْ عصمة ورجاء
وخررت بين يديه أعلـمُ أنـه ذُخـري لـيَـوميْ شدة ورخاء
لا هزّني أمل وقد حلّ الردى بأبي محمّد المحلّ النائي"[١٥٢]

الأعمى التطيلي :

أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة التطيلي الإشبيلي، شاعر ووشاح مشهور، ولد في اشبيلية وعاش في عصر المرابطين، لقب بالأعمى لفقدان بصره فالتطيلي نسبة إلى تطيلة في الأندلس كما لقبه بعض مؤرخي الأدب ب"معري الأندلس". قضى معظم حياته في اشبيلية ويتّصل فيها بالأعيان والرؤساء ويمدحهم، ويجتمع في مجالس الأدباء والعلماء، فنهل من علوم عصره من لغة وأدب وتاريخ وفقه وأصول وحديث. وكان يجتمع بالشعراء والوشاحين خاصة بابن بقي وأبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنيشي الذي لقب بعصا الأعمى.
ويرجح بعض المؤرخين أن الأعمى التطيلي قضى حقبة من الزمن في قرطبة ومدح قاضيها أبا القاسم بن حمدين. ولم يعمر طويلا فتوفي سنة ٥٢٥هـ.

شعره :

للأعمى التطيلي ديوان شعر وموشحات، تناول فيه معظم الأغراض الشعرية المعروفة من مدح ورثاء ووصف وغزل وشكوى وهجاء، فالمدح والغزل هما الموضوعان الرئيسان في شعره، فكثير مدحه اتخذه وسيلة للكسب وللإتّصال بخاصة المجتمع من الفقهاء والقضاة، وفي مدحه جزالة واندفاق، ومحاولة استرضاء واستمالة، وأحيانا شكوى وحكاية حال[١٥٣]. فله مدائح كثيرة في قواد

١٥٢- المصدر السابق، ص١٦.
١٥٣- حنّا الفاخوري – الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص ٩٧٦.

المرابطين ورجالاتهم. ومن مدائحه مدحه لعلي بن يوسف بن تاشفين، ثاني ملوك المرابطين:

"جنابك للعلا حِصن حَصينُ وذكرك للمنى دنيا ودين

وأدنى غايتيك لها أمان وكلتا راحتيك بها يمين

أهاب بك الزمان إمام عادل فلبّته بك الحرب الزبون

حساما ما انتصاه الدّهر إلا ليعلم من يفي ممّن يخون

صقيل المتن روينقه الأماني وماضي الحدّ جوهره المنون

ومضربه جهينة كلّ مجد وسله فعنده الخبر اليقين

إذا حدّثت في الهيجاء عنه فإنّ حديثه فيها شجون

إذا اعتمد النّدى غصّت جفان وإن شهد الوغى صفرت جفون

إلى ملك المُلوك هفا بلبّي وقد سئمت نواظرها العيون

هوى لو غير ذكراه حبته لكنت أقول سكر أو جنون

إلى ملك تعوّد بسط كفّ بخالقها تعين وتستعين

شديد البأس في صون المعالي تكاد تذيله ممّا يلين

أبيّ حين يغشاها جسور قويّ حين يرعاها أمين

سطا أسدا وأشرق بدر تمّ ودارت بالحتوف رحى طحون

وأحدقت الرّماح به فأعيا عليّ أهالة حي أم عرين

أطلّ على سريرة كلّ غيب بفكر لا تخالجه الظنون

فما للماء في أرض ركود ولا للنار في حجر كمون

تشــوّفت الملــوك هــوى وذعــرا إلـــى مـلـــك يـــدان ولا يـديـــن

إلـــى متهلّـــل القســمات طـلـــق كـأنّ سـنـــا الصـــبّاح لـــه جبـين

جـــواد بالـــديار ومـــا حـوتـــه ولـــو أنّ الـــزمـــان بهـا ضـنين

تعـــزّ بـــه الركائـــب والقوافـــي إذا كـانـــت بـأقـــوام تـــهـــون

أبـا حسضـن ومـولى كـلّ حسـن دعـــاء لا يـمـيـــل ولا يمـين

قـــد اهتـــزّت بأنعمـــك اللـيـــالي كـمـــا تـهـــتزّ بـالثّمر الغصـون

أدرت علـى البسـيطة كـأس طيـب تعاطتـــه السّـــهولة والحـــزون

فكـــلّ قـــرارة مســـك فتيـــق وكـــلّ منيفـــة علـــق ثمـــين

طليعـــة جيشـك الظّفـر المـواتي وظـــلّ لوائـــك الفـــتح المبـــين

عقـــاب كلّمـــا أمســـت بـــأرض فلـيس سـوى الصـدور لهـا وكـون

رفعـت علـى التّخـوم منـار عـدل أنـــار وهـــذه الأيـــام جـــون

إذا وعـد الزمـان سـرور شـيء فمنـــك عليـــه نـــذر أو يمـــين

أحـنّ إليـك واسـأل بـي وسـلني وغايـة كـلّ مـن نـزع الحنـين

ودونـــك كـــلّ مومـــاة فيـــاح كـــأنّ نهارهـــا قلـــب حـــزين

ونـت فيهـا الرّيـاح الهـوج حتّـى كـأنّ ظهورهـا العليـا بطـون

إذا سـرّحت طرفـاك قلـت بحـر يـذلّ الطّـرف فـي ويسـتكين"

أمّا رثاؤه فيأتي بعد المدح في ديوانه، فيتّبع فيه عدّة أساليب، فتارة يعدّد أوصاف الفقيد، ويبين هول الفاجعة وما أحدثته في النفوس من ألم وأسف، وتارة يلجأ إلى

النظرات التأملية في زوال الدنيا ومن عليها أو يلجأ إلى استعراض الحقائق المصيرية، التي تجعل الإنسان اللعوبة في يد الأقدار"[١٥٤].

وله قصيدة مشهورة في الهجاء، وبسبب هجائه اللاذع لقب ببشار الأندلس.

ويكثر في شعره موضوع الشكوى من الفقر والحياة، ومن قوله في الشكوى:

"الحمد لله وشكرا له لا طارف عندي ولا تلد

صرت ولا أنبيك عن غائب في حالة يرثي لها الحاسد

إن ينب بي دهري فالله لي والمترجّى للندى خالد

يا واحدا أفضاله شركة فينا ولكن مجده واحد

حولي أفراخ كزغب القطا ليلي من همّ بهم ساهد

أنت أب لي ولهم عاطف ربّ ابن خمسين له والد"

وله أيضا موشحات مشهورة، ستبينها الباحثة في الباب الثالث.

الرمادي :

أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي الكندي، شاعر أندلسي كبير، ولد في قرطبة. ينتسب إلى قبيلة كندة، والرمادي نسبة إلى رمادة وهي موضع في المغرب الذي كان يسكن فيه أحد أجداده.

وهو شاعر وجداني كثير الشعر سريع القول، مشهور عند العامة والخاصة لسلوكه في فنون المنظوم[١٥٥]. وكان شاعر الحكم المستنصر بالله، ولكن لمّا وقعت المنافسة بين الحاجب والوزير المصحفي وقف الرمادي جانب المصحفي، فلمّا تغلب الحاجب المنصور على المصحفي، أمر بسجن الرمادي، كتب في

١٥٤- المصدر السابق، ص٩٧٦.

١٥٥- ابن سعيد –المغرب في حلى العغرب، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ج ١، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١١١٩، ص٣٩٢.

السجن كتابه " الطير" الذي وصف فيه كل طير. توفي الرمادي سنة ٤٠٣ هـ، ومن شعره:

"قالوا اصطبر وهو شيء لست أعرفه من ليس يعرف صبرا كيف يصطبر
أوصِ الخليّ بأن يغضِى الملا حظَ عن غُرِّ الوجوه ففي إهمالها غَرَرُ
وفاتنِ الحُسْن قَتّال الهَوَى نَظَرَتْ عينى إليه فكان الموتُ والنّظَرُ
ثم انتصرْتَ بعين وهْيَ قاتلنى ماذا تريدُ بقتلى حين تَنْتصِرُ
يا شُقَّةَ النفس واصِلْها بشُقَّتها فإنما أنفس الأعداء تَهْتَجِرُ
ظلمْتَنى ثم إنى جئت معتذرًا يكفيك أنىَ مَظْلومٌ ومعتذرُ"[١٥٦]

ابن سهل :

أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي الأندلسي، شاعر وكاتب ووشاح أندلسي، وكان يهوديا ثم أسلم، ولد في إشبيلية سنة ٦٠٥هـ، اختلف إلى مجالس العلم والأدب فيها.

وكان من عجائب الزمان في ذكائه على صغر سنه يحفظ الأبيات الكثيرة من سمعة[١٥٧].

شعره في الهجاء:

"كانَ مُحيَّاكَ له بهجةٌ حتى إذا جاءَكَ مَاحِي الجمال
أصبحْتَ كالشَّمْعة لما خَبَا فيها الضياءُ اسودَّ منها الذُّبَالْ"[١٥٨]

انتشر الشعر العربي في الأندلس بعد أن استقر المسلمون فيها. وكان الشعر الأندلسى تقليدا للشعر العربي في المشرق في أغراضه ومضامينه، فقد برع الشعراء بنظم الشعر في جميع أغراضه التقليدية من الغزل والتصوف والزهد والحكمة والمدح والهجاء والفخر. ثم ظهر التجديد في شعرهم وطوروا على أغراضه وزادوا عليها رثاء المدن والممالك الزائلة وشعر الإستغاثة. فقد أحدثوا

١٥٦- المصدر السابق، ص٣٩٤.
١٥٧- المصدر السابق، ص٢٦٩.
١٥٨- المصدر السابق، ص٢٧٠.

فنّان جديدان اللذان لم يظهرا في بلاد المشرق. وهما الموشحات والأزجال. والباب الثالث يناقش الموشحات الأندلسية وأغراضها وأجزائها وأوزانها وأهم الوشاحين فيها.

الباب الثالث

الموشحات الأندلسية

الفصل الأول : الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها

الفصل الثاني : أجزاء الموشحات

الفصل الثالث : أوزان الموشحات

الفصل الرابع : أغراض الموشحات

الفصل الخامس : الوشاحون في الأندلس

الباب الثالث

الموشحات الأندلسية

الموشحات فن شعري نشأ في أوساط الشعب الأندلسي خلال القرن الثالث الهجري على يد الشاعر الأندلسي مقدم بن معافي القبري. وقد اتسعت الموشحات لاحتضان كل موضوعات الشعر وأغراضه. وهي مرتبطة بغير شك بالحياة الإجتماعية الأندلسية التي شاع فيها الغزل والشراب والغناء، فكانت الموشحة بتشطيرها صالحة لأن تغني، وتتيح للمغني تجويد غنائه وترديد أنغامه وترقيق صوته وتنويع ألحانه.

الموشحات وهي زُبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته. وهي من الفنون التي أَغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق. وظهروا فيها كالشّمس الطالعة والضياء المُشرق[١٥٩].

١٥٩ - ابن دحية عمر بن حسنالمطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق الإبياري، القاهرة، ١٩٥٤.

الفصل الأول

الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها

التعريف اللغوي :

الموشحات جمع موشح وهو مأخوذ من الوشاح، فالوشاح في أصل الوضع اللغوي من حلي النساء، وهو كرسان أي نظمان من لؤلؤ وجوهر منظمان، مُخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح به المرأة. والوشاح – كما يقول الجوهريّ في الصحاح – شيء ينسج من أديم عريضا ويرصّع بالجواهر، وتشدّه المرأة بين عاتقيها وكشحيها[١٦٠].

فالوشاح عند اللغويين نوع من اللباس ترتديه المرأة للزينة. وتوشّحت المرأة أي لبست، ومنه اشتق توشّح الرجل بثوبه[١٦١].

التعريف الاصطلاحي :

حاول عدد من الدارسين تعريف الموشح بتعريفات متعددة، ومن أهمها:

عرّف ابن سناء الملك الموشح بأنه: الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص. وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع. فالتام ما ابتدىء فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدىء فيه بالأبيات[١٦٢].

وعرّفه مصطفى عوض الكريم ب "الموشح لون من ألوان النظم ظهر أول ما ظهر بالأندلس في عهد الدولة المروانية في القرن التاسع الملادي، ويختلف عن

١٦٠- الدكتور عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس، ص٣٤١.
١٦١- ابن منظور، لسان العرب، بيروت ١٩٥٥، مادة وشح.
١٦٢ - ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق د. جودت الركابي الطبعة الأولى، دمشق ١٩٤٩، ص: ٢٥

غيره من ألوان النظم بالتزامه قواعد معينة من حيث التقفية وخروجه أحيانا على الأعاريض الخليلية وبخلوه أحيانا من الوزن الشعري وباستعماله اللغة الدارجة والعجمية في بعض أجزائه، وباتصاله الوثيق بالغناء"[١٦٣].

وعرّفه محمد بن أبي شنب بقوله: "الموشح قصيدة نظمت من أجل الغناء"[١٦٤]

وبيّن ابن خلدون عن الموشح في المقدمة: "وأما أهل الأندلس لما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فنا منه سمّوه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة، ويسمّون المتعدد منها بيتا واحداويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان. عددها بحسب الأغراض والمذاهب، وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد"[١٦٥].

سبب التسمية :

الموشحات جمع موشحة وهي مشتقة من الوِشاح وهو كِرسان أي نظمان من لؤلؤ وجوهر منظومان، مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح به المرأة. ويعتقد أن كلمة "الموشحة" تعود إلى اللفظة السريانية "موشحتا" أي بمعنى "إيقاع" أو "ترتيلة من المزامير"[١٦٦].

فجميع الدارسين يذهبون على أن هذه الكلمة مشتقة من الوشاح، فمن قولهم: "وأصل الموشح من الوشاح، وهو عقد من لؤلؤ وجوهر منظومين مخالف بينهما

---

١٦٣ - مصطفى عوض الكريم - فن التوشيح، بيروت، دار الثقافة، ط٢، ١٩٧٤، ص - ١٨

١٦٤ - دار المعارف الإسلامية، مادة التوشيح نقلا عن مصطفى عوض الكريم، ص - ١٧

١٦٥ - ابن خلدون – المقدمة، تحقيق ا. م . كاترمير، طبعة باريس ١٨٥٨،مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٢، ج ٣، ص٣٩٠.

١٦٦- http://kanouz.ahlamontada.net/t6915-topic، Date: 12/07/2018.

معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح المرأة به، والشبَه بين الموشحات والوشاح ظاهر في اختلاف الوزن والقافية في الأبيات وجمعها في كلام واحد"[١٦٧].

ومن قولهم: والذي نراه في أصل هذه اللفظة – الموشح – أنها منقولة عن قولهم: ثوب موشح، وذلك لوشي يكون فيه، فكأن هذه الأسماط والأغصان التي يزيّنونه بها، هي من الكلام في سبيل الوشي من الثوب ثم صارت اللفظة بعد ذلك علما[١٦٨].

ومن قولهم: وقد سمّي هذا الوزن بالموشح لما فيه من ترصيع وتزيين وتناظر وصنعة فكأنهم شبّهوه بوشاح المرأة المرصع باللؤلؤ والجواهر.

نشأة الموشحات وتطورها :

نشأت الموشحات في الأندلس أواخر القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي، وكانت نشأتها في فترة التي حكم فيها الأمير عبد الله. فكانت نشأة الموشحات استجابة لحاجة فنية أولا ونتيجة لظاهرة اجتماعية ثانيا. أما كونها استجابة لحاجة فنية فبيانه أن الأندلسيين كانوا قد أولعوا بالموسيقى وكلفوا بالغناء منذ أن قدم عليهم زرياب، وأشاع فيهم فنه، وأصبحت الحاجة ماسة إلى لون من الشعر الجديد، ومن هنا ظهر هذا الفن الشعري الغنائي التي تتنوع فيه الأوزان وتتعدد القوافي. وأما كون نشأة الموشحات نتيجة لظاهرة اجتماعية فبيانه أن العرب امتزجوا بالإسبان وألفوا شعبا جديدا فيه عروبة وإسبانية، وكان من مظاهر هذا الإمتزاج أن عرف الشعب الأندلسي العامية اللاتينية Romance، كما عرف العامية العربية، أنه كان هناك ازدواج لغوي نتيجة للإزدواج العنصري[١٦٩] .

١٦٧- الدكتور عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس، ص٣٤١

١٦٨ - مصطفى صادق الرافعي – تاريخ آداب العرب، ج ٣، ص - ١٦

١٦٩- الدكتور أحمد هيكل – الأدب الأندلسي من الفتح إلى السقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥، ص :١٤٤.

يقول ابن بسام في كتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" عن نشأة الموشح وتطوره، ويقول: "وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ووضعوا حقيقتَها غير مرقومة البرود ولا منظومة العقود، فأقام عبادة[١٧٠] هذا منآدها[١٧١] وقوّم ميلها وسنادها، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلاّ منه، ولا أخذت إلاّ عنه. واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته. وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تشقّ على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب. وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا واخترع طريقتها – فيما بلغني – محمد بن محمود القبري الضرير. وكان يصنعها على أشطار الأزهار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة. يأخذ اللفظ العاميّ والعجميّ ويسميه المركز، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان. وقيل إن ابن عبد ربّه صاحب كتاب " العقد الفريد" أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا. ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز[١٧٢]، يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة. فاستمر على ذلك شعراء عصرنا كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن. ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التضفير[١٧٣]. وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها، كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز. وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب[١٧٤].

ومنها تفهم الباحثة أن الموشحات مرت بتطورات عديدة بعد فترة نشأتها وقبل أن تتخذ لها الشكل النهائي، الذي تم على يد الشاعر عبادة بن ماء السماء.

١٧٠- عبادة بن ماء السماء (ت ٤٢٢هـ).
١٧١- أقام منادها أي معوجها
١٧٢ - أي تجزئة الأشطار إلى أجزاء صغيرة
١٧٣ - أي تجزئة الأشطار في الأغصان
١٧٤ - ابن بسام: الذخيرة – ١/١،ص ٤٦٩، ٤٧٠.

وأول طور للموشح كان على شكل منظومة غنائية من صنع زرياب (١٧٣-٢٤٣)[١٧٥] يضعها لألحانه المتميزة. وكانت من جملة المبتكرات الجديدة التي ابتدعها حيث كانت على أشطار الأشعار المهملة وعدم التقيد بوزن ما وقافية واحدة، بل تتنوع القوافي، وتشتمل عل عدد من الألفاظ الجارية على الألسن مما ينسجم مع أذواق العامة.

أما الطور الثاني الذي مر به الموشح فكان يوم أحدث محمد بن محمود القبري "المركز" كما جاء في الذخيرة - يأخذ اللفظ العاميّ والعجميّ ويسميه المركز - فثبت من كلام ابن بسام أن فكرة المركز لم تكن معروفة سابقا، أو أن الشاعر لم يشأ أن تكون الموشحة كلها باللغة العامية، بل عدل عن العامية تجنبا على ما يبدو لشدة المحافظين، وقد اكتفى في أن تكون الخرجة فقط باللفظ العامي أو العجمي، والمركز يقصد به الخرجة.

وفي الطور الثالث كان الوشاح قد انتقل بالموشح نقلة جديدة حيث كانت الموشحة حتى ذلك الحين دون تضمين فيها ولا أغصان، ثم جاء يوسف بن هارون الرمادي (ت-٤٠٣هـ) وأضاف شيئا جديدا إلى الموشح، ذلك أنه ضمن في المراكيز وكانت من قبل بدون تضمين كما جاء في قول ابن بسام. وقد استمر الموشحة كذلك ونسج الشعراء على تلك الشاكلة، إلى أن نشأ عبادة بن ماء السماء فأحدث التضفير.

اكتملت صورة الموشحة على يد عبادة وتوفرت لها جميع عناصرها الفنية حتى صارت فنا قائما بذاته. وقد أخذ الشعراء في جميع أنحاء الأندلس يشتغلون في هذا الفنّ ولمع من بينهم كثيرون كالأعمى التطيلي وابن بقي وابن زهر وابن سهل الإشبيلي، وقد أبدعوا فيه أعظم ابداع.

١٧٥- موسيقي ومطرب عذب الصوت من بلاد الرافدين من العصر العباسي. لُقِّب بزرياب لعذوبة صوته ولون بشرته القاتم الداكن.

وفي الجملة إن الموشحات بدأت في الأندلس بصورة بسيطة، على يد محمد بن محمود القبري، ثم تطورت وازدهرت على يد عبادة بن ماء السماء، وعرف به كثير من الوشاحين الأندلسيين، ثم انتقل الموشح في الحقبة المتأخرة إلى المشرق، وأصبح له أسسه ومبادئه العلمية ويرجع الفضل في ذلك إلى ابن سناء الملك، فبدأ ينظم فيه شعراء كثيرون وأبدعوا فيه أعظم ابداع، وبدأ التأليف فيه أيضا من قبل الدارسين المحدثين بشكل واسع. فالموشح مظهر من مظاهر الأدب في الأندلس، يظهر فيه طابع الحياة الجديدة، فهو فن يعكس الواقعة في رحاب حياة الناس بعيدا عن التقليد الأدبي.

الفصل الثاني

أجزاء الموشحات

يتكون الموشح في بنائه من أجزاء معيّنة تواضع عليها الوشاحون والتزموها في صنع موشحاتهم لتأدية إيقاعات منسجمة، إلا أنهم لم يعطوا هذه المصطلحات تسميات تعرف بها، وبقيت هذه الظاهرة على حالها حتى انتشرت الموشحات في الأندلس، فتناولها بعض المؤرخين المتأخرين وحاولوا وفق استنتاجاتهم الاصطلاح على أجزائها دون الاتفاق على تسمية موحدة[١٧٦].

يعد ابن سناء المُلك أول من حدّد هذه الموشحات، وذلك بإسناد إلى قوله: "ولم أر أحدا صنّف في أصولها ما يكون للمتعلم مثالا يحتذى، وسبيلا يُقتفى"[١٧٧]. إنه أول من صنّف أصول الموشح. ويبقى الأمر مبهما حول المصدر الذي استقى منه هذه المصطلحات، إن معظم الكتب الأندلسية التي تناولت الموشحات والتي سبقت عصر ابن سناء الملك لم تصل إلى الوجود[١٧٨].

وهذه الأجزاء هي : المطلع أو المذهب، والدور والسمط والقفل والبيت والغصن والخرجة. توضح الباحثةهذه الأجزاء بتقديم موشحة، لتكون مثالا توضح به كل جزء من أجزائها في نطاق المصطلحات التي مر ذكرها.

تقدّم موشحة قصيرة لابن مهلهل التي يصف فيها الطبيعة وصفا رقيقا:

"النّهر سلّ حُساما على قدود الغصون

وللنّسيم مجال

والروض فيه اختيال

١٧٦- محمد عباسة، الموشحات والأزجال وآثارها في شعر التروبادور، ص: ٦٢.

١٧٧- ابن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق: جودة الركابي، ط ١، دمشق١٩٧٧، ص: ٢٤.

١٧٨- محمد عباسة، الموشحات والأزجال وآثارها في سعر التروبادور، ص: ٦٢.

مُـدّت عليـــه ظـــلال

والزّهرُ شقّ كماما وجدًا بتلك اللّحون

أما تـرى الطيرَ صــاحــا

والصُّبحَ في الأُفقِ لاحـــا

والزَّهرَ في الروضِ فاحا

والبرقَ ساقَ الغماما تبكي بدمعٍ هتونِ"[١٧٩]

هذا الموشح من أبسط النماذج التي ساقها الوشاحون الأندلسيون وأكثروا منها. وهو موشح تام يتركب من ثلاثة أقفال وبيتين، وينقسم كالتالي:

المطلع أو المذهب: كلاهما اصطلاح يطلق على القفل الأول من الموشحة، ويتكون عادة من شطرين أو أربعة أشطر. وهو هنا في موشحة ابن مهلهل يتكون من شطرين أو غصنين هما:

"النهر سل حساما على قدود الغصون"

وقد تختلف قافية الغصنين أوالشطرين كما هو الحال في هذه الموشحة، وقد تتفق القافية كما هو الحال في المطلع التالي لإحدى موشحات ابن اللبانة:

"سامروا مَن أرقا وارحموا مَن عشقا

ليت شعري هل درى من نفى عني الكرى انه لو أَمرا لتوخيت السرى

وادّرعت الغسقا مثل نجم طرقا

ليت دنياي تعير مثل ايام السرور وأرى الساقي يدير كأسه نارا ونور

ياله كيف سقى بدر تمّ شفقــا

من شج بالخرد مثل وجد المعتمد بالا يادى والصفد بيد تتبع يد

١٧٩- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١،ص٤٢٤.

قد أَضأْن الافقا ومِلأْن الطرقا

ملك سام أغر ضيغم بادى الظفر غرس الناس شجر عارض هامي مطر

سح فيه ورقا فكساها ورقا

رب لميا الشفتين عانقتني بعد بين فحكينا الفرقدين ودعونا مخلصين

عاشقين اعتنقا رب لا تفترقا"[١٨٠]

إذا بدأ الموشح بالمطلع يسمّى "موشحا تاما"، أما المطلع ليس ضروريا، فقد يبتدأ الموشح بالدور مباشرة، وفي هذه الحال يسمّى الموشح "بالموشح الأقرع".

الدور: هو مجموعة الأبيات التي تلى المطلع في الموشح التام، وإن كان الموشح أقرعا فالدور يأتي في أوله، يشترط في الدور أن يكون وزنه من وزن المطلع، ولكن قافيته الموحدة في أشطره أو أسماطه تختلف عن قافية المطلع.

والدور في هذا الموشح هو:

"وللنّســـــيم مجـــال

والروض فيه اختيال

مُدّت عليـــه ظـــلال"

فهذا الدور يتكون من ثلاثة أشطر ذات قافية واحدة. وليس للموشح عدد معين من الأدوار يلتزم فيه الوشاح، يبلغ عددها من ثلاثة إلى خمسة أجزاء، وقد يفوق ذلك١٨١، فالموشحات التي لم تتجاوز خمسة أدوار هي في الغالب "الموشحات الغنائية" أي التي كانت تنظم أصلا ليتغني بها، أما"الموشحات الشعرية" فلم يتقيد الوشاحون فيها بعدد معين من اللأدوار، كما هو الشأن في موشحات المتأخرين من أمثال لسان الدين بن الخطيب وتلميذه ابن زمرك ومن

١٨٠- لسان الدين بن الخطيب، جيش التوشيح، ص:٦٩.

١٨١- ابن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات، ص: ٣٤.

عارضوهما في بعض الموشحات. فمن هؤلاء من بلغ عدد الأدوار في بعض موشحاته عشرة الأدوار١٨٢، كموشحة لسان الدين بن الخطيب التي مطلعها١٨٣:

"جادك الغيث إذا الغيث همى يازمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلاّ حلما في الكرى أو خلسة المختلس"

السمط: هو اسم اصطلاحي يطلق على كل شطر من أشطر الدور، ويتكون من فقرة واحدة، ولا يقل عدد الأسماط في الدور الواحد عن ثلاثة، وقد تزيد عددها حسب رغبة الوشاح، ويشترط في قوافي أسماط كل دور أن تكون على رويّ واحد، وعدد أسماط الدور الأول من الموشحة هو الذي يحدد عددها في سائر أدوار الموشحة. فاذا كان عدد أسماط الدور الأول ثلاثة أو أربعة أو أكثر، التزم الوشاح بهذا العدد في الأدوار الأخرى من الموشحة.

فالسمط في هذه الموشحة :

" السمط - وللنّسيم مجال

السمط - والروض فيه اختيال

السمط - مُدّت عليه ظلال"

فالدور في هذا المثال يتكون من ثلاثة أسماط أو أشطر، وقد التزم الشاعر بهذا العدد في جميع أدوار موشحته.

وقد يكون السمط مفردا أي مكونا من فقرة واحدة، كما هو الحال في موشحة ابن مهلهل، وقد يكون مركبا من فقرتين كما هو في دور موشحة أبي الوليد يونس الخباز :

١٨٢- د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص: ٣٥٤.

١٨٣- المقري، نفح الطيب، ج ٩، ص: ٢٢٥.

"جعلت حَظيَمنـــه بين الرجا والتمنـــي

لم أظهر اليأسَ عنـه لما أطال التّجـنّـــي

بل قلت:يا قلب صنه لديك عن سوء ظنيّ"[١٨٤]

فهذا الدور يتكون من ثلاثة أسماط، ويتألف كل واحد منها من فقرتين.

وقد يكون السمط مركبا من أكثر من فقرتين، كقول ابن بقي في الدور الأول من موشحة له:

"بدر تـم شمس ضحَى غصن نقا مسك شمّ

ما أتـمّ مـا أوضحـا ما أورقـا مـا أنـمّ

لا جرم من لمحـــا قدعشـقـا قد حـــرم"[١٨٥]

فالدور هنا مؤلف من ثلاثة أسماط ويتركب كل سمط منها من أربع فقرات، ويجوز للوشاح أن يزيد عددها إذا أراد، وعدد فقرات السمط الأول من الدور الأول من الموشحة هو الذي يحدد عدد الفقرات في جميع أسماط الموشحة[١٨٦].

القفل: هو جزء يلي الدور مباشرة ويسمى أيضا مركزا[١٨٧]، وهو يشبه المطلع في الموشح التام، أي في الوزن والقافية وعدد الأغصان.

والأجزاء التي يتكون منها القفل أقلها اثنان وقد تبلغ إلى عشرة أجزاء حسب قول ابن سناء الملك: "وأقل ما يتركب القفل من جزئين فصاعدا إلى ثمانية أجزاء، وقد يكون من النادر ما قفله تسعة أجزاء وعشرة"[١٨٨]. وليست الموشحة مشروطة بعدد ثابت من الأقفال، يتردد القفل في الموشح التام ست مرات وفي

١٨٤- لسان الدين بن الخطيب، جيش التوشيح، ص: ١٤٥

١٨٥- المصدر السابق، ص١٤٥.

١٨٦- د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص: ٣٥٦.

١٨٧- د. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه،دار العلم للملايين، بيروت - لبنان ١٩٨٦، ط ٦، ص: ٣٧٧.

١٨٨- ابن سناء الملك ، دار الطراز في عمل الموشحات، ص: ٣٤-٣٦.

الأقرع خمس مرات، ولذلك فإن هذه الموشحة غير كاملة. والقفل في هذا الموشح:

"والزّهرُ شقّ كماما وجدًا بتلك اللّحون"

البيت: مفهوم البيت من الموشحة غيرُ مفهومه في القصيدة التقليدية. البيت في القصيدة التقليدية هو الصدر والعجز، أما في الموشحة يتكون عادة من الدور ومن القفل الذي يليه مجتمعين معا، فالبيت في هذا الموشح هو:

"وللنّسيم مجال

والروض فيه اختيال

مُدّت عليه ظلال

والزّهرُ شقّ كماما وجدًا بتلك اللّحون"

يتكون البيت بعد المطلع إذا كان الموشح تاما، ويتصدره إذا كان الموشح أقرعا. البيت في الموشحة نوعان: بسيط ومركب. فالبيت البسيط ما كان أعداد أسماط دوره ثلاثة أو أربعة أو خمسة. والنوع الشائع في الموشحات من البيت البسيط ما كان عددها ثلاثة[١٨٩]، ومن أمثلة ذلك البيت السابق من موشحة ابن مهلهل.

أما البيت البسيط الذي يتكون دوره من أربعة أو خمسة أسماط كما في موشحة ابن اللبانة، يتكون دوره من أربعة أسماط:

"ليت شعريهل درى

من نفى عني الكرى

أنه لو أمرا

لتوخّيت السّرى

١٨٩- د/ عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص: ٣٥٧.

وادّرعت الغسقا مثل نجم طرقا؟ "[١٩٠]

أما البيت المركب في الموشحة فهو ما تكون كل سمط من دوره من فقرتين أو ثلاث أو أربع أو خمس فقرات[١٩١]. ومن أمثلة البيت المركب الذي يتألف دوره من ثلاثة أسماط وكل منها مؤلف من فقرتين قول أبي عيسى بن لبّون :

"سلاّب النفوس أمـير قـدير مسـلَّط

الـدرّ النّفيس من فيه إذا فاه يلقط

قمـر للجليس وورد بمسـك منـقَّط

فـما يمـثل إلا وترى السِّحر يسجد"[١٩٢]

وإن كانت البيت "مفردة أو مركبة يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقا مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد أجزائها لا في قوافيها، بل يحسُن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفةً لقوافي البيت الآخر"[١٩٣].

الغصن: اسم اصطلاحي لكل شطر من أشطر المطلع أو القفل أو الخرجة، وتتساوئ الأغصان عددا وترتيبا وقافية في كل الموشحة إلا في حالات نادرة قد يخرج الوشاح عن هذه القاعدة. وأقل عدد الأغصان في مطلع أي موشح وكذلك في أقفاله وخرجته اثنان، وأكثرها يصل إلى عشرة. والغصن في هذا الموشح هو:

"والزّهرُ شقّ كماما وجدًا بتلك اللّحون"

وهذه الأقفال مكونة من غصنين، وقد تتكون من أربعة أغصان مثل موشح لسان الدين بن الخطيب:

"جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمـان الوصـل بـالأندلسِ

١٩٠- لسان الدين بن الخطيب، جيش التوشيح، ص: ٦٩.
١٩١ - د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص: ٣٥٧.
١٩٢- لسان الدين بن الخطيب، جيش التوشيح، ص: ١٦٣.
١٩٣- ابن سناء الملك ، دار الطراز في عمل الموشحات، ص:٢٥.

لم يكن وصــلك إلاّ حُلُمـــا في الكرى أو خِلسةَ المختلِسِ"

كما سبق القول يجوز أن تتفق قافية الغصنين ويجوز أن تختلف.

الخرجة: هي آخر قفل في الموشحة، وهي قفل بكل شروطه غير أنها تقع في آخر الموشحة. وهي وما يسبقها من أقفال تعدأجزاء أساسية لبناء الموشح، وبدون الأقفال والخرجة لا يمكن تسمية المنظومة موشحا[١٩٤].

يقول ابن سناء الملك مشيرا إلى أهميتها في الموشحة: "والخرجة هي أبراز الموشح وملحه وسكره، ومسكه وعنبره، وهي العاقبة وينبغي أن تكون حميدة والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة"[١٩٥].

الخرجة في رأي ابن سناء الملك ثلاثة أنواع، وهي:

١. الخرجة المعربة وهي التي تكون فصيحة اللفظ بعيدة عن العامية مثل خرجة موشحة أبي بكر بن زهر[١٩٦]:

"قد نما حبُّك بقلبي وزكا وتقل إني في حبّك مُدّعي"[١٩٧].

٢. الخرجة العامية مثل خرجة موشحة الأعمى التطيلي:

"يا رب ما أصبرني نرى حَبيب قلبي ونِعشقو
لـو كان يكون سُنّة فيمن لقـي خـلُّو يعـنّقـو"[١٩٨]

٣. الخرجة الأعجمية مثل خرجة موشحة لابن القزاز:

"مسيو سيدي ابراهيم يا نوامن دلج فانتِ ميب دي نختِ

١٩٤- د. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص: ٣٧٨.
١٩٥- ابن سناء الملك ، دار الطراز في عمل الموشحات، ص: ٣٢.
١٩٦- لسان الدين بن الخطيب، جيش التوشيح، ص: ٢٠٤.
١٩٧- في دار الطراز وردت خرجة هذا الموشح كالآتي:
قد نما حبك عندي وزكا لا تقل في الحب إني مدعي.
١٩٨- د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص: ٣٥١.

إن نون شنون كارش بيريم تـيب غرمي أوب لَقـرتِ"

ومعنى هذه الخرجة الأعجمية: يا سيدي ابراهيم، يـا صـاحب الاسم العذب، أقبل إليّ في المساء، فإن لم ترد، جئت إليك، ولكن أين أجدك؟[١٩٩]

يشترط ابن سناء الملك في الخرجة العجمية أن يكون اللفظ فيها: "سفسافا نفطيا ورماديا زُطيا"[٢٠٠]. ويريد بذلك استخراجها من الألفاظ المحرقة كما يحرق النفط، وينبغي أن تكون ألفاظها جيّدة كألفاظ الشاعر الأندلسي الشهير يوسف بن هارون الرمادي. ولا يشترط أن تكون ألفاظ الخرجة كلها عجمية بل تكون مزيجا من ألفاظ عربية وعجمية أوعامية وعجمية. كما أنه ينبغي على العجمية أوالعامية أن تستخدم في الخرجة فقط.

١٩٩- د/ مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص: ٣٧٩.
٢٠٠- ابن سناء الملك ، دار الطراز في عمل الموشحات، ص: ٣٢.

الفصل الثالث

أوزان الموشحات

يعد الموشحة في الأصل منظومة غنائية لا تسير في موسيقاها على النهج العروضي التقليدي الذي يلتزم وحدة الوزن والقافية، وإنما تسير على النهج الجديد بحيث يختلف الوزن وتتنوع القافية. كان ابن بسام أول من أشار إلى أوزان الموشحات، وربط بينها وبين الغناء، فقال عن أوزان الموشحات: "إن أكثرها على الأعاريض المهملة غيرِ المستعملة"[٢٠١]. إلا أنه لم يبين ما هذه العروض بشكل واضح، ثم جاء بعده ابن سناء الملك ليبين طبيعة إيقاعية للموشح، ففي كتابه "دار الطراز في عمل الموشحات" يقسم الموشحات من حيث أوزانها على قسمين: "الأول ما جاء على أوزان أشعار العرب، والثاني ما لا وزنَ له فيها ولا إلمام له بها"[٢٠٢].

أما القسم الأول الذي على أوزان أشعار المعروفة ينقسم إلى قسمين:

الأول هو ما لا يتخلل أقفاله وأبياته كلمة تخرج به تلك الفقرة التي جاءت فيها تلك الكلمة عن الوزن الشعري، يعد ابن سناء الملك هذا النوع من المرذول المخذول وهو بالمخمسات[٢٠٣]أشبه منه بالموشحات، ولا يفعله إلاّ الضعفاء من الشعراء، ومن أراد أن يتشبه بما لا يعرف ويتشيّع بما لا يملك، اللهم إلا إن كانت قوافي قفله مختلفة فإنه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن المخمسات كقول ابن زهر الحفيد:

٢٠١- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت-لبنان، ١٩٩٧، ق ١، ج ١، ص: ٤٦٩.

٢٠٢- ابن سناء الملك ، دار الطراز في عمل الموشحات، ص: ٣٣.

٢٠٣- المخمسات هي شعر الذي يقسم فيه الشاعر قصيدته إلى خمسة أقسام، في كل منها خمسة أشطر مع مراعات نظام ما للقافية في هذه الأشطر.

"أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع"[٢٠٤]

فهذا من بحر الرمل[٢٠٥]، فالجزء الأول من هذا القفل على قافية الكاف أما الثاني على قافية العين.

والقسم الآخر مما جاء على أوزان الشعر المعروفة هو ما تخللت أقفالَه وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة – كسرة كانت أو ضمة أو فتحة- تُخرجه عن أن يكون شعرا صِرفا وقريضا محضا، فمثال الكلمة قول ابن بقي[٢٠٦]:

"صبرت والصبر شيمة العاني ولم أقل للمطيل هجراني معذبي كفاني"

فهذا من البحر المنسرح[٢٠٧]، وأخرجه منه قوله "معذبي كفاني"، فقول الشاعر معذبي كفاني أخرج القفل من بحر المنسرح ومع ذلك فإن تفاعيل هذا الموشح هي من بحر المنسرح بغض النظر عن زيادتها.

فمثال الحركة هو أن تُجعل على قافية في وزن، ويتكلف شاعرها أن يعيد تلك الحركة بعينها وبقافيتها كقول ابن بقي أيضا[٢٠٨]:

"يا ويح صبٍّ إلى البرق له نظرُ وفي البكاء على الورق له وطرُ"

فهذا من بحر البسيط، والتزام إعادة القافية في وسط الوزن على الحركة المخفوضة في "البرق" و "الورق" أخرجه عن وزنه.

وأما القسم الثاني من الموشحات هو ما لا مدخل لشيء منه في شيء من أوزان العرب، وهذا القسم منها هو الكثير والجمّ الغفير، والعدد الذي لا ينحصر، والشارد الذي لا ينضبط[٢٠٩]

٢٠٤- ابن سناء الملك ، دار الطراز في عمل الموشحات، ص: ٣٣.
٢٠٥- وزن بحر الرمل: فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
٢٠٦- ابن سناء الملك ، دار الطراز في عمل الموشحات، ص: ٣٤
٢٠٧- وزن بحر المنسرح: مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن
٢٠٨- ابن سناء الملك ، دار الطراز في عمل الموشحات، ص: ٣٤- ٣٥.
٢٠٩- المصدر نفسه، ص:٣٥.

وعن ذلك القسم يقول ابن سناء الملك: "وكنت أردت أن أقيم لها عروضا يكون دفترا لحسابها وميزانا لأوتادها وأسبابها فعزَّ ذلك فأعوز، لخروجها عن الحصر وانفلاتها من الكف، وما لها عروض إلاّ التلحين، ولا ضرب إلاّ الضّرب ولا أوتاد إلاّ الملادي، ولا أسباب إلاّ الأوتار، فبهذا العروض يُعرف الموزون من المكسور، والسالم من المزحوف. وأكثرها مبنيّ على تأليف الأرغُن، والغناء بها على غير الأرغن مستعار وعلى سواه مجاز"[٢١٠].

وبعد تقسيم الموشحات يقسمها ابن سناء الملك أيضا من جهة أخرى إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول ينقسم إلى قسمين:

- قسم تأتي أقفاله على نفس وزن أبياته، فتظهر أجزاء الأبيات كأنها من أجزاء الأقفال كقول الأعمى التطيلي:

"أحلى من الأمن يرتاع من قربي ويفــرَق
في وجهه سنة يشجي بها العذل ويتشرَق
لله مــا أقــــرب علــى مُحبّيــه وأبعـــــدا
حلو اللمى أشنب آسى الضنى فيه وأسعـــــدا
أحبِب بــه أحبب ويــا تجنّيـــــه طـال المدا
أما ترى حزني نارا على قلبي تحــرّق
حسبي بها جنّة يا ماء يا ظـل يا رونق"[٢١١]

- وزن أقفاله يختلف عن وزن أبياته مخالفة تتبين لكل سامع ويظهر طعمها لكل ذايق، كقول بعضهم:

٢١٠- المصدر نفسه، ص: ٣٥.
٢١١- دار الطراز، ص٣٥- ٣٦.

"الحب يجنيك لذة العذل واللوم فيه أحلى من القُبل
لكل شيء من الهوى سبب جَدّ الهوى بي وأصله اللعب
وأن لو كان جدّ يغني كان الاحسان من الحُسن"

وهذا القسم لا يجسر على عمله إلاّ الراسخون في العلم من أهل هذه الصناعة، ومن استحق منهم على أهل عصره الإلمامة[٢١٢].

والقسم الثاني:فينقسم على قسمين أيضا:

- ما كان لأبياته وزنا يُدركه السمع ويعرفه الذوق كما تعرف أوزان الأشعار ولا يحتاج فيها إلى وزنها بميزان العروض، وهو أكثرها.
- وهو مضطرب الوزن مهلهل النسج، مفكك النظم، لا يحس الذوق صحته من سقمه ولا دخوله من خروجه، كالموشح الذي أوله:

"أنت اقتراحـــــــي لا قرب الله اللواحي
من شاء أن يقول فإني لست أسمـــع
خضعت في هواك وما كنت لأخضع
حسبي على رضاك شفيع لي مُشفّــع
نشوانُ صاحـــي بين ارتياع وارتياح"

والقسم الثالث: وينقسم كذلك إلى قسمين:

- قسم يستقل التلحين به ولا يفتقر إلى ما يُعينه عليه، وهو أكثرها.
- قسم لا يحتمله التلحين ولا يمشي به إلا بأن يتوكأ على لفظة لا معنى لها، تكون دعامةً للتلحين وعكّازا للمغنّي، كقول ابن بقي:

"مَن طالبٌ ثار قتلى ظبيات الحُدوج فتّانات الحجيج"

فإن التلحين لا يستقيم إلاّ بأن يقول "لا لا" بين الجزئين الجيميين من هذا القفل[٢١٣].

٢١٢- دار الطراز، ص٣٦.

الفصل الرابع

أغراض الموشحات

لما كانت الموشحات قد اتصلت في نشأتها بالغناء، فمن الطبيعي أن يكون الغزل هو الموضوع الرئيسي الذي من خلاله يصوغ الوشاحون الأوائل تواشيحهم، فالغزل والغناء مرتبط إلى حد كبيير بالشراب الذي يقبل عليه كل من الشاعر الغزل والمغنّي، ولذلك فسرعان ما ارتبط الغزل والخمر بحيث صارا موضوعا واحدا يلتزمها الوشاحون في الموشحة. يقول ابن بسام: وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تُشق على سماعها مصوناتُ الجيوب بل القلوب[٢١٤].

فإن الموشحات قد اقتصرت في بداية ظهورها على الغزل ثم وصف مجالس الأنس، وقد مزج الوشاحون الغزل بأغراض أخرى في موشحاتهم ثم شيئا فشيئا توسعوا في موضوعات الموشحات، ونظموا في جميع الأغراض التي كانت القصائد التقليدية تنظم فيها. فيقول ابن سناء الملك: والموشحات يُعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد"[٢١٥].

وأبرز أغراض الموشح هي: الغزل والخمر والمدح والطبيعة والرثاء والهزل والمجون والزهد والتصوف. وقد يجمع الموشح بين أكثر من غرض، كالغزل والمدح، على نحو ما يفعل في القصيدة التقليدية.

وفيما يلي توضح الباحثة الأغراض التي نظمت بها الموشحات مع الأمثلة:

٢١٣- المصدر نفسه، ص:٣٨.
٢١٤- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق ١، ج ١، ص: ٤٦٩.
٢١٥- ابن سناء الملك، دار الطراز، ص٣٨.

الغزل :

كما سبق القول أن الغزل هو أول غرض نظم فيه الأندلسيون موشحاتهم، ولذا جاءت الموشحات الغزلية كثيرة، لا تعد ولا تحصى، وكانت معانيها هي نفس معاني الغزل للقصيدة التقليدية، من وصف لآلام الفراق ولوعة المحب وتصوير الجانب الحسي للمرأة وغيرها.

ولما كان عبادة بن ماء السماء المتوفى سنة ٤٢٢هـ هو أول شاعر نهض بصنعة التوشيح نهضة ملحوظة، حتى كأنها لم تُسمع إلاّ منه ولا أُخذت إلاّ عنه، ومن موشحاته في الغزل:

"من ولَى في أُمّة أمرا ولم يعدِلِ
يُعزَلِ إلاّ لحاظ الرّشإ الأكحلِ

جُرْتَ في حُكمِك في قتلٍ يا مُسرِف
فَانصفِ فواجبٌ أن يُنصَفَ المنصِفُ
وارأف فإن هذا الشوق لا يرأَفُ

عالٍ قلبي بذاك البارد السّلسلِ
يَنجَلي ما بفؤادي من جوىً مُشعلِ

إنّما تَبْرُزُ كي توقدَ نارَ الفتنْ
صَنَمَا مُصَوّرًا في كلِّ شيء حسنْ
إنْ رَمَى لم يَحْظَ من دون القلوب الجنن

كيف لي تخلُّصٌ من سَهْمِكَ المُرْسَلِ
فَصِلِ واسْتَبْقني حياً ولا تَقْتُلِ"[٢١٦]

٢١٦- الصفدي: الوافي بالوفيات-ج: ١٦، ص: ٦٢٥- ٦٢٦.

لم يترك الأندلسيون بابا من أبواب الغزل المعروفة إلا وطرقوه في قصائدهم وموشحاتهم، ومن أبرز هذه الأبواب غرض الغزل العفيف[٢١٧] الذي ترك صدى واسعا في الآداب الأوربية. وقد ظهر في المشرق قبل انتقاله إلى المغرب والأندلس، وقد ألّف فيه حتى من الفقهاء، مثل ابن حزم[٢١٨] الأندلسي صاحب كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف. يشرح ابن حزم في هذا الكتاب فلسفة الحب وفهمه له وتناول فيه صفات الحب ومعانيه وأغراضه وظروفه وأحواله.

وقد انعكست أصداء الغزل في الموشحات، فالوشاحون يتحدثون عن العفافة ويصفون لوعة الفراق، ومن نماذج هذه الموشحات في الغزل العفيف موشحة ابن شرف[٢١٩]:

"إن أكن متُبالحب عنوة

فالشجن قد قضى منه عروة

وهو من لي فيه أسوة

وجميل قد مات كما قيل الردى به والحب قد أ ودى"

في هذا الموشح يتشبه الوشاح بشعراء الهوى العذري، أمثال جميل بن معمر ويتخذ من هذا الشاعر قدوة في الحب حتى أنه أشار إليه هذا الشاعر في موشحته.

أما الغزل الماجن[٢٢٠] (الصريح) فهو قليل جدا في الموشحات، ولا يظهر إلا في بعض الأبيات، وقد يكثر في الخرجات وخاصة ما كان منها باللهجة العامية أو

٢١٧- يسمى أيضا الغزل العذري هو نوع من الفنون الشعرية التي تظهر فيها حرارة العواطف الطاهرة العفيفة، التي يستخدمها الشاعر لإبراز مكابد العشق وآلام الفراق والبعد عن الحبيبة. يثبت فيها الشاعر على محبوبة واحدة حتّى أصبح الشاعر يعرف باسمها مثل جميل بثينة.

٢١٨- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، عالم وإمام وشاعر وفقيه وفيلسوف أندلسي، ولد في قرطبة سنة ٣٨٤ هـ.

٢١٩- لسان الدين بن الخطيب، جيش التوشيح، ص:١٠٥.

٢٢٠- الغزل الماجن أو الصريح هو حب ماجن يؤمن باللهو ولا يعرف الخلود، ويفتخر الشاعر بتنقله من محبوبة إلى أخرى حتى يتغزل بعدد من النساء في آن واحد.

العجمية التي قد يتخللها جانب من الإسفاف والأحماض[٢٢١]. وكذلك التغزل بالمذكر لم يكثر منه الأندلسيون في موشحاتهم، ولا تجد موشحات قد طرقت هذا الموضوع وحده إلاّ نادرا. ولعل ابن سهل الإشبيلي هو الوشاح الوحيد الذي أكثر من التغزل بالغلمان إذ جاء هذا الموضوع منفردا في موشحاته التي يتغزل فيها غلاما يهوديا اسمه موسى. ومن موشحاته التي يتغزل بغلام:

"خَمْريُّ الرُّضابِ والخـــدِّ دُرِّيُّ الكلامِ والثَّـــغـــر
نجـميُّ الضيــاءِ والبعـــدِ روضيُّ الـجمالِ والنَّشرِ
ســـقيمُ الـــلحاظِ والـــودَّ ضعيفُ العهودِ والخصرِ
ســـطا لحظـهُ فما أبقـــى وضعفُ العيونِ ذو قُدْرَهْ
وَأحْرَى مَنْ جانَبَ الرفقا ضـعيفٌ كـانَتْ لَـهُ كـرَّهْ"

أما الوشاحون قد خلطوا في موشحاتهم بين الغزل والأغراض الأخرى كالمدح والخمر ووصف الطبيعة. فهذا الموضوع تكثر في غرض المدح إذ يستهل الوشاح موشحة المدح بالغزل ويختمها بالغزل أيضا. وقد يجتمع في الموشح الغزل والخمر ووصف الطبيعة. ومن ذلك موشحة ابن زهر:

"شمس قارنت بدرًا راح ونديـــمٌ
أدر كـؤوس الخمر
عنبريـــــة النّشـــر
إن روض ذوبِشـــر
وقـد درّع النهـرا هبوبُ النسيم
وسلّت غلي الأفق
يد الغرب والشرق

٢٢١- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب، ص: ٨٨.

ســـوفاً مـن البـرق

وقد أضحك الزهرا بكاء الغيـــوم

ألا إنّ لـــي مولـــى

تحكّم فا ســـتولـى

أمـــا إنّـــه لـــولا

دموعٌ تفضح السرا لكنـــتُ كتـــوم"[٢٢٢]

في هذه الموشحة مزج الوشّاح بين الخمر والوصف والغزل.

الخمريات :

كان وصف الخمر من الأغراض الهامة التي تطرق إليها الوشاحون، وأكثروا الشيوع فيها وولعوا بوصفها، فوصفوا ألوانها ومجالسها ومعانيها وتغزلوا بسقاتها، واستخدموا فيها المعاني التي لا تكاد تخرج عن معاني القصيدة التقليدية.

ولم تأت الموشحة بغرض الخمر وحده، بل كان وصف الخمر يمزج في موشح واحد بأغراض أخرى أكثر مثل الغزل ووصف الطبيعة والمدح، كموشحة ابن زهر الأندلسي:

"أيها الساقي إليك المشتكى كم دعوناك وإنْ لم تَسْمَعِ

ونـــــديمٍ همـــتُ فـــي غُـــرَّتِهِ

وســـقاني الـــرَّاحَ مـــن رَاحـــتِهِ

كـلما اسْـــتَيْقَظَ مـــن سَـــكْرَتِه

جَـذَبَ الـزقَّ إليـــه واتَّكـــا وسَقَانِي أَرْبَعَاً فـي أَرْبُـعِ

٢٢٢- ابن سناء الملك، دار الطراز، ص: ٤٥.

غُصْنُ بانٍ مالَ من حَيْثُ اسْتَوَى

باتَ مَنْ يَهْوَاهُ مِنْ خَـوْفٍ النَّـوَى

خافِـقَ الأَحشا مَضْعُـوفَ القُـوَى

كلما فَكَّر في البَيْنِ بكى يـا لـه يبكـي لَما لـم يَقَـعِ"[٢٢٣]

في هذه الموشحة يصف ابن زهر الساقي العاشق يبكي كلما فكر في الفراق كما يصف ما يلاقيه في حبّه من معانات وآلام وحرارة الشوق وحرقة الهوى.

أما الموشحات التي بُنيت أساسا على وصف الخمر ومجالس الشرب فهي قليلة مما وصل إلينا، ومنها موشحة ابن بقي الطليطلي التي يقول في مطلعها[٢٢٤]:

"أدرْ لنـــا أكـــواب ينسـى بها الـوَجْـدُ

واستصحبِ الجلاّسْ كما اقتضى العهدُ"

المدح :

المدح من أغراض الموشحات المهمّة، ومن الطبيعي أن يكون من أغراضها، لأن كثيرا من الوشاحين كانوا من شعراء البلاط، يصاحبون الخلفاء والأمراء، ويسعون إلى كسبهم والتقرب منهم مثل لسان الدين بن الخطيب الملقب بذي الوزارتين.

وقد جاء المدح مندمجا مع أغراض أخرى، مثل الغزل والخمر والوصف. وأما ما جاء مستقلا فهو قليل جدا فيما نملك من الموشحات، وقد توسع الوشاحون في غرض المدح إذ تطرقوا إلى وصف الممدوح وغزواته وقصره وجنانه.[٢٢٥] وقد وجد موشحة واحدة مستقلة في غرض المدح، وهي لأبي عامر بن ينق، يقول في مستهلها:

٢٢٣- ابن سناء الملك، دار الطراز، ص: ٧٣- ٧٤.

٢٢٤- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص٩١.

٢٢٥- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية، ص٩٤

"سـراج عدلك يزهـر قـد عــمّ كـل العبــاد

ونــورُ وجهك يبهـر ســـــناهُ للـخلق بـــاد

أنت الـعزيزُ الأبـــي والـملكُمـــلك الأتـــام

انت السراجُ الوضـي والبـــدرُ بـــدر التمــام

لـيث إذا ما الــكمي قـد هابَ روع الحمـام

لله لـــيث غضنـــفر تلقـــاه يـــوم الـــجلاد

قـد سلّ سيفا مشهر على رؤوسِ الأعادي"[٢٢٦]

والموشحات في المدح التي مزجت بين الطبيعة والغزل كثيرة، ومنها موشحة لسان الدين بن الخطيب يقول فيها:

"جادك الغيث إذا الغيث همى يـا زمــان الوصــالِ بالأندلسِ

لــم يكـن وصـلُكَ إلا حُلُمــا في الكرى أو خلسة المختلسِ

إذ يقودُ الدهرُ أشتات المُـنى ينقـلُ الخَـطْوَ على ما يُرســمُ

زمــرّا بـين فـرادى وثنـــاَ مثلما يدعـو الحجيجَ الموسـمُ

والحيا قد جلل الروض سنا فثغـــور الزهر فيه تبســـم

وروى النعمان عن ماء السما كيــف يروي مالك عنا"[٢٢٧]

هذه الموشحة من أروع الموشحات الأندلسية، جمع فيها الوشاح بين وصف الطبيعة والمدح والغزل.

وقد توسعت موشحات المدح حتى شملت التهنئات ومدح الرسول ﷺ وقد نظم في مدح الرسول عدد من الوشاحين، وفي مقدمتهم ابن زمرك، فاشتهر بمولدياته، وهي موشحة أحيا فيها ذكرى مولد الرسول ﷺ. يقول في آخر موشحته:

٢٢٦- لسان الدين بن الخطيب، جيش التوشيح، ص: ١٩٣.

٢٢٧- المقري، نفح الطيب، م ٩، ص: ٢٨٦.

"يا مصطفى والخلقُ رهنُ العَدَمْ والكون لم يفتق كمام الوجودْ

مــزيّةٌ أعــطيتها فــي القــدمْ بهــا علــى كــلّ نبــيّ تســودْ

مولــدكَ المرقــومُ لمــاّ نَجَــمْ أنجــز للأمّــةِ وعْــدَ الســعودْ

ناديتُ لو يُسمَح لـي بالجـوابْ شـهْرَ ربيـع يا ربيـع القلــوبْ

أطلـعت للـهدْي بغيـر احتجـابْ شمسا ولكن ما لها من غروبْ"[٢٢٨]

إن موشحات المدح جاءت مصوغة بلغة سهلة ومعان بسيطة، لا تعقيد فيها ولا غموض، وهذا ما يناسب الغناء لأن موشحات المدح كانت تغني في الغالب أمام الممدوح.

وصف الطبيعة :

وكان من الطبيعي أن يكون وصف الطبيعة من أغراض الموشح البارزة، لأن الطبيعة الأندلسية الخلابة الأنيقة، أنجبت كثيرا من الشعراء وألهمتهم، فخصصوا لها قصائد طويلة يصفون فيها جمال الرياض والأودية والمناطق الخلابة، وقد كان لهذه الطبيعة تأثيرها على الوشاحين، فوصفوا الناطق والجامد حتى وصفوا ما في السماء وما في الأرض.

فالوشاحون يصفون الطبيعة لصلتهم الوثيقة بها ولإحساسهم بأنها جزء منها، وهم لم يكتفوا بوصف الطبيعة وحدها، بل مزجوا بين وصف الطبيعة وأغراض أخرى كالغزل والخمر، لأن مجالس الخمر كثيرا ما كانت تقام في رحاب الطبيعة. وقد يرتبط ذلك كله بغرض الحنين إلى الوطن.

ومن أمثلة ذلك قول ابن زمرك في موشحة ضمنها شوقه إلى غرناطة[٢٢٩]:

"أبلـغ لغـرناطــة ســلامي وصف لها عـهدي السليم

٢٢٨- المقري، نفح الطيب م ١٠ ، ص١٣٥.
٢٢٩- السيد غازي، ديوان الموشحات الأندلسية، م ٢، ص ، ٥٠٧.

فلو رعى طيفها ذمامي ما بت في ليلة السليم

كم بت فيها على اقتراح أعل من خلّة الرضاب

أدير منها كؤوس راح قد زانها الثغر بالحباب

أختال كالمهر في الجماح نشوان في روضة الشباب

أضاحك الزهر في الكمام مباهيا روضة الوسيم

وأفضح الغصن في القوام إذهب من جوها نسيم"

وهناك في الوقت نفسه كثير من الموشحات بنيت على وصف الطبيعة فقط، ومنها موشحة قصيرة لأبي الحسن بن مهلهل الذي يصف فيها الطبيعة، فيصف فيها النهر والأشجار والروض والنسيم والطير والصباح حتى بكاء السماء من فوح الزهر المعطار:

"النّهر سلّ حُساما على قدود الغصون

وللنّسيم مجال

والروض فيه اختيال

مُدّت عليه ظلال

والزّهرُ شقّ كماما وجدًا بتلك اللّحون

أما ترى الطيرَ صاحا

والصُّبحَ في الأُفقِ لاحا

والزَّهرَ في الروضِ فاحا

والبرقَ ساقَ الغماما تبكي بدمعٍ هتونِ"[٢٣٠]

٢٣٠- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١،ص٤٢٤.

الرثاء :

فالرثاء غرض من أغراض الموشحات الأندلسية، واتخذ بعض الوشاحين من موشحاتهم وسيلة للتعبير عن مآسيهم وأحزانهم، فاستطاعوا أن ينظموا الموشحات في غرض الرثاء ولم يتخلفوا عن الشعراء في هذا المجال، ونهجوا منهج الشعراء في كافة الجوانب المتصلة بالرثاء. وموشحات الرثاء لا تبنى إلاّ على موضوع واحد، وهذا أمر طبيعي لأنه من غير المعقول أن تتضمن المرثية غير موضوعها.

يعد ابن اللبانة من أشهر وشاحي الرثاء، فقد نظم معظم ديوانه في مدح بني عبّاد ورثائهم بعد زوال ملكهم، ومن ذلك قوله من موشحة يرثي فيها بني عباد[٢٣١]:

"طلّ النجيعُ وفلّ الأسْرُ غَرْبَ مُهنّدْ

وكانَ مِنْ مُنْتضَاهُ الدّهْرُ ومـا تقلّدْ"

ولأبي الحسن علي بن حزمون – أحد شعراء الموحدين – موشحة في الرثاء، وهي من أروع المراثي التي قيلت في بلاد الأندلس، يقول ابن حزمون في رثاء أبي الحملات بن أبي الحجّاج قائد الأعنة ببلنسية الذي قتله النصارى الإسبانيا[٢٣٢]:

" يا عين بكّي السراج الأزهرا النيـــرا
اللامـــعْ

وكان نعمَ الرتاجْ فكسّرا كـي تُنثَـرَا
مَدامِـــعْ

مـن آل سـعدٍ أغـرّ مثلُ الشهابِ المتَّقِدْ

بكـى جميـعُ البشـرْ عليـه لمـا أنْ فُقِـدْ

٢٣١- جيش التوشيح، ص٧١.
٢٣٢- ابن سعيد – المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص٢١٧.

والمشـرفـيُّ الذّكَـر وسـمهريُّ الـمُطَّرِدْ

شقَّ الضفـوفَ وكـرّ علــى الـعدوّ مُتّـئِدْ

لو أنَّهُ مُنْعاجْ على الوَرَى مــن الثّــرَىأو راجِــعْ

عادت لنا الأفْرَاجْ بلا افْتِرَا ولاامْــتِرَاتُضَاجِــعْ"

ولـم يقتصـر الوشـاحون فـي رثـائهم علـى الأشـخاص، بـل رثـوا مـدنهم وأوطـانهم الزائلـة وتحسـروا علـى مـا حـل بهـا مـن خـراب، وحنّـوا إليهـا بعـد الهجـر. ومـن موشحات رثاء المدن والممالك الزائلة موشحة ابن اللّبانـة، يقول ابـن اللبانـة بعـد رثاء بني عباد في رثاء ملكه الزائل.

من لي بمدح بني عبّاد ومن بمدحهم احمادي

وقـد وردت موشـحات عديـدة فـي رثـاء المـدن والممالـك الزائلـة، والحنـين إلـى الأوطان في عصر الإضطراب خاصـة بعد سقوط الأندلسيين أجزاء كبيرة من بلادهم في أيدي الإسبان.

الأغراض الدينية والصوفية :

إن الموشحات الأندلسية تطرقت إلـى الموضـوعات التـي تطـرق إليهـا الشـعراء، ولم يقف الوشاحون عند هذه المواضيع فقط بل تطرقوا إلـى موضـوعات أخـرى كالزهد والتصوف، ولم يصل إلينا منها إلا ما يعود إلـى القرن السـادس الهجـري وما بعده.

وقد ساعد على انتشار وازدهار الموشحات الديني كثرة مجالس الذكر إلى جانـب مجالس اللهو والمجون وتباين النمط المعيشي للمجتمع الأندلسي في فتـرة حاسـمة ساد فيها تناقض الأفكار والأهواء.

أقدم الموشحات في الصوفية منسوب إلى محي الدين بن عربي (ت٦٣٨ هـ)، وهو من أشهر وشاحي الصوفية، وله ديوان يزخر بالموشحات، ومن صوفياته موشحة التي يستعمل فيها الرموز الصوفية، يقول في مستهلها:

"سـرائر الأعيـان لاحت على الأكوان للنـاظرين

والعاشـقُ الغَيْـرانْ من ذاكَ فـي حرَّانْ يُبـدي الأنينْ

يقـول والـوَجْدُ أضـناه والبُعـدُ قـد حَـيّرَهْ

لمّـا دَنـاَ البُعـدُ لـم أدْرمن بَعـدُ قـد غَيـّرهْ

وهَيّـم العَبـدُ والـواحدُ الفَـردُ قـد خـيّرهْ

في البَوْحِ والكِتْمانْ والسِّـرّ والإعـلانْ فـي العـالَمينْ

أمـاَ هـوَ الـدَّيّانْ يـا عـابدَ الأوثـانْ أنت الضنينْ"[٢٣٣].

وممن نظموا الموشحات في التصوف شاعر الصوفية الكبير أبو الحسن عليّ بن عبد الله الششتري، وهو في المقام الثاني بعد ابن عربي، فله ديوان ضخم في التصوف والزهد، خرج أكثره في الموشحات والأزجال، وقد اتجه نحو التصوف الفلسفيّ، واعتنق مذهب وحدة الوجود في صورته العارية وعبّر عنه في بساطة نادرة.

ومن موشحاته في الصوفية:

"الحـمد لله علـى ما دنـا

مـن السرورِ والهنا والمنـا

فقـل لـواشٍ قد وشى بيننا

قـد ذهـب البـؤس وزال

وواصل الخلّ ونلنا المنى"[٢٣٤]

٢٣٣- ابن عربي ، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦، ص: ٨٤.

طرق الوشاحون الأندلسيون باب الزهد في موشحاتهم، وفي الزهد يذم الوشاح حياة الدنيا وملاهيها، ويمدح الحياة الأخرى ويتشوق إلى لقاء ربه. يعد الزهد موضوعا تقليديا ورثه الأندلسيون عن شعراء المشرق.

ومن الزهديات لون استحدثه الأندلسيون في موشحاتهم هو يدعى المكفّر، وقد عرّفه ابن سناء الملك في كتابه: "والرسم في المكفّر خاصة أن لا يعمل إلا على وزن موشح معروف وقوافي أقفاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح ليدل على أنه مكفّره ومستقبل ربه عن شاعره ومستغفره"[٢٣٥]. وجاء في عاطل الحالي عن تعريف المكفر: "إن الأديب منهم إذا نظم موشحا في آخره خرجة زجلية تتضمن الهزل والأحماض، نظم بعدها موشحا معرّبا في وزنه وقافيته تتضمن الاستغفار والوعظ والحكمة ليكفّر الله تعالى به عنه ذنب ذلك الأحماض في تلك الخرجة"[٢٣٦].

اشتهر بالموشحات المكفرة الوشاح ابن الصباغ الجذامي، كان ابن الصباغ قد نظم في المجون واللهو عند شبابه، ولما بلغ الشيخوخة بدأ يتقرب إلى الله، فأكثر في نظم موشحات مكفّرة ليكفّر الله عما نظمه من الموشحات في المجون واللهو.

ومن موشحاته متحسرا على أيام الشباب ومتشوقا للديار المقدسة:

"زهر شيب المفارق تفتحت عنه الكمام
فابك الزمان المُفارقْ وحاك في النّوح الحمامْ
عُوِّضتُ باصبح الأصيل وقد عَرَا البدر انكسافْ
ألمّ بالغصنِ الذّبولْ وكان لذْنًا ذا انعطافْ
ريحُ الصّبا فيها تُميلْ كأنْ سُقى صرف السُلافْ

٢٣٤- الششتري ، الديوان، تحقيق علي سامي النشار، الإسكندرية ١٩٦٠، ص٢٥٢.
٢٣٥- ابن سناء الملك - دار الطراز، ص٣٨.
٢٣٦- صفي الدين الحلي- العاطل الحالي والمرخص الغالي، تحقيق ولهلم هونرباخ، فيسبادن ١٩٥٥، ص١١.

حتى رمى القلب راشـقْ وفُــوقتْ نحـوى السـهامْ

ولسـانُ الحـالِ ناطــقْ يُخـــبرُ نـــي أن لا دوامْ

يـا بـــدر أيـام الشـــبابْ هلْ للأفول منك طلــوعْ

أضحى فؤادي ذا المذابْ حـــليف أشجـــانٍ فُزوعْ

ونــارُ حـزنى في التهاب تُذْكـــى بأحـــناء الضُّلـــوعْ

فـإنْ هفا البــرقُ خـــافقْ ذكـــرتُ عـــهدي بالخـــيامْ

وإن تـــأوّه عـــاشـــــق ساجلت فـي دمعـي الغمـامْ"[٢٣٧]

الهجاء :

الهجاء غرض قلّ ما ظهر في الموشحات الأندلسية، لأن الموشح قد نشأ للغناء والطرب. بالرغم من أن بعض الوشاحين الأندلسيين قد نظموا في هذا الغرض للسخرية من خصومهم وعرض مساوئهم. ومن أبرع الوشاحين في هذا الغرض أبو الحسن علي بن حزمون الذي عُرف بهذا اللون من الموشحات، وكان يعرض في موشحاته مساوئ خصومه ويخرج من الخلق إلى الفحش والإسفاف. ومن ذلك قوله في القاضي القسطلي في مستهل موشحته:

"تخونـك العينـان يـا أيها القـاضي فتظلمْ

لا تعرف الأشهادْ ولا الذي يسطّر ويرسمْ"[٢٣٨]

ومن وشاحي الهجاء أيضا نزهون بنت القلاعي الغرناطية وأبو بكر بن الأبيض وغيرهما من الوشاحين، غير أن أكثر موشحاتهم لم تصل إلى الناس بسبب بذاءة ألفاظها وإعراض المؤرخين عن ذكرها.

٢٣٧- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص١٠٠.

٢٣٨- المصدر السابق، ص١٠٤.

الفصل الخامس

الوشاحون في الأندلس

سبق القول عن نشأة الموشحات وبعض الوشاحين الذين ساهموا في نشأتها مثل محمد بن محمود القبري الضرير ومقدم بن معافي وابن عبد ربه ويوسف بن هارون الرمادي وعبادة بن ماء السماء وغيرهم، توضح الباحثة هنا موجزة عن ترجمة أشهر الوشاحين في الأندلس مع أمثلة موشحاتهم.

عبادة بن ماء السماء :

أبو بكر بن عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الأنصاري الخزرجي، ينتهي نسبه إلى الصحابي سعد بن عبادة، لقب بإبن ماء السماء نسبة إلى جدهم الأول[٢٣٩]. هو فحل من فحول الشعراء وعلم من الأعلام الأدباء. آدابه مشهورة ومحاسنه مذكورة، كان متحدثا مفوها ومؤرخا من عظام كتّاب قرطبة وأحد تلامذة اللغوي المشهور أبي بكر الزبيدي[٢٤٠]. وصفه ابن شاكر الكتيبي بأنه "شاعر الأندلس ورأس الشعراء في الدولة العامرية"[٢٤١].

وهو واحد من روّاد الموشحات وأول من برع فيها، واستطاع بعبقريته أن ينتزع اعتراف الناس بالموشح، وأسهم بدور بارز في تطوير هذا الفنّ. يقول ابن بسام في كتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" عن مكانة عبادة، ويقول: "وكان أبو بكر في ذلك العصر شيخ الصناعة وإمام الجماعة، سلك إلى الشعر مسلكا سهلا، فقالت له غرائبه مرحبا وأهلا. وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ووضعوا حقيقتَها غير مرقومة البرود ولا منظومة العقود،

٢٣٩- المقري: نفح الطيب –١ / ص :٢٩٤

٢٤٠- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، من أعلام اللغويين العرب.

٢٤١- ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات – ٢،ص ١٤٩.

فأقام عبادة هذا منآدها[٢٤٢] وقوّم ميلها وسنادها، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلاّ منه، ولا أخذت إلاّ عنه"[٢٤٣]. توفي على أرجح الأقوال في حدود سنة ٤٢٢هـ.

"من ولي في أمة أمرا ولم يعدل يعزل إلا لحاظَ الرشأ الأكحل

جُرت في حكمك في قتلي يا مسرف

فانصِف فواجب أن ينصف المنصف

وارأف فإن هذا الشوق لا يرأف

علّل قلبي بذاك البادر السلسل ينجلى ما بفؤادي من جوّي مشعل

إنّما تبرز كي توقد نار الفتن

صنما مصورا في كل شيء حسن

إن رمى لم يحط من دون القلوب الجنن

كيف لي تخلص من سهمك المرسل فصل واستبقني حيا ولا تقتل

يا سنا الشمس ويا أبهى من الكوكب

يا منى النفس ويا سؤلي ويي

ها أنا حلّ بأعدائك ما حل بي

عذّلي من ألم الهجران في معزل والخلي في الحب لا يسأل عمن بُلي

أنت قد صيرت بالحب من الرشد غيّ

لم أجد في طرقي جسمك ذنبا عليّ

فاتئد وإن تشأ قتلي شيئا فشيّ

أجمل ووالني منك يد المفضل فهي ليّ من حسنات الزمن المقبل

ما اغتذى طرفي إلا بسنا ناظريك

٢٤٢- أقام منادهاأي معوجها

٢٤٣- ابن بسام: الذخيرة – ١/١،ص٤٦٨-٤٦٩.

و كـــــذا في الحب ما بي ليس يخفى عليك

ولـــــذا أنشـــد والقـلب رهيـــن لديـــك

يا علي سلّطت جفنيك على مقتلي فابق لـي قلبي وجُد بالفضل يا موئلـي"[٢٤٤].

عبادة القزاز (٤٨٨هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بإبن القزاز،هو شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية، ورائد من رواد الموشحات، ويصفه ابن بسام بقوله: "من مشاهير الأدباء الشعراء، وأكثر ما اشتهر اسمه وحُفظ نظمه في أوزان الموشحات التي كثر استعمالها عند أهل الأندلس. وهو ممن نسج على منوال ذلك الطراز، ورقم ديباجه، ورصّع تاجه. وكلامه نازل في المديح، فأمّا ألفاظه في هذه الأوزان من التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشفوف"[٢٤٥] .

يعد ابن القزاز أول من برع بفن الموشحات في الشعرالأندلسي، ومن موشحاته قوله:

"أذاب الخلـــدْ نهـــد منهّـــد

وغصْـنٌ تأوّدْ في دِعْصٍ مُلبّدْ

عَنْ سقمٍ مكمَدْ لاهْ

فـدَعْ عَذَلـــي يـا مـن يلـوم

فلـــوْمُك لـــي فـــي الحب لوم

أقصى أملـــي ظبـــي رخـــيم

ابتـــز الجلَـــدْ بلـــحظ مرقّـد

---

٢٤٤ الصفدي: الوافي بالوفيات-ج: ١٦، ص: ٦٢٥- ٦٢٦.

٢٤٥- ابن بسام – الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص٨٠١-٨٠٢.

ولمّـة عَسْـجَدْ قتلى قد تعمّــد

دمـــي تقـــلّد آهْ

ولمّـــا انبـرَى للعـــــامريّ

خيالٌ سَـــرَى فعـــلَ الكَميّ

شَدَوْتُ الوَرَى شَـــدْوَ الشّجيّ

البَـدْرُ سَـــجدَ والرّيمُ أسْـتـجَدْ

لنَعلىْ مُحَـمّدْ با لخَدِّ المُـوَرّدْ

والجيد الأغيَدْ تاهْ"[٢٤٦]

الأعمى التطيلي (ت ٥٢٥هـ) :

أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة القيسي، شاعر ووشاح أندلسي، لقب بالأعمى لفقدان بصره وبالتطيلي نسبة إلى مسقط رأسه تطيلة في الأندلس، ولد في تطيلة سنة ٤٨٥ هـ ونشأ في ظل دولة المرابطين.

ترك الأعمى التطيلي ديوان شعر وموشحات، تناول معظم الأغراض الشعرية المعروفة، فالمدح والرثاء هما الغرضان الرئيسان في شعره، وتناول كذلك الوصف والغزل والشكوى والهجاء، وقد لقب ببشار الأندلس لسبب هجائه اللاذع.

كان قد برع الأعمى في نظم الموشحات في عصر المرابطين، قال المقري : " حضر جماعة من أعيان الأدباء مثل الأبيض وابن بقيّ وغيرهما من الوشاحين واتفقوا على أن يصنع كل واحد منهم موشحة، فلما أنشد الأعمى موشحته التي مطلعها:

٢٤٦ابن سعيد - المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص١٣٦.

ضاحك عن جمان سافر عن بدر ضاق عنه الزمان وحواه صدري

خرق كلّ منهم موشحته.

ومن موشحاته قوله:

"ضاحك عن جمـــانْ ســـافر عن بدرِ

ضـــاق عنه الزمان وحـواهُ صدري

آه ممـــا أجـــــدْ شفّنـي ما أجـدُ

قـــام بـــي وقعـــدْ بـــاطشٌ مـتئدُ

كـــلما قلـــتُ قـــدْ قـال لـي أين قدُ

وانثنى خـوطَ بـــانْ ذا مهـز نَضْـــرِ

عـــابثتْهُ يـــدانْ لصّـبا والقطْـرِ

ليـس لـي منك بُـــدٌ خذ فؤادي عن يدْ

لـم تـدَعْ لـي جـلدْ غـير أنـي أجهدْ

مكـــرعٌ مِـن شَـهَدْ واشتياقي يَشْـــهَدْ

مـا لـبنتِ الـــدّنان ولـذاك الثّغـــرِ

أين محـيّاالـــزمان مـن حـميّا الخمرِ

بي هـوى مضْـــمرُ ليت جهدي وفقـُه

كـــلما يظهـــــرُ ففـؤادي أفـــقُهْ

ذلـــك الـــــمنظرُ لا يُداوي عِشـــقُهْ

بأبي كـيف كـــانْ فلكـــــيٌ دُرِّي

راق حتى اســـتبانْ عُـذرُهُ وعُـذري

هـل إليـك سـبيلْ أو إلى أنْ أيأسَـا

ذبــْتُ إلا قـــــليلْ عَبــْرةً أو نفسَـــا

ما عسى أنْ أقـــولْ ســاء ظني بعسى

وانقضى كلّ شـــان وأنـــا أســتشري

خـــالعاً مِنْ عِـنانْ جزعي و صـبْري

ما على مَنْ يلـــومْ لـو تناهي عنّـــي

هل سوى حبِّ ريمْ دينُـــهُ التَجنّـــــي

أنـــا فيـــه أهـــيمْ وهـــو بـــي يُغنـي

قد رأيتكْ عَيـــانْ ليس عليكَ ستدري

سـيطول الـزمانْ وستنسى ذكـــري"[٢٤٧]

ابن بقي (٥٤٠هـ/ ١١٤٥ م) :

أبـو بكـر يحيـى بـن عبـد الـرحمن بـن بقـي الطليطُلـي، شـاعر أندلسـي مشـهور بموشحاته، ولد في مدينة طليطلة سنة ٤٦٥ هجرية. وكان شاعرا مشهورا انتشر شـعره شـرقا وغربـا فـي بـلاد الأنـدلس، وقـد سـطع نجمـه وبـدأت مواهبـه تظهـر للعيان، وكان أول ظهوره في دولة المعتمد بن عباد الذي اتخده شاعرا، ومدحه في شعره حتى شهد سقوط دولته.

وكـان ابـن بقـي وشـاح مشـهور تنـاول معظـم الفنـون الشـعرية كالمـدح والوصـف والغزل والخمرة وغيرها، وكان له مجالس أنس مع الشعراء الوشاحين لا سيما مع الأعمى التُطيلي، وقيل إنه نظم أكثر من ثلاثة آلاف موشحة، ومن أشهرها هذه الموشحة الرائعة:

"عـبث الشـوق بقلبـي فاشتكـى

ألـم الـــوجْدِ فلبّثْ أدْمُعـــــي

٢٤٧- ابن سناء الملك – دار الطراز، ص٤٣.

أيــها النـــاسُ فـؤادي شـغفُ

وهو من بغي الهوى لا يُنصفُ

كـم أداريــه ودُمْعــي يكـــفُ

أيـــها الشــادن مـــن علّمكـــا

بســهام الحـظ قتْلَ السّـــــبُع

بـــدْرُ تمٍّ تحت ليـلٍ أغـطشِ

طـالعٌ في غصنِ بـانٍ منتشـــي

أهْيــفُ القــدِّ بخـــــدٍّ أرقَـشِ

ســاحرُ طـرْفِ وكـــم ذافتَكَـا

بقلــوبِ الأســدِ بين الأضــلع

أيّ ريـــمٍ رمــتُهُ فاجـــــتنبا

وانثنـــى يهتزّ مـــن ســـكْرِالصبا"[٢٤٨]

ابن زُهر الحفيد :

أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زُهر الأيادي الإشبيلي، ولد بإشبيلية سنة ٥٠٧هـ، هو نجم لامع في سماء التوشيح، كان طبيبا ووزيرا وشاعرا ووشاحا، لأنه من أعرق الأسر الأندلسية التي اشتهرت بالطب والعلم والفن والشعر[٢٤٩]، فنشأ في بيت علم وأدب، حفظ القرآن وسمع الحديث وأخذ الطب عن أبيه وجده، وضرب بهم وافر في الأدب واللغة. كان رفيع المنزلة عند أمراء عصره، سمحا جوادا، نفاعا بجاهه وبماله، قوي

٢٤٨- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص١٦٦-١٦٧.
٢٤٩- د.صلاح فضل – طراز التوشيح قراءة نصية حرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى ٢٠١٤، ص١٩٣.

الـنفس ومتـين الـدين ومحبـا للخيـر، وكـان إمـام الوشـاحين فـي عصـره دون منازع[٢٥٠].

وقد خدم ابن زهر دولتي المرابطين والموحدين، وله تأليفات منها "الترياق الخمسيني" في الطب، ورسالة في طب العيون، وشعر رقيق وموشحات انفرد في عصره بإجادة نظمها. توفي ابن زهر مسموما سنة ٥٩٥هـ / ١١٦٨ م بمراكش من قبل أحد الوزراء حسدا وبغضا.

ومن موشحاته المشهورة قوله:

"أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لمْ تسـمع

ونديم همتْ فـي غُرتـــه

وسقاني الراح من راحته

فإذا مـا صـحّ مـن سُكرتهِ

جذب الزق إليـــه واتكـــا وسقاني أربعا في أربـــع"[٢٥١]

أبو الحسن الششتري :

أبوالحسن علي بن عبد الله النميري الششتري الأندلسي، ولد في ششتر جنوب الأندلس سنة ٦١٠ هـ، تبحر الششتري في دراسة علوم الشريعة من القرآن والحديث، والفقه والأصول، بل زاد عليها بالفلسفة ودروب الصوفية، عرف بعروس الفقهاء.

وله ديوان شعر جمع فيه قصائد وموشحات وأزجال. ومن موشحاته قوله:

"قـــد لاح ليّا منّـــي ســـــر بـــدا عـجيـب

حتـــى رأيت أنـــي عن حضرتي لا نغيب

٢٥٠- لسان الدين بن الخطيب – جيش التوشيح، ص٢٧٣.
٢٥١- ابن سعيد – المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص٢٧٢.

أنا ما زلت حاضر حـاضر فـي كل حين

عينـي إليـّا ناظـر ناظـر طـول السـنين

والحق فيّا ظـاهر ظـاهر لـِذي يـقين

من قال أنا وإنّـي قـد أوفـي بالمَغيبْ

إن قيـل هذا عنـي قـد أحـرم النصيب"[٢٥٢]

ابن حزمون :

أبو الحسن علي بن حزمون المرسي شاعر ووشاح كبير، صاعقة من صواعق الهجاء، أكثر قوله في طريقة التوشيح، ولابن حزمون موشح في رثاء أبي الحملات بن أبي الحجاج قائد الأعنة ببلنسية، وقد قتله النصارى:

"يا عين بكّي السراج الأزهرا النيّـِرا اللامـع

وكـان نعم الرتاج فكُسّـرا كـي تُنثـرا مدامـع

مـن آل سـعدٍ أغـرّ مـثلُ الشـهابِ

بكـى جميـعُ البشـرْ عليـه لمـا أنْ فُقِدْ

والمشـرفـيُّ الـذّكَرْ سـمهريُّ المُطَّرِدْ

شـقَّ الضفوفَ وكـرّ علـى العدوّ مُتَّئِدْ

لو أنَّهُ مُنْعاجْ على الوَرَى مـن الثَّـرَى أو راجِـعْ

عادت لنا الأفْرَاجْ بلا افْتِرَا ولا امْتِـرَا تُضَاجِـعْ"[٢٥٣]

ابن مالك السَرقُسطِي :

أبو بكر أحمد بن مالك الأنصاري السرقسطي، كاتب وشاعر وشّاح، وعالم

٢٥٢- د/ محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص٢١٦.
٢٥٣- ابن سعيد – المغرب في حلى المغرب، ج ٢،ص٢١٧.

لغوي كبير وأشهر نحوي في القرن السابع الهجري، كان إماما في النحو وعالما بأشعار العرب، وله مؤلفات كثيرة أشهرها الألفية التي عرفت باسم "ألفية بن مالك". ومن موشحته المشهورة :

"ماذا حمّلوا فؤاد الشجي يوم ودّعوا

مالي بالنوى يد تستطاع

ونار الجوى يذكيها الوداع

وسرّ الهوى بالدمع يذاع

بالحبّ تهمل عيون وتلتاع أضلع

هل يرجي إياب لعهد الحبائب

إذ غصن الشباب مطلول الجوانب

ووصل الكعاب مبذول لطالب

تبخل بالوصل ولا صبّ يقنع

لا اسلو ولا اصغى للّاحي

بل اصبو إلى هضيم الوشاح

يجيل الطّلا ما بين الأقاع

فلو يعدل لما بتّ أظما و ينقع

كم ذا تهجع وجفني ساهر

بدر يطلع في الصبح لناظر

له برقع من سود الضفائر

إذا تسبل فشمس بليل تقنّع

قدّ ذو اعتدال منه الغصن اللدن

معشوق الدلال بنا ثمّ يرنو

بعيني غزال فأحذر حـين يدنو

لحظ يرسل سهاما لها القلب موقع

مني النفس كم تزهـــى بالتجنــي

فيا بدر تم صل بعض التمني

لمن لم ينم وبـــــات يغنـــي

أسَيْمَر حلو كلّ عاشق يبيت مع"[٢٥٤]

نزهون الغرناطية :

نزهون بنت القلاعي – وفي رأي آخر القليعي - شاعرة ماجنة كثيرة النوادر، نشأت في القرن الخامس الهجري، وهي صورة دقيقة لجوانب عديدة من شعر ذلك القرن. تنظم الموشحات والأزجال، ولها موشحة جميلة، تقول فيها :

"بأبي من هدّ مِن جسمي القوى طرفه الأحور

وسقاني ما سقى يوم النوى ويح من غرّر

كلما رمت خضوعا في الهوى تاه واستكبر

يا لـــه من شـــادن صيّرنـــي رهن أشجاني

لم يدع في الحور منه عوضـا عند رضوان

مرّ بي في ربربٍ من سربهِ يقطفُ الزّهرا

وهو يتلو آية من حزبه يبتغي الأجْرا

بعد ما ذكرني من حُبّهِ آية أخرى

والذي لو شاء ما ذكرني بعد نسياني

قلبَ القلبَ على جَمْر الغَضا فهو في شان

٢٥٤- ابن سعيد – المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص٤٤٦

حفظ الله حبيباً نزحا خشية الهجر

جاءت البشرى به فانشرحا عندها صدري

واستطار القلب مني فرحا ثم لا أدري

أمِن الإنس الذي بشّرني أم من الجان

غير أني شمتُ برقا أومضا حين حيّاني

قلتُ لما زارني طيفُ الخيال مِن رشا الإنسِ

مرحبا بالزائر الحُلو الخلال مُخجل الشمسِ

والذي أنشاك من ماء الجمال واحدَ الجنسِ

ما برى جسمي ولا غيّرني خوف هجراني

إنما غيّر جسمي مرضا لحظك الرّاني

لم تزل تظهر فيك الكلفا كلما غنّت

غادة لو رام منها النّصفا غيره ضنّت

فهْو يهواها ويبدي الصلفا ولذا غنّت

يتمنّاني اذا لم يرني يتمنّـــــاني

فإذا رآني تولى مُعْرضا كَنْ ما رآني"[٢٥٥]

ابن سهل الإشبيلي :

أبو اسحاق ابراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي من أسرة يهودية، شاعر وكاتب، ولد في اشبيلية سنة ٦٠٥هـ، خالط المسلمين في الأندلس والمغرب، وقرأ معهم حتى أسلم، ومدح النبي ﷺ بقصيدة شعرية. ومات غريقا سنة ٦٤٩هـ.

٢٥٥- - د/ محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص٢٠٤-٢٠٥.

وكان شاعرا مجيدا خاصة في الغزل، له قصائد وأزجال، ولكنه نبغ في فن الموشحات وبه اشتهر ومهر، وله موشحات كثيرة، ومن أشهرهاهذه الموشحة:

"هل درى ظبيُ الحِمى أن قد حَمى ... قلبَ صبٍّ حله عن مكنس

فهْوَ في حرٍّ وخَفْق مثلما ... لعبتْ ريح الصّبا بالقبَسِ

يا بدوراً أطلعتْ يوم النّوى ... غرراً تسلكُ في نهج الغررْ

ما لقلبي في الهوى ذنبٌ سوى ... منكمُ الحُسنُ ومن عيني النّظرْ

اجتني اللذاتِ مكلوم الجوى ... والتذاذي من حبيبي بالفكَرْ

كلّما أشكوهُ وجْداً بَسَما ... كالرّبا بالعارض المُنبَجسِ

إذ يُقيمُ القطرُ فيها مأتما ... وهيَ من بَهجَتِها في عُرُسِ

غالبٌ لي غالبٌ بالنّؤدهْ ... بأبي أفديه من جافٍ رقيقْ

ما رأينا مثلَ ثغرٍ نضّدهْ ... أقحُواناً عصِرَتْ منه رحيقْ

أخذتْ عيناهُ منه العَرْبَدَهْ ... وفؤادي سُكرُهُ ما إن يفيقْ

فاحمُ الجمّةِ معسُولُ اللمى ... أكحلُ اللحظِ شهيّ اللّعَسِ

وجهُه يتلو الضّحى مبتَسِما ... وهو من إعراضِه في عَبَسِ

أيها السائلُ عن ذلّي لديه ... لي جزاءُ الذنبِ وهو المُذنبُ

أخذتْ شمسُ الضّحى من وجنَتَيْهِ ... مَشْرِقًا للصبّ فيه مَغْرِبُ

ذهَبَتْ أدْمُعُ أجفاني عليهِ ... وله خَدٌ بلحظي مُذْهِبُ

يطلعُ البدرُ عليهِ كلّما ... لا حَظتْهُ مُقْلَتي في الخُلَسِ

ليتَ شعري أيّ شيءٍ حَرّما ... ذلك الوردَ على المُغْتَرِسِ

كلّما أشكو إليه حُرَقي ... غادرتني مُقْلتاه دَنِفا

تركتْ ألحاظُهُ من رَمقي ... أثرَ النملِ على صُمِّ الصفا

وأنا أشكرُهُ فيما بقي ... لستُ ألحاهُ على ما أتلفا

فهوَ عندي عادلٌ إن ظلما وعذولي نطقُهُ كالخَرسِ

ليس لي في الحبِّ حكمٌ بعدما حلّ من نفسي محلّ النّفَسِ

منه للنّار بأحشائي اضطرامْ يلتظي في كلّ حينٍ ما يشا

وهيَ في خدّيه بَرْدٌ وسلامْ وهيضرّ وحريقٌ في الحشا

أتّقي منه على حُكْم الغرامْ أسَدَ الغابِ وأهواهُ رشا

قلتُ لمّا ان تبدى مُعلَما وهو من ألحاظه في حَرَسِ

أيها الآخذُ قلبي مَغْنَما اِجْعَلِ الوَصلَ مَكانَ الخُمُسِ"[٢٥٦]

لسان الدين بن الخطيب :

أبو عبد الله محمد بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني شاعر وكاتب، ومؤرخ، فيلسوف وطبيب في الأندلس، وكان وزيرا بغرناطة في عصر بني الأحمر، قتل في سجنه بالمغرب، وأحرقت جثته سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٤م). وله كتب كثيرة من بينها "جيش التوشيح" الذي أورد فيه موشحات أهل الأندلس، وله ديوان شعر وموشحات متناثرة في المصادر الأندلسية. ومن موشحاته موشحته المشهورة التي قال معارضا لموشحة ابن سهل:

"جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلُكَ إلا حُلمَا في الكَرَى أو خلسَةَ المُختلِسِ

إذ يقودُ الدهرُ أشتاتَ المُنَى ينقُلُ الخَطْوَ على ما يَرْسُمُ

زمراً بين قُرادَى وثُنا مثلما يدعو الوفودَ الموسمُ

والحيا قد جلّلَ الروضَ سَناَ فثغورُ الزّهْرِ منه تبْسِمُ

وروى النعمانُ عن ماء السّماَ كيف يَرْوى مالك عن أنَسِ

فكساهُ الحُسْنُ ثوباً مُعلَماَ يزدهي منه بأبهى ملْبَسِ

٢٥٦- المصدر السابق، ص٢٢١

فـــي ليـــالِ كتمَـــتْ ســـرَّ الهـوى ... بالـــدّجى لـــولا شـموسُ الغُـرَرِ

مـــالَ نجـــمُ الكـأس فيهـا وهَـوَى ... مســـتقيمَ الســـيْرِ ســـعْدَ الأثـــرَ

وطـرٌ مـا فيـه مـن عَيـبٍ سـوى ... أنّـــــه مـــــرّ كلمـــح البَصَـــرِ

حـــين لـــذّ الأنـــس شـــيئاً أوكمـــا ... هَجَـــمَ الصّـــبْحُ هُجُـــومَ الحَـــرَسِ

غـــارت الشّـــهْبُ بنـــا أو ربّمـــا ... أثّـــرتْ فينـــا عُيـــونُ النّـــرجسِ

أيّ شـــيءٍلامـــرئ قـــد خلصـــا ... فيكـــون الـــروضُ قـــد مكِّـــنَ فيـــه

تنهـــبُ الأزهـــارُمنـــه الفُرَصـــا ... أمنـــتْ مـــن مكْـــرِهِ مـــا تتّقيـــه

فـــإذا المـــاءُ تنـــاجَى والحَصَـــى ... وخـــــلا كـــــلّ خليـــلٍ بأخيـــه

تُبْصِـــرُ الـــوردَ غَيـــوُراً بَرمـــاَ ... يكتســـي مـــن غيظـــه ما يكتســـي

وتـــــرى الآسَ لبيبـــــاً فهِمـــــاَ ... يَسْـــرقُ السّـــمْعَ بـــاذني فَـــرَسِ

يا أهيـلَ الحـيِّ مـن وادي الغَضـاَ ... وبقلبـــــي سَـــــكنٌ انـــــتم بـــــه

ضاقَ عن وجدي بكمْ رَحْبُ الفضَـا ... لا أبـــالي شـــرقَهُ مـــنْ غرْبِـــهِ

فأعيـدوا عَهْـدَ انْـسٍ قـد مضـى ... تعتقـــوا عـــانيكمْ مـــن كرْبـــهِ

والتّقـــوا الله وأحْيـــوا مُغرَمَـــا ... يتلاشـــى نَفَسًـــا فـــي نفـــسِ

حَـــبَسَ القلـــبَ علـــيكمْ كرمَـــا ... افَتَرْضَـــونَ عَفـــاءَالحُـــبُسِ

وبقلبـــــي مـــــنكُمُ مقتـــــرب ... بأحاديـــثِ المُنَـــى وهـــوَ بعيـــدْ

قمـــر اطلـــع منـــه المَغْـــرِبُ ... شقوة المُغْرَى بـه وَهْـوَ سـعيدْ"[٢٥٧]

ابن زُمرُك :

أبـو عبـد الله محمد بـن يوسـف الصـريحي المعـروف بـابن زمـرك، كـان مـن كبـار الشـعراء والكتّـاب فـي الأنـدلس، ولـد بـروض البيـازين بغرناطـة سـنة ٧٣٣هـ،

٢٥٧- المقري – نفح الطيب، م ٧، ص١١- ١٣.

وتتلمذ على يد لسان الدين بن الخطيب وتولّى الوزارة بعد فراره إلى المغرب، شارك في تحريض الغني بالله على ابن الخطيب ولكنه قتل هو كذلك سنة ٧٩٣هـ، ولابن زمرك عدة موشحات، ومن موشحاته الرائقة قوله:

"نسيم غرناطة عليل ... لكنه يبرئ العليل

وروضها زهرُهُ بليلْ ... ورشفُهُ ينْقعُ الغليلْ

سقى بنجدٍ ربا المُصَلّى ... مباكراً روضهُ الغمامْ

فَجَفْنُهُ كلّما اسْتهَلاّ ... تبسم الزهرُ في الكِمامْ

والروضُ بالحسن قد تجلّى ... وجرّد النهرُ عن حسامْ

ودوحُها ظلّهُ ظليلُ ... يحسنُ في رَبْعِهِ المقيلْ

والبرقُ والجوّمستطيلُ ... يلعبُ باصارم الصقيلْ

عقيلةٌ تاجُها السبيكهْ ... تطلّ بالمراقب المنيفْ

كأنها فوقهُ مليكهْ ... كراسيّها جنّة العريفْ

تطلعُ من عسجدٍ سبيكهْ ... شموسُها كلّما تطيفْ

أبدعك الخالقُ الجميلُ ... يا منظراً كلّه جميلْ

قلبي إلى حُسْنِهِ يميلْ ... وقبلنا قد صَباَ جميلْ

وزاد للحسنِ فيكَ حسنا ... محمّدُ الحمدِ والسّماحْ

جدّد للفخر فيك مغْنَى ... في طالع اليُمْنِ والنجاحْ

تدعى دشاراً وفيكَ معنى ... يخصّكَ الفالُ بافتتاحْ

فالنصرُ والسعدُ لا يزولُ ... لأنهُ ثابتٌ أصيلْ

سعدٌ وأنصاره قبيلُ ... آباؤه عِترة الرسولْ

أبدى به حكمة القديرِ ... وتوّج الروضَ بالقبابْ

ودَرّعَ الزهرَ بالغديرِ ... وزيّن النهرَ بالحبابْ

فمـن هـديلٍ ومن هـدير ما أولـَعَ الحســن بالشــبابْ

كبت على روضها القبولْ وطرفهـــا بالسّــرى كليل"[٢٥٨]

ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسهولته وسلاسته وتنميق كلامه، نسجت العامة من أهل الأندلس على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم العامية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوا فنا آخر سمّوه بالزجل، والباب الرابع يعالج الأزجال الأندلسية وأغراضها وأجزائها وأوزانها وأهم الزجالين فيها.

٢٥٨- المقري – نفح الطيب، م ١٠، ص٩٧.

الباب الرابع

الأزجال الأندلسية

الفصل الأول : نشأة الزجل وتطوره

الفصل الثاني : أغراض الزجل

الفصل الثالث : أجزاء الزجل

الفصل الرابع : الزجالون في الأندلس

الباب الرابع

الأزجال الأندلسية

الزجل لون من ألوان الأدب وفن من فنون الشعر الأندلسي المستحدث، ظهر وترعرع في الأندلس، ثم انتقل إلى المشرق، وشأنه في ذلك شأن الموشح.

فإن الزجل في اللغة هو "الصوت" بمعنى التطريب والغناء، وهذا يدل على أن أهل الأندلس اختاروا اسم الزجل لأنه يناسب الغناء. فالزجل نشأ للتغني به في الطرق والأسواق الشعبية، وكثيرا ما كان الزجل أصدق في التعبير عن النفس من الشعر لقربه من تعبير العامة واشتماله على عباراتهم المألوفة، وعدم احتياجه إلى التكليف والصناعة واختيار الألفاظ.

وقد نظم الأندلسيون هذا الفن بلغة مجردة من الإعراب، ومزدحمة بالكلمات التي هي من أصل محلي أو بربري. ولم يشر المؤرخون إلى المخترع الأول لهذا الفن، فيقول عبد الملك بن سعيد المتوفي سنة ٦٨٥هـ عن ذلك: "قيلت – الأزجال – قبل أبو بكر بن قزمان. ولكن لم تظهر حُلاها، ولا انسبكت معانيها، ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه، وكان في زمن الملثمين"[٢٥٩].

٢٥٩- د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص٣٩٥.

الفصل الأول

نشأة الزجل وتطوره

تعريف الزجل :

الزجل في اللغة: هو الصوت، ويسمى الحمام زاجلا لصوته الرخيم. قال ابن منظور في كتابه "لسان العرب" : "إن الزجل بالتحريك اللعب والجلبة ورفع الصوت، وخص به التطريب"[٢٦٠].

عرفه صفي الدين الحلي : "والزجل في اللغة الصوت، ويقال سحاب زجل، إذا كان فيه الرعد، ويقال لصوت الأحجار والحديد والجماد أيضا زجل"[٢٦١].

ولذلك فإن الزجل في اللغة هو الصوت باختلاف مصادره، سواء كان صوت الرعد أو الحجر. وقد يأتي بمعنى التطريب والغناء كما ورد في لسان العرب، وهذا يدل على أن أهل الأندلس اختاروا اسم الزجل لأنه يناسب بالغناء.

والزجل في الإصطلاح: هو ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الإعراب والقافية، كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب، ولا يختلف من حيث القافية إلاّ نادرا. وقد كتب بلغة ليست عامية بحتة، بل هي مهذبة وإن كانت غير معرّبة .

يقول ابن خلدون عن الزجل: "ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه، وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل"[٢٦٢].

٢٦٠- ابن منظور – لسان العرب، مادة زجل، ص١٨٣.
٢٦١- صفي الدين حلي – العاطل الحالي والمرخص الغالي، ص٩.
٢٦٢- ابن خلدون، مقدمة، ج ٣، ص ٤٠٤.

نشأة الزجل :

يعد الزجل الفن الثاني المستحدث في الأندلس بعد الموشح، وقد تباينت آراء المؤرخين القدامى في نشأة هذا الفن، مع أنهم يتفقون على أن الزجل وليد البيئة الأندلسية، ومنها خرج إلى البيئات العربية الأخرى وانتشر فيها.

وأول من درس فن الزجل من القدامى هو صفي الدين الحلي (ت ٧٤٩هـ) في كتابه "العاطل الحالي والمرخص الغالي" الذي درس فيه فن الزجل بإسهاب. أما المصادر الأندلسية الأخرى فلم يصل إلى الجمهور منها شيء عن نشأة الزجل وطريقة نظمه وخصائصه الفنية إلا ما جاء بعض الملاحظات عن نشأة الزجل وتدوينه وبعض الزجالين. ويبقى ديوان ابن قزمان وديواني أبي الحسن الششتري وأبي مدين شعيب مما وصل إلينا من أهم المصادر التي تمكن دراسة الأزجال الأندلسية ومعرفة خصائصها الفنية[٢٦٣].

أما المحدثون فقد اتفقوا على أن الزجل هو فن أندلسي مستحدث نشأ في الأندلس ثم انتقل إلى المشرق. ولكن اختلفوا في علاقة الزجل بالموشح والأغاني الشعبية، فمنهم من يذهب إلى أن الزجل نشأ تقليدا للموشح، ومنهم من يذهب إلى أن أصل الزجل يرجع إلى الأغنية الشعبية التي تمزج بين اللفظ العامّي والعجمي. فقد رأى المستعرب الأسباني أنخل بالنثيا[٢٦٤] أن الزجل والموشح فن شعري واحد ولكن الزجل يطلق على السوقي الدارج منهما[٢٦٥].

يعتقد شوقي ضيف أن الزجل قد نشأ مع الموشح مباشرة، وربما سبقه. وهو يتبنّى من خلال هذا الرأي بقوله: "ويمكن أن نقول إنهما جميعا فن واحد ذو

٢٦٣- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية ، ص١٠٦-١٠٧.
٢٦٤- مستشرق وناقد أدبي أسباني، ولد سنة ١٨٨٩م.
٢٦٥- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية ، ص١٠٧.

شعبتين، شعبة تغلب عليها الفصاحة وشعبة تغلب عليها العجمة"[٢٦٦].

اتفق مؤرخو الأدب الأندلسي على أن الموشح أسبق من الزجل، ومنهم ابن خلدون، فيقول في كتابه– كما سبق القول - : "ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه، وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا واستحدثوا فنا سموه الزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة"[٢٦٧].

مخترع الزجل: وقد اختلف القدامى في تحديد مخترع الزجل، وعرض صفي الدين الحلي لذلك فقال: "اختلفوا فيمن اخترع الزجل، فقيل إن مخترعه ابن غرله، وقيل بل يخلف بن راشد، وقيل مدغليس". وردد ابن حجة الحموي بعض هذه الآراء فقال: "قيل إن مخترعه ابن غرله، استخرجه من الموشح، لأن الموشح مطالع وأغصان، وخرجات وكذلك الزجل، والفرق بينهما الإعراب في الموشح واللحن في الزجل، وقيل يخلف بن راشد وكان هو إمام الزجل قبل ابن قزمان، وكان ينظم الزجل الرقيق ومال الناس إليه، وصار هو الإمام، فلما ظهر أبو بكر بن قزمان ونظم السهل الرقيق مال الناس إليه، وصار هو الإمام بعده"[٢٦٨].

وفي رأي ابن خلدون: "وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان. وإن كانت قيلت قبله بالأندلس، ولكن لم تظهر حُلاها ولا انسبكت معانيها، واشتهرت رشاقتها إلاّ في زمانه، وكان لعهد الملثمين، وهو إمام

٢٦٦- د. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف ، الطبعة السابعة ، القاهرة ١٩٦٩، ص٤٥٤.

٢٦٧- ابن خلدون، مقدمة، ج ٣، ص ٤٠٤.

٢٦٨ - د. فوزى سعد عيسى، الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٠، ص١٣٩ -١٤٠.

الزجالين على الإطلاق. قال ابن سعيد: ورأيت أزجاله مرويّةً ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب. قال: وسمعت أبا الحسن بن جحدر الإشبيلي إمام الزجالين في عصرنا يقول: ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة"[٢٦٩].

قد أشار ابن قزمان في مقدمة ديوانه إلى الزجالين الذين تقدموه في صناعة الأزجال، وقد عاب عليهم نظمهم بقوله: "ولقد كنت أرى الناس يلهجون بالمتقدمين ويعظمون أولئك المتقدمين يجعلونهم في السماك الأعزل، ويرون لهم المرتبة العليا والمقدارالأجزل، وهم لايعرفون الطريق، ويذرون القبلة ويمشون في التغريب والتشريق، يأتون بمعان باردة وأغراض شاردة، وألفاظ شياطينها عُمّه ماردة، والإعراب وهو أقبح ما يكون في الزجل وأثقل من إقبال الأجل"[٢٧٠].

ومن بين المتقدمين الذين ذكرهم ابن قزمان أخطل بن نمارة الذي ظهر في "بلوغ الأمل" للحموي تحت اسم علي بن نمارة[٢٧١]. وقد فضّله ابن قزمان على من سبقوه بقوله: "ولم أر أسلس طبعا، وأخصب ربعا، ومن حجّوا إليه طافوا به سبعا، أحق بالرئاسة في ذلك والإمارة، من الشيخ أخطل ابن نمارة، فإنه نهج الطريق، وطرّق فأحسن التطريق، وجاء بمعنى المضيء والغرض الشريق طبع سيال، ومُعان لا يصحبه جهل الجهّال، يتصرف بأقسامه وقوافيه تصرّف البازي بخوافيه، ويتخلّص من التغزّل إلى المديح، بغرض سهل وكلام مليح"[٢٧٢].

ومن ذلك كله فهمت الباحثة أن هناك من شعراء الأندلس من تقدموا أبا بكر بن قزمان وحاولوا الزجل قبله، ولكن لم يبلغوا فيه مبلغه أو يجيدوه إجادته. فابن

٢٦٩- مقدمة ابن خلدون، ص١١٥٣.

٢٧٠- ابن قزمان،– الديوان، تحقيق فيديريكو كورينتى، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ١٩٩٥، ص١٧.

٢٧١- ابن حجة الحموي – بلوغ الأمل في فن الزجل، تحقيق رضا محسن القريشي، دمشق ١٩٧٤، ص١٢٨.

٢٧٢- المصدر السابق، ص١٧.

قزمان إمام الزجالين في جميع العصور عاش في عصر المرابطين وأدرك عصر الموحدين. واعترف له المؤرخون بتطويره لهذا الفن وابداعه فيه، ويعد إمام الزجالين بالأندلس على الإطلاق.

تطور الزجل :

لقد مر الزجل في تطوره بخمسة أطوار:

أ – مرحلة الأغنية الشعبية:

إن المجتمع الأندلسي ينقسم إلى طبقتين: طبقة عامية، لهم شعرهم وأغنيتهم الخاص، تنبع تلقائيا بباعث تجربة شخصية أو من وحي، ثم تشيع على ألسن الناس، ويتغنّون بها جماعات أو فرادى. وطبقة مثقفة لهم شعرهم الفصيح التي لا ترقى إليها أفهام العامة، فإن لهم أيضا شعرهم الشعبي ممثلا في أغانيهم الشعبية، وهي مظهر لنفسياتهم وحالتهم العقلية، وآدابهم وأخلاقهم، وآرائهم الإجتماعية.

إن الأغنية الشعبية ترجع في نشأتها إلى ما قبل اختراع الموشحات في أواخر القرن الثالث الهجري، ولعلها ظهرت في الأندلس بشيوع لغة التخاطب غير المعربة بين العامة، وعندما اخترعت الموشحات تأثرت ببعض أشكالها، ثم تطورت بذلك وسميت بالزجل. ولم تصل إلينا نماذج الأزجال في هذه المرحلة[٢٧٣].

ب - مرحلة الزجل المعرب:

هي الطور الثاني من أطوار الزجل، ويمثل هذا النوع من الزجل نفر من الشعراء الذين عاشوا قبل عصر ابن قزمان، مدفوعين إليه بالرغبة في أن تنتشر

٢٧٣- د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص٣٩٧.

أزجالهم المصطنعة بين الطبقات المثقفة، أو بالرغبة في أن يُعرفوا لدى العامة معرفتهم لدى الخاصة، وذلك بوضع أزجال لهم يتغنّون بها[٢٧٤].

فهؤلاء الشعراء الذين أطلق عليهم ابن قزمان في مقدمة ديوانه "المتقدمين"، وعاب عليهم نظمهم وميلهم إلى الإعراب بقوله: "لقد رأيت الناس يلهجون بالمتقدمين ويعظمون أولئك المتقدمين يجعلونهم في السماك الأعزل...– كما سبق القول.

قد لجأ زجالوا هذه المرحلة بالنظم إلى إطار الشعر العربي وبإتخاذ قافية واحدة، وهذا ما أورده الحلي في كتابه العاطل الحالي، بقوله: "وأول ما نظموا الأزجال جعلوها قصائد مقصدة وأبياتا مجردة في أبحر عروض العرب، بقافية واحدة كالقريض لا تغايره بغير اللحن واللفظ وسموها القصائد الزجلية"[٢٧٥].

واستثنى ابن قزمان المتقدمين الذين عاب عليهم طريقة نظمهم، ولكن فضّله عليه بقوله:[٢٧٦]

وقدّم ابن قزمان نماذج من أزجال التي أعجبته لدى ابن نمارة، قوله:

"قـدّر الله وسـاقْ الوسـواسْ

امكـرْت علـى عيون النـاس

ولـعبنا طـول النهار بالكاس

وجا الليل وامتد مثل القتيلْ"[٢٧٧]

وقد ذكر ابن قزمان زجالا آخر اسمه ابن راشد، وقد تبين من خلال كلامه أن ابن راشد كان في عصره زجـّالا مشهورا من نبلاء هذا الفنّ. وينظم الزجل القوي من الكلام، ونظم ابن قزمان زجلا ينكر عليه قوة النظم، مطلعه[٢٧٨]:

٢٧٤- المصدر السابق، ص٣٩٧.
٢٧٥- صفي الدين الحلي، العاطل الحالي، ص١٧.
٢٧٦- المصدر السابق رقم ٢٧٢.
٢٧٧- د. احسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة، بيروت، ص٢٥٨.

"زجلك يا بن راشد قوي متين

وإن كان هو للقوة فالـحمّالين"

ج – مرحلة ابن قزمان:

يمثل هذه المرحلة زجّالوا القرن السادس الهجري أي شهد نهاية دولة ملوك الطوائف وبداية دولة المرابطين في الأندلس. كان المرابطون لا يتقنون اللغة العربية، لهذا فإن شعراء القصائد والموشحات يلقوا من المرابطين تشجيعا. فتراجع هؤلاء الشعراء وحظي الزجل بمكانة عند الأمراء، هذا ما ساعد على ازدهار الزجل في هذا القرن.

ومن الزجالين في هذه المرحلة: عيسى البليدي وأبو الحسن المقرّي الداني وأبو عمرو بن الزاهر الإشبيلي وأبو بكر بن قزمان ومن شرق الأندلس الزجال يخلف الأسود.

ويعد ابن قزمان إمام الزجالين في هذا العصر، بل وفي الأندلس قاطبة. بلغ الزجل على يده ذروة نضجه، حين قعّد له القواعد، وعالجت أزجاله مختلف الأغراض التي جاءت في الموشحات. ويعدّ ديوانه من أهمّ المصادر لدراسة الزجل ومن أنفس اللآثار الأدبية في الأندلس.

د – مرحلة ما بعد ابن قزمان:

تبدأ هذه المرحلة بمنتصف القرن السادس ويمتد إلى القرن السابع الهجري. يمكن تحديد فترتها بوفاة أبي بكر ابن قزمان عام ٥٥٥هـ، وسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين في الأندلس.

وقد اهتمّ الموحدون بالثقافة العربية، فإنهم لم يقفوا من الزجل موقف المعارضة، بل فتحوا أبواب قصورهم للزجالين. وتوجد رواية تشير إلى أن عددا من الزجالين اجتمعوا في ديوان عبد المؤمن، وتناشدوا الزجل أمامه، وفي مقدمتهم

٢٧٨- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية ، ص١١٧

ابن قزمان ومدغليس، وتضيف هذه الرواية أن عبد المؤمن كان يباري الزجالين في انشاد الزجل[٢٧٩].

وقد وجد كثير من الزجالين في هذا العصر، وأشهرهم أبو عبد الله أحمد بن الحاج المعروف باسم مدغليس، ذكره المقري في كتابه نفح الطيب فقال: "كان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الأزجال، خليفة ابن قزمان في زمانه، وكان أهل الأندلس يقولون: ابن قُزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء، ومدغليس بمنزلة أبي تمام، بالنظر إلى الانطباع والصناعة، فإبن قزمان ملتفت إلى المعنى، ومدغليس ملتفت للفظ، وكان أديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان، ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجبَ اقتصر عليه[٢٨٠]".

وقد اشتهر عدد آخر من الزجالين في هذه المرحلة، منهم: ابن الزيات وأبو الحسن علي بن جحدر الذي وصفه ابن سعيد بأنه كان زجالا مطبوعا، ومنهم أبوعلي الحسن بن أبي نصر الدباغ، وله كتاب في مختار ما للزجالين، ومنهم أيضا أبو عبد الله بن الخاطب وأبو بكر بن صارم وغيرهم.

كثرة أسماء الزجالين في هذا العصر تشير إلى ازدهار الزجل، وإن كان لم يرتفع إلى مستوى زجل في عصر المرابطين، وذلك لأسباب منها أن أحدا من الزجالين لم يملك موهبة ابن قزمان، ومنها أن الزجل في هذه المرحلة اقترب من الشعر الفصيح.

هـ - مرحلة سقوط الأندلس:

هذه المرحلة مرحلة خامسة وأخيرة في تطور الزجل الأندلسي، يقع في القرن الثامن الهجري، ومن أشهر الزجالين في هذه المرحلة هو لسان الدين بن الخطيب الذي كان أديبا بليغا، وشاعرا ووشاحا وزجالا كبيرا، ولكنه نظم في الشعر التقليدي أكثر مما نظم في الزجل.

٢٧٩- د. فوزى سعد عيسى، الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، ص١٤٢

٢٨٠- المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص٣٨٥

نموذج من زجله في غرض الصوفية:

"بين طلوع وبين نزول اختلطـــت الغـــزول

ومضى من لـــم يكن وبقِـي من لم يـــزول"[٢٨١]

ومن الزجالين في هذه المرحلة محمد بن عبد العظيم، وكان إماما في هذه الطريقة، ومنهم أيضا أبو عبد الله اللوشي، فله قصيدة زجلية طويلة، مطلعها:

طل الصباحْ قمْ يا نديمي نشربو ونضحكو من بعدما نطربو[٢٨٢]

قلّ في هذه الفترة عدد الزجالين، لأن أهل الأندلس كانوا مشغولين بغزناطة آخر موطن للعرب في الأندلس قبيل السقوط، ولذا لم ينصرفوا إلى الأدب والفن إلاّ قليلا، وسبب آخر لقلّتها عدم التدوين بسبب الأوضاع السياسية من الحروب والإضطرابات السياسية.

٢٨١- د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص٤٠٢.
٢٨٢- ابن خلدون، المقدمة

الفصل الثاني

أغراض الزجل

تعالج الزجل مختلف الأغراض التي طرقتها القصيدة التقليدية والموشح، فقالوا الزجل في الغزل والمدح والوصف والخمر والهجاء والزهد وغير ذلك من فنون الشعر العربي المعروفة، واستمرت تلك الأغراض قائمة يعالجها الزجالون على توالي العصور.

كان الزجل كالموشح يمزج بين الغرضين في القصيدة الواحدة، فالغزل يمتزج بالمدح ووصف الخمر ويمزج بوصف الطبيعة ومجالس الشراب، وكذلك تصحب وصف الطبيعة بمجالس الطرب والغناء، أما الأزجال التي اقتصرت على غرض واحد فهي قليلة.

الغزل :

والغزل تتنوع صوره في الأزجال الأندلسية، فمن هذه الصور ما يبنى الزجل فيها على الغزل وحده، ومنها ما يأتي الغزل فيها ممتزجا بموضوع آخر، أو أكثر من موضوعات القول[٢٨٣]. فمن الأزجال التي انفردت على الغزل وحده، زجل لابن قزمان يقول فيه:

"هجرنـــي حبيبـــي هجـــرْ
ولـــسْ لـــي بَعْـــد صَـــبرْ
هجرنـــي وَزَاد بالصّـــدودْ
وانقـــم علـــيّ الحَسُـــودْ
فأيّـــامي مِـنْ هَجْـرُ سُـــودْ

٢٨٣- د/ عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص :٤٠.٢

كمثـــــل ســـــواد الشـــعر

وأنا مُذهجـــر فـــي عـــذابْ

إذا مـــــرّ رَعْـــدَ العتـــــابْ

تـــــردّ جفـــــوني سَـــــحَابْ

وترْســـــل دمُـــوعي مَطـــرْ

لـــــــسْ حبيبـــــــي إلا ودودْ

قطـع لـــي قميص مـنْ صُـدودْ

وخـــــاط بـــــنقض العُهُـــــودْ

وحبّـــــب الـــــيّ السّـــــهَرْ"[٢٨٤]

أما الأزجال التي تمتزج فيها موضوع الغزل بوصف الخمر، فهي كثيرة عند زجالي الأندلس، ومن ذلك زجل لأبي بكر الحصار، يقول فيه:

"الذي نِعشقْ ملـــيحْ والذي نِشربْ عتـــيقْ

المليحْ أبيضْ سمينْ والشراب أصفرْ رقيقْ

لا شراب إلاَّ قديمْ لا مليح إلاَّ وَصولْ

"إذ نقول روحك نريدْ لَسْ يخالف ما نقول؟"[٢٨٥]

والزياره كلّ يوم لا مَلولْ ولا بخيلْ

من زيارةُ بعدُ قد رجع بحَلْ[٢٨٦] صديق"[٢٨٧]

٢٨٤- د/ محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية ، ص١٣٧.

٢٨٥- لس – بمعنى لماذا؟

٢٨٦- كلمة بحل بمعنى مثل أو شبيه.

٢٨٧- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص٢٨٥.

لا تختلف صورة المرأة في الزجل عن صورتها في الشعر، فالمرأة كالغزال أو القمر، أو الغصن، فإن الزجال يهتم بتصوير الجانب الحسي في المرأة، أكثر من اهتمامه بالجانب المعنوي. فتبدو هذه الظاهرة في غزل مدغليس بشكل واضح، فقوله:

"ترضى أن تقتلني عينيك وماء الحياة من فمك"[٢٨٨]

المدح :

طرق الزجل موضوع المدح وأكثر فيه الزجالون، ولعل ذلك بالوضعية المزرية التي آلت إليها الأندلس، أثناء الحروب مع النصارى من جهة، وما بين الأندلسيين أنفسهم من جهة أخرى.

وغرض المدح لا يقع في الأزجال الأندلسية وحده وإنما يأتي فيها ممتزجا بموضوع آخر، وقد يأتي أحيانا ممتزجا بأكثر من موضوع. وهو في ذلك يكتفي طريقة القصيدة والموشح في هذا الموضوع.

ومن الأزجال الفريدة النادرة، التي بنيت على المدح وحده، زجل لإبن قزمان في مدح أحد الوزراء، يقول في مستهله:

"عبدك المنقطع إليك مُذ كانْ

أكمل الله عُلاك ابن قزْمَانْ

أطال الله بقا الوزيرْ الأجلْ

الفقيهْ عاد الكاتب الأكملْ

إذا يقول اعملوا كذا يُعملْ

مغن مكرومْ وجيه رفيع الشّانْ"[٢٨٩]

٢٨٨- د/ فوزى سعد عيسى، الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، ص١٥٠.
٢٨٩- د/ محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية ، ص١٤٧.

ومن أزجال المدح التي تصدرت بمقدمة غزلية، وهو الأغلب في الأزجال، زجل لمدغليس يقول فيه:

"الهـوى حملنـي مـا لا يُحتمـل

تُردْ الحقّ لسْ لمن يهوى عقـلْ

لسْ نقعْ في مثلها ما دمـتُ حـيْ

إن حمـاني من ذا تـأخير الأجـلْ

خذْ نقلْ لك أشْ جرى لي يافلانْ

وترى أنّي صـبورْ نعمـهْ جَـزلْ

اشـتغل قلبـي بـذا العشـق زمانْ

فسقط لي نقطة العـين واشـتعلْ"[٢٩٠]

وصف الطبيعة :

ومن الأغراض المهمّة التي تناولها الأندلسيون في أزجالهم وأكثروا النظم فيها وصف الطبيعة، قد فتنت الطبيعة الخلابة زجّالي الأندلس كوشاحيهم وشعرائهم، فشغفوا بها وتغنّوا بجمالها، فوصفوا الرياض والأشجار والأزهار. ومن خير أزجال الأندلسيين في وصف الطبيعة زجل رقيق لمدغلّيس، يقول فيه:

"ثلاث أشيـا في البساتـين لسْ تُجَدْ في كـلّ موضعْ

النّسيم والحضـر والطـيرْ شِـمْ وَاتْتَـزّهْ واسمـعْ

قُم ترى النسيم يُوَلْـوِل والطيور عَلِـهْ تغـردْ

والثمـارْ تنثُرْ جـواهـر في بساطْ من الزُّمُـرُّدْ

وبوسط المرج الأخضر سقْيِ كالسيف المُجردْ

شبّهـت بالسيـف لمّـا شُفِت الغديـر مـدرّعْ"[٢٩١]

٢٩٠- المصدر السابق، ص١٤٨.

قد يأتي وصف الطبيعة في الأزجال ممتزجا بموضوع آخر، ومن ذلك زجل لإبن قزمان الذي مزج بين الطبيعة والخمر:

"والثمارْ تنشر حليّه بثياب بحَل زبرجد[٢٩٢]
والرياضْ تلبسْ غلالا من نبات فحلْ زمرُّدْ
والبهار مع البنفسج يا جمال أبيـض فأزرق
والندى والخير والآس والراح والظل والما
والمليح خلطى مهاود والرقيب أصم أعمى
وزُمير من فمّ ساحر وغنا من كفّ سلمى
والزجاجْ مِلِحْ مِجزّعْ والشراب أصفر مروّقْ"[٢٩٣]

وقد يأتي ممتزجا بأكثر من موضوع، ومن ذلك زجل لأبي نصر الدباغ الذي مزج بين الطبيعة والخمر والغزل:

"لا مليحْ إلا مهاودْ لا شرابْ إلا مروّقْ
اتّكى واربح زمانكْ بالخـــــلاعا والمُعيْشـــقْ
لا شراب إلا في بستان والربيع قد فاح نوارْ
يبكى الغمامْ ويضحك أقحوان معْ بهارْ
والمياه مثل الثعابين فذاك السوّاق دارْ
والنسيمْ عذريُّ الانفاسْ قد نحل جسمو وقدْ رقّْ
وعشيةً مليحا فتْنَ عنها المسك ينشقّْ"[٢٩٤]

٢٩١- د/ عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص٤٠٦
٢٩٢- بحل: بمعنى مثل أو تشبه.
٢٩٣- ابن سعيد المغربي، المُغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، ط-٤، ج -١، ص١٧٤.
٢٩٤- ابن سعيد المغربي، المُغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، ط-٤، ج -١، ص٤٣٨.

الخمر:

ومن الأغراض التي تناولها الأندلسيون في أزجالهم وصف الخمر والتغنّي بها، وهم يقتفون في ذلك أثر القصائد والموشحات، كان الأندلسيون يشربون الخمر في مجالس اللهو والأنس. وكثيرا ما كان الزجال ابن قزمان يتردد عليها، فله زجل يقرر فيه أن الحياة إنما هي لهو وشراب وعشق، وأن ما عدا ذلك من الدنيا لا قيمة في نظره، ومن قوله:

"دنيا هي كما تراها فاجتهدْ واربحْ زمانَكْ
كلّ يوم وكلّ ليلة لا تخلِّي مهر جانك
واشتفي عليهَ من قبل أن يجيئ الموت في شانكْ
لسْ ذي عندك مصيبة والدنيا حيّا؟
ساعَ دون شرَيبَ عندي لا شَكَل ولا ملاحه
وأش يوم بلا رقاعه وأش يوم بلا وقاحه؟
لسْ نعدّ اللذّ لذه ولا يذّ الراحَ راحه
حتى تدخل شفة الكاسْ باشراب بين شفتيّا"[٢٩٥]

ومن الأزجال الأندلسية التي بنيت على الخمر وحده، زجل لأبي بكر بن صارم الإشبيلي، يقول فيه:

"ومذهبي فالشـــرابِ القديـم
وسكرا من هُ المنى والنعيـــم
ولس لي صاحبْ ولا لي نديمْ
فقدتْ أعيانْ كبارْ واخلطنْ مع ذا العيارْ الزمن"[٢٩٦]

٢٩٥- د/ عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص: ٤٠٧.
٢٩٦- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج- ١، ص٢٨٦.

فهذا الزجل الذي بنيت على الخمر وحده فهو قليلة في الأزجال الأندلسية، أما غرض الخمر الذي مزج بالأغراض الأخرى فهو كثيرة في أزجالهم، ومن ذلك زجل أبي عمرو بن الزاهرفي الخمر والغزل، فيقول:

"إشْ عليك اتّ يابن يقلقْ

دَعِنْ نشرَبْ دَعِنْ نِعْشَقْ

حتى نمشى سكران اَحْمَقْ

في دِرَاعى مَقْبَضْ خُمَّاسْ وفى صدرى قَيْسِ المجنون"[٢٩٧]

الهجاء :

الهجاء غرض من أغراض الأزجال الأندلسية القليلة، وكان الهجاء أحد الموضوعات الزجلية الجديدة التي بدأت في عصر الموحدين، وكان أشهر الزجالين الأندلسيين في هذا الغرض الحسن بن أبي نصر الدباغ، وأشار ابن سعيد إلى ذلك بقوله: "وهو إمام في الهجو على طريقة الزجل، والقول في اللياطة"[٢٩٨].

لقد طرق الزجل موضوع الهجاء بقسوة وإقذاع وتدنّ، إن شعراء الفصحى في الأندلس قد بالغوا في فحشهم حينما طرقوا هذا الموضوع، فمن المتوقع أن يكون الزجالون أكثر فحشا أشد إقذاعا منهم، خاصة أن حصيلة ألفاظ الفحش أكثر وفرة واستعمالا في العامية منها في الفصحى[٢٩٩].

ومن الأزجال الخالصة للهجاء زجل الحسن بن أبي نصر الدباغ في هجاء طبيب:

"إن رِيتْ من عدّاك يشتكي من تلطيخ

٢٩٧- المصدر السابق، ص٢٨٤.
٢٩٨- المصدر السابق، ص٤٣٨.
٢٩٩- د/ مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص٤٦٠.

وتريد أن يقبر احملُ للمرّيخ

قد حلفْ ملك الموت بجميع أيمانُ

ألا يبرح ساعه من جوازْ دكّانُ

ويريح روحُ ويعظّم شانُ

وفساد النيّا تحت ذاك التوبيخْ

بقياسْ الفاسدْ وبدينُ الحمروجْ

يخُذ الصفراوي ويردّ مفلوجْ

للصحيح لسْ يسمح بمريقة فرّوجْ

ويحيل المحموم على أكل البطيخ"[٣٠٠]

ولا يقع غرض الهجاء وحده في الأزجال، بل أكثره يجيء ممتزجا بمواضيع أخرى، فإبن قزمان كان يتغزل بالغلمان وفي نفس الوقت يهجو الرقيب الذي يمنعه من مخالطة الغلمان، فيقول في زجل له:

"لا تسمّوا الرقيب ولا تذكروه

وإذا جا فضيق لا تعـــذروه

مَيلوا رُوسكم ولا تنظـــروه

إن أزعق هو من زوال النعم

سلط الله على رقيـب الأسـر

والعمى والفقروطـول العمـر

وأمات قطـيـم يهـــودي أدر

ليس له حيله فيدّ غير الشـتم"[٣٠١]

٣٠٠- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج- ١، ص٤٣٩.

٣٠١- د/ محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية ، ص١٥٩- ١٦٠.

الرثاء :

الرثاء غرض من أغراض الزجل، ولكنه قليل من الأغراض الأخرى، وكذلك فإن الزجالة لم يقتصروا برثاء الأشخاص بل رثوا البلدان التي حزنوا لسقوطها وخرابها.

ومن الأزجال النادرة في غرض الرثاء، زجل لابن قزمان في رثاء أبي القاسم بن حمدين قاضي قرطبة، يقول في مستهله:

"البكا واجب وصبرنا أنفعْ

إن منْ قدْ ماتْ لمْ يمض ليرجعْ

إنما معذور فمعذور وزايدْ

كل أحدْ بالله يفزعْ لشّدايدْ

لسْ تجي العينين إذ تبكي بفايَدْ

إنما راحَهْ تجدْ كما تدمعْ

قِلّ في إشبيليه ولسْ كنصدقْ

حتى جاتْ رُفقَ وقالتْ لي الحقْ

ومشى خبركْ وغرّبْ وشرقْ

وقطعْ آمالْ وكسّلْ وروّعْ"[٣٠٢]

الأغراض الدينية والصوفية :

ومن الأغراض التي تناولها فن الزجل هي التصوف، وقد ظهر الزجل الصوفي لأول مرة في عصر الموحدين، فكان أبوالحسن الششتري أول من أدخل

٣٠٢- المصدر السابق، ص١٥٧.

التصوف في الأزجال، فكان كما يقول ماسينيون: "الناقل الحقيقي للزجل من الموضوعات الدنيوية الحسية كالعشق الحسي، والغزل في الصبيان إلى جو سام هو تمجيد الله والهيام في حبه"[٣٠٣]. ومن أزجاله في التصوف هذا الزجل الذي يقول فيه:

"الله الله هاموا الرجال في حبّ الحبيب
الله الله معي حاضرْ في قلبي قريبْ
أدللْ يا قلبي وافرحْ حبيبكْ حضرْ
واتنعمْ بذكر مولاك وقصي الأثرْ
واتهنى وعِشْ مدللْ بين البشرْ
دعوني دعوني نذكرْ حبيبي بذكرو نطيبْ
الله الله معي حاضرْ في قلبي قريبْ"[٣٠٤]

وفي هذا الزجل يبدي الششتري سروره لحضور حبيبه، وهو الحبيب الذي لا يغيب.

إن الششتري هو أستاذ الزجل الصوفي، وإمامه المنفرد بغير منازع، فقد أخضع الزجل لآرائه وأفكاره، وعبر به عن أعمق المعاني الصوفية ونزل به إلى العامة في الأسواق والطرق، فتداولوه فيما بينهم وأنشدوه في مجالسهم.

كثرت الأزجال الصوفية في ديوان الششتري، "فتكاد تصل إلى المائة، وهو عدد كبير إذا قورن بشعره الصوفي الذي لا يتجاوز إحدى وأربعين قصيدة مما يدل على غلبة روح الزجل عليه أكثر من الشعر"[٣٠٥].

ويقدم الششتري في أزجاله صورة إنسانية حية لحياة الصوفي، الذي يعيش فقيرا

٣٠٣- د/ فوزى سعد عيسى، الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، ص١٦٨.
٣٠٤- د/ محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية ، ص١٥١.
٣٠٥- د/ فوزى سعد عيسى، الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، ص١٦٨.

منفردا، حليق الرأس، يلبس الخرقة ويحمل في عنقه شرشوحا، ويحيا حياة فطرية، بعيدة عن زخارف الدنيا ومباهجها.

ومن أزجاله التي تصور صورة واقعية لحياته المتصوف الفقير الذي ترك أهله وضحى بأمواله وساح في الأرض هائما في حب الله، يفترش الأرض ويلتحف السماء ويتبلغ بأقل القليل، وبيده آلته الموسيقية يتغنى عليها بأزجاله، يقول في زجله:

"فقير مثلى وفى عنقوا شرشوح[٣٠٦]
صدروا مخلى ومن الهم مشروح
وحبب لو أهل خفة الروح
كذا المطبوع يعجب كل مطبوع
مطبوع مطبوع أي والله مطبوع

نكسى جسمي بفتيلا وابرا
ومن صوف مرمى ونكدي كسرا
من ذا المسمى هم الناس في حيرا
نبقي مطبوع نعجب كل مطبوع
مطبوع مطبوع أي والله مطبوع"[٣٠٧]

ولم يختلف الششتري عن أبو بكر بن قزمان في أزجاله، من حيث التغزل في محبوبه، والتغني بجماله إلا في القصد، إذ أن ابن قزمان كان يتغزل بالنساء والغلمان، فالششتري كان لتغزل بالله ويناجيه ويدعو إلى التوحيد. ومن هذا اللون زجلٌ صوفي للششتري، يقول في أوله:

٣٠٦- شرشوحمعناها جراب معلق في الرقبة.
٣٠٧- د. فوزى سعد عيسى، الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، ص١٦٩.

"قولوا للفقيه عني عشق ذا المليح فني

وشــرب معـو بالكـاس

والحضرَه مع الجلاس

وحـولي رفاق أكيـاس

قـد شـالوا الكلف عنّي

قولوا للفقيه عني عشق ذا المليح فني"[٣٠٨]

٣٠٨- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية ، ص١٥٢.

الفصل الثالث

أجزاء الزجل

إن بناء الزجل يخضع لبعض القيود التي تخضع لهاالموشحة، تشبه أجزاء الزجل بأجزاء الموشح، فالإختلاف يكون في اللغة فقط، وليس في الشكل.

الزجل يستفتح كالموشحة بالمذهب أو المطلع، ويتكون عادة من غصنين أو أربعة أغصان أو أكثر، فإن ابتدأ بها فيسمى الزجل تاما، وإن لم يبتدئ بها – أي يبدأ بالأدوار- فيسمى أقرعا. ويلي ذلك الدور، وكل دور ينتهي بقفل يكون مكونا من غصنين اثنين ونادرا يتكون من أربعة أغصان، وتكون قافية القفل متحدة مع قافية المطلع، أما الأدوار فإن لكل واحد منها قافيته الخاصة به. ويتكون الدور عادة من ثلاثة قسيمات، تكون أحيانا قسيمات بسيطة وأحيانا قسيمات مركبة، وفي هذه الحالة الأخيرة يكون الدور مكونا من ستة أسماط. ووحدة القافية أمر أساسي في الدور إذا كان بسيطا، وفي أعجاز المصراعات إذا كان مركبا، وينتهي الزجل عادة بخرجة من بحر وقافية المطلع والأقفال[٣٠٩].

يتفق المطلع والقفل والخرجة في البحر والقافية، ولكن المطلع يكون عادة من أربعة أغصان، أما القفل والخرجة يتكون من غصنين، وقد يتساوي المطلع مع القفل والخرجة. وبهذا الأمر يختلف الزجل عن الموشح الذي يتساوى أجزاؤه في المطلع والقفل والخرجة.

ولتوضيح أجزاء الزجل يقدم نموذجا يستدل به على بنائه، قال الزجال المشهور مدغلّيس في وصف الطبيعة:

٣٠٩- د/ مصطفى الشكعة – الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص: ٤٦٢.

المطلع	ثلاث أشيا فالبساتين	لسْ تُجَدْ في كلّ موضعْ
وهو من ٤ أغصان	النّسيم والحضر والطيرْ	شِمْ وَاتْتَزّهْ واسمعْ
الدور الأول	قُم ترى النسيم يُوَلْوِل	والطيور عَلِهْ تغردْ
٦ أسماط	والثمارْ تنثُرْ جواهر	في بساطْ من الزُّمُرُّدْ
الدور مع القفل	وبوسط المرج الأخضر	سقْيٍ كالسيف المُجردْ
يسمى بيت		
القفل الأول	شبّهت بالسيف لمّا	شُفِت الغدير مدرّعْ
	ورذاذا دق ينزل	وشعاع الشمس يضرب
الدور الثاني	فترى الواحد يفضض	وترى الآخر يذهب
	والنبات يشرب ويسكر	والغصون ترقص وتطرب
القفل الثاني	وتريد تجي إلينا ثم	تستحي وترجع
	وجوار بحل حور العين	في رياض تشره لجنا
الدور الثالث	وعشية قصيرا	تنظر الخلع تجنا
	لش تريد نفارقوها	وهي تحمل طاقا عنا
القفل الثالث	وكأن الشمس فيها	وجه عاشق إذ يودّع
	استمع أم الحسن كف	تلهمك إلى الخلاعا
الدور الرابع	بنغم ترد الأشياخ	للمجون وللرقاعا
	غردت من غدو لليل	وما كررت صناعا
الخرجة	يسمع الخليع غناها	ويحس قلب يخلع

الخرجة هي القفل الأخير من الزجل، وهي أهم جزء فيه كما في الموشح، يجيء الخرجة معربة، وقد يجيء بلغة غير معرّبة أو بالعامية، أما إذا كانت بلغة غير معرّبة أو بالعامية فتتصدر بألفاظ "أنشد، أغنّي أو غنّى" وغيرها، وذلك يجيء

في البيت الأخير من الزجل حتى يتبين للسامع أن الزجل قد وشك على الإنتهاء، وستأتي الخرجة. وغالبا ما تكون الخرجة بلغة فصيحة، لأن الزجل ينظم بلغة غير معرّبة[٣١٠].

قد يقتبس الزجال خرجته من موشح مشهور كما يفعل ابن قزمان، فهو يصرح عن استعارته أو يذكر اسم الوشاح الذي لجأ إلى خرجته. والخرجات التي استعارها الزجالون من الموشحات تكون عادة بالعامية، وقد تكون بالفصحى، وقد يستعير الزجالون خرجة معربة.

وقد تكون الخرجة أيضا القفل نفسه لفظا ووزنا المتكرر في جميع المقطوعات. وهذه الطريقة تكثر خاصة في الزجل الصوفي عند الششتري، كمايقول في زجله الصوفي:

"قولوا للفقيه عني عشق ذا المليح فني

وشرب معو بالكاس

والحضرَه مع الجلاس

وحولي رفاق أكياس

قد شالوا الكلف عنّي

قولوا للفقيه عني عشق ذا المليح فني"[٣١١]

٣١٠- د/ محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية ، ص١٢٧.
٣١١- المصدر السابق ، ص١٥٢.

الفصل الرابع

الزجالون في الأندلس

يخلف بن راشد:

هومن أوائل الزجالين الأندلسيين، كان إمام الزجل قبل أبوبكر بن قزمان، وكان ينظم الزجل قويا من الكلام. ومن أزجاله، قوله:

"كلّ من يعيب حبّي إيش يفيدو

ذا هم ليش يلوم كذاك نريدو

كلّ من يعيبْ حبّي لسْ نسمعْ لو

وندارِي من نهوى ونخضعْ لو

بد للغلام ميمونْ يخضعْ لسيدو

إن تعبه في عيني إيشْ لك في صدري

هو طلع لي بالقرعه وانا وسعدي

سمج هو تزعم آت مليحْ هو عندي

القمر هو في عيني والناسْ عبيدو

عيشي بعد محبوبي عيشْ منكدْ

أن رقدت تنبهني مراعد الصدْ

مثل ما قطعْ قلبي وقدّدْ

غي لظاظة الهجرانْ شوي قديدو

كلّ احد في ذا العيدْ حصل لو فايدْ

الملاحْ مع العشاقْ يمشوا الواحدْ

يعملوا سلام للعيد وابن راشدْ

وحدو يشكي الغربه في عيدو

كلّ حدْ في ذا العيدْ شرحْ وملحْ

وعملْ على جنلو مبزور مملحْ

وانا فليس عندي كبشْ فينطحْ

ولا ما نجولْ السكينْ على وريدو" [٣١٢]

ابن قزمان :

أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان القرطبي الأصغر، شاعر وزجال من أشهر الزجالين بالأندلس، ولد بمدينة قرطبة ونشأ بها في بيت سيادة وعز، وكان أهله بين عالم ووزير. عاش ابن قزمان في القرن الخامس الهجري في أسرة كان لها حضور أدبي وثقافي وسياسي في الأندلس، وكان مبدعا قضى حياته في طلب اللذة والمتعة.

اشتهر بالزجل حتى روي زجله ببغداد، فصار شيخ الصناعة في الزجل المنظوم بكلام العامة في الأندلس، خرج بالزجل إلى غير الغزل والمجون، فجعله في المديح والوصف والشكوى. أخذ معاني بعض زجله من شعراء المشرق والمغرب كما أخذه عن المتنبي.

كان ابن قزمان أديبا شاعرا من شعراء عصره، وكان يحضر المجالس ويشيع فيها جوا من المرح والسرور بأشعاره وأزجاله وحكاياته، ونظم كذلك الموشحات. فظل ابن قزمان زعيم صناعة الزجل وإمام الزجالين بالأندلس مطلقا، وقد ولع الأندلسيون والمغاربة بهذا الفن المستحدث، فنظموا على طريقته

٣١٢- د/ محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية ، ص٢٣٨

وخرجوا عن الأوزان الخليلية. يعد ديوانه المطبوع من أنفس الآثار الأدبية في الأندلس. توفي الزجال ابن قزمان في قرطبة سنة ١١٦٠م.

ومن محاسن أزجاله التي يسخر فيها من الفقيه ويتغنّى بالطبيعة:

"تِدرِ إش قال لي الفقــى تــب

إنّ ذا فضــول وأحمـــق

كفْ نتـوبْ والرّوضِ زاهــرْ

والنسيمْ كالمسك يعْبقْ

والربيعْ ينشر اعلامْ

مثل سلطاناً مؤيّدْ

والثمارْتنشر حليّها

بثيابْ بحَلْ زبرْجدْ

والرياض تلبسْ غلالا

من نبات فحَلْ زمردْ

والبهارْ مع البنفساجْ

أي جمالْ ابيضْ وأزرقْ

والندى والخير والأسْ

والراحْ والظلْ والما

والمليحْ خلطي مهاودْ

والرقيبْ أصمّ أعمى

وزميرْ من فمّ ساحرْ

وغنا من كفْ سلمى

والزجاجْ ملحْ مجزّعْ

والشرابْ أصفرْ مروقْ

ياشراباً مرّ ما أحلاك

علقم إتّ ممزوج بسكرْ

بالذي رزقنِ حبّك

من نثرْ عليك جوهرْ

وترى لشْ تشتكي ضر

لش نراك رقيّق أصفر

ما أظنّ إلا ألم بيك

أو مليح لا شك تعشق

ذا الطريق يعجبن يا قوم

ما أملحُ وما أجل

أي نبل أقل لو خلّيه

وسمع مما أقل لو

يا صديقي لس نراع

يا صديقي لس نملً

قل لي كِفْ نترك ذا الأشيا

قصةً حقيق بالحقْ"[٣١٣]

مدغليس٥٥٤ هـ :

أحمد بن الحاج المعروف باسم مدغليس[٣١٤] من كبار الزجالين في الأندلس،

٣١٣- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج- ١، ص١٧٤.

عاش في عصر الموحّدين. وهو الخليفة الأوحد لابن قزمان في زمانه، ويجعل الأندلسيون مكانته في الزجل شبيهة بمكانة ابن تمام في الشعر.

ومن زجله المشهور:

"ثلاث أشياء فالبساتين لس تجد في كل موضع
النّسيم والخضْرْ والطّيرْ شمْ واتنزّهْ واسْمعْ
قمْ ترَى النّسيمْ يُولولْ والطّيورْ علِهْ تغرّدْ
والثمار تنثر جواهر في بساط من الزّمرد
وبوسط المرج الأخضر سقى كالسيف المجرّد
شبّهت بالسيف لما شفت الغدير مدرّع
ورذاذا دقّ ينزل وشُعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضّض وترى الآخر يذهّب
والنبات يشرب ويسكر والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجي إلينا ثم تستحي وترجع
وجوار بحل حور العين في رياض تشبه لجنّا
وعشـــيّة قصـــــيرا تنظر الخلع تجنّـــا
لش تريد نفارقوهـــا وشيّ تحمل طاقا عنّا
وكأنّ الشمس فيها وجه عاشق إذ يودع
استمع أمّ الحسن كف تلهمك إلى الخلاعا
بنغم تردّ الأشياخ للمجون وللرقاعا
غرّجت من غدو الليل وما كرّرت صناعا

٣١٤- اسم مدغليس مركب من كلمتين، أصله مضغ الليس، والليس جمع ليسه، وهي ليقة الدواة، وذلك لأنه كان صغيرا بالمكتب يمضغ ليقته.

يسمع الخليع غناها ويحس قلب يخلع"[٣١٥]

ابن غرلة :

شاعر مغربي ومن أكابر أشياخهم، كان ينظم الموشحات والأزجال ويزنم فيها، عاش في عهد الموحدين. أصبحت موشحاته سببا لموته، لأنه كان عاشقا لأخت الخليفة[٣١٦] عبد المؤمن التي تسمّى رُميلة أو رميكة، ونظم موشحة موسومة بالعروس تغزل فيها بعشيقته رميلة، فقتله الخليفة لتوهّمه من مطلعها وما يليه الاجتماع بها. وكانت هي أيضا تنظم الأزجال الرائعة.

إن ابن غرلة لما أخرجه الملك عبد المؤمن لقتله نظر إلى الناس وارتجل بيتا يستنجد به عشيرته لأخذ ثأره، ومن قوله:

"خدّها الأسيل بدت منه أنوار
طرفها الكحيل سُلّ منه بتار
ها أنا القتيل فهل يُوخذ الثار
قد أسرت عبدا ولم أك بالعبد
مُتُ لا محاله فاطلبوا دمي بَعدي"[٣١٧]

أبو بكر الحصّار:

محمد بن عبد الله بن عياش الحصّار المعروف بأبي بكر الحصار، وكان من كبار الزجالين ومن الرياضيين البارزين في المغرب، وله مقاطع من أزجاله، منها قوله:

"الذي نِعشقْ مليحْ والذي نِشربْ عتيقْ

٣١٥- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢،ص٢٢٠.
٣١٦- وفي رأي صفي الدين الحلي أنها ابنة الخليفة، لا أخته.
٣١٧- صفي الدين الحلي، العاطل الحالي، ص١٥-١٦.

المليحْ أبيضْ سمينْ والشراب أصفرْ رقيقْ
لا شراب إلاَّ قديمْ لا مليح إلاَّ وَصولْ
إذ نقول روحك نريدْ لَسْ يخالف ما نقول؟
والزياره كلِّ يوم لا مَلولْ ولا بخيلْ
مــن زيــارةُ بعــدُ قــد رجع بحَلْ صــديــق"[٣١٨].

ابن صارم :

أبو بكر الصارم الإشبيلي من الزجّالين المشهورين في الأندلس، اتّهم بالزندقة فطلب أن يُقتل فهرب إلى الشرف، لكنه احترق في بيت مهجور، ومن زجله المشهور:

"حقا نحبّ العقار فالدير طول النهار نُرتَهَــنْ
خلــع أنا لــسْ قدّا عَنْ فــلانْ
نشرب بِشقْف القدح كِفْ ما كانْ
للــديرْ مــرْ وتراني عيــانْ
قد التويتْ فالغبارْ وماع كانونْ بنارْ فالدكانْ
ومذهبي فاشرابْ القديمْ
وسكرا مَنْ هوْ المُنى والنعيمْ
ولسْ لي صاحبْ ولا لي نديمْ
فقدتْ اعيانْ كبارْ واخلطنِ مع ذاالعيارْ الزمنْ
لا تسْتمعْ منْ يقولْ كانْ وكان
وانظر حقيق الخبر والعيــان

٣١٨- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص٢٨٥.

بحال خيـالي رجع ذا الزمان

فأحلى ما يورّيك ديار غيّبها واخرج جوار اليمن"[٣١٩]

الدبّاغ :

أبـوعلي الحسـن بـن أبـي نصـر الـدبّاغ مـن أكـابر الزجّـال وصـاحب كتـاب "ملـح الزجّالين" الذي نقل منه ابن سعيد في كتابه "المغرب في حلى المغرب". وهو إمام في الهجو على طريقة الزجل، والقول في اللياطة، ومن أزجاله[٣٢٠]:

"لا مليح إلا مهاودْ لا شرابْ إلا مروّق

اتّكي واربح زمانكْ بالخلاعا والمعيشقْ

لا شراب الا في بستانْ والربيعْ قد فاح نوارْ

يبكي الغمامْ ويضحك اقحوانْ مع بهارْ

والمياه مثل الثعابينْ فذاك السّواق دارْ

والنسيمْ عذريٌ الأنفاسْ قد نحل جسمو وقد رقْ

وعشيةً مليحه فتْنَ عنها المسك يَنْشَقْ

الطيور تحكي المثاني وتسُقها أحسن سياقا

في ثمارا يلهمون لزمان العشق طاقا

فغصن لاخر يُقبّل وقضيب لاخر يعنّق

وشعاع الشمس قد غاب وبقا فالجـو نـــور

والشفق فالغرب ممدود قد كتب بزنجُفور

أحرفا تقرى وتفهم فتراهم في سطور

السماك ميما مدوّر والهلال نونا معرق

٣١٩- المصدر السابق، ص٢٨٦.

٣٢٠- المصدر السابق، ص٤٣٩،٤٣٨.

ونحن في طيب مدام قوم جلوس وآخر يميل
ونديم يسقـــي نديـم وخليل يهـــوي خليل
وعذار الليل قد شاب لما أن دنا رحيـــــل
ودليل الصبح قدام قد ركب جوادا أبلـــق"

ابن عربي :

الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الأندلسي من أكبر المتصوفة في العالم الإسلامي، ومن أشهر وشّاحي وزجّالي الأندلس، ولد في مدينة مرسية سنة ١١٦٥م. قضى حياته بين مدن الأندلس وشمال أفريقيا بمقابلة المتعبدين. وفي سنة ١١٩٨م هاجر ابن عربي إلى الشرق وطاف في مدن الشرق العربي كبغداد وحلب والقاهرة والموصل، ثم استقر في دمشق وتوفي بها سنة ١٢٤٠م، تاركا وراءه عددا من المؤلفات، منها الرسائل الصغيرة والخطابات الضخمة والمقالات الفلسفية والأشعار الصوفية[٣٢١]، وكان ينظم القصائد والموشحات والأزجال، ومن أزجاله قوله:

"يا طالب التحقيق انظر وجودك
ترى جميع الناس عبيدَ عبيدك
قعدت في ساحل البحر الأخضر
أرمت لي امواجُه الدرّ الأزهرْ
فقلتُ لا تفعلْ يا قوتي الأصفرْ
وارم فيه تطلع إلى محيدكْ
أرمات لي فالحينْ مع در أكهبْ
فقلتُ أو فيني عنبرك الأشهب

٣٢١- http://www.alhayat.com/article/1894269

قالتْ نعم إنْكانْ تعملْ لي مركبْ

من عودك الفوّاح وخذ نزيدكْ

زبرجدكْ أخضرْ ومسك أذفرْ

ودرّياقْ الأكبرْ الله اكبرْ

فأنا والمطلوبْ وقال وعزرْ

لمن تروني قل إليك نريدكْ

وأمشي على الساحلْ وأطلب وأفتشْ

ياقوتي الأحمرْ لعلّ تنعشْ

فإنْ لقيتُ إنسانْ أعمى أو أعمشْ

وقال لمنْ تطلبْ فقلْ لسيدكْ

يا طالبَ الصنعة دبّرْ حياتكْ

والنظر إلى الإكسيرْ على صفاتكْ

تجدْه من ذاتكْ يسري لذاتكْ

مربع التركيب على وجودكْ

كبريتك الأمرْ لقد معلومْ

وهو على التحقيقْ أجلّ معدومْ

خفي ظهرللعينْ مر موزٌ ومفهومْ

فذابَ قد بانتْ حوار وزيدكْ

وعمت أسراره أركان جديدكْ

العبد إذا فرّط لابدّ يندامْ

ويعمل الحليلة ولا يفيد ثمْ

فقلتُ قال قبلكْ من قد تقدّمْ

من أول العاشور انظرْ فعيدكْ

الحيلة وقتَ الضيق ما ليس يفيدكْ"[٣٢٢]

الشّشتري :

أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري، فقيه ومتصوف أندلسي من أهل ششتر بوادي آش، نشأ بوادي آش وتوفي بمصر سنة ٦٦٨هـ - ١٢٦٩م. فكان الششتري أول من أدخل التصوف في الأزجال واشتهر به، وله قصائد وموشحات وأزجال صوفية، وكتب ورسائل في التصوّف، ومن كتبه "المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية". ومن أزجاله:

"شَوَيْخ من أرض مكناس وسط الأسواق يغنّي

أشْ عليّا من النّاسْ وأشْ على النّاسْ منّي

أش عليّا يا صاحبْ مِن جميع الخَلايقْ

افعل الخير تنجُو واتبعْ أهلَ الحقائقْ

لا تقلْ يابني كلمهْ إلا إنْ كنتَ صادقْ

خذ كلامي في قرطاسْ واكتبوا حِرْزَ عَنّي

أشْ عليّا من الناسْ وأشْ على النّاس منّي

ثم قول مبين ولا يحتاج عبارة

أش على حَدْ من حَدْ افهَمُوا ذي الإشاره

وانظروا كبْرَسِنّي والعصي والعَزَارَه

هكذا عِشْتُ في فاسْ وكذاكْ هونْ هوني

٣٢٢- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية ، ص٢٥٣.

أشْ عليّا مِن الناسْ وأشْ على الناسْ منّي
وما أحسن كلاموا إذ يَخْطر في الأسْواقْ
وتَرَى أهلَ الحوانتْ تلتفِتْ لو بالأعناقْ
بغرارة في عنقوا وعكيكز وأقراقْ
شُوَيْخْ مَبْنِي على أساسْ كما انشا اللهُ مَبْنِي
أشْ عليّا من الناسْ وأشْ على النّاس منّي
لو ترى ذا الشويّخ مَاأرقوابمعنى
التفتْ لي وقالْ لي أشْ نراكْ تتبَعْنا
أنا ننصبْ لي زنبيل يرحموا من رحمنا
وأقاموا بَيْن أجناسْ ويقول دَعْني دَعْني
أشْ عليّا من الناسْ وأشْ على النّاس منّي
مَنْ عَملْ يا بْني طيّبْ ما يُصيب إلا طيّبْ
لعيوبوا سَينظرْ وفعالوا يعيّبْ
والمقاربْ بحالي يَبقي بَرّا مُسَيّبْ
مَنْ معوا طيبة أنفاسْ يدري عُذرَالمغنّي"[٣٢٣]

محمد بن عبد العظيم :

محمد بن عبد العظيم وشاح وزجال أندلسي عاصر الوزير لسان الدين بن الخطيب، وهو من أهل وادي آش، كان إماما في الطريقة الزجلية، وله من زجل يعارض به مدغلّيس بقوله:

"حلّ المجون يا أهل الشطارا

٣٢٣- المصدر السابق، ص٢٥٤.

مذ حلّت الشمس في الحملْ

تجددوا كلّ يوم خلاعا

لا تجعلو بينها ثملْ

إليها يتخلعوا في شنبلْ

على خضورة ذاك النباتْ

وحل بغداد واجتاز النيلْ

أحسن عندي من ذيك الجهاتْ

وطاقتها أصلح من أربعين ميلْ

إن مرت الريحُ عليه وجاءتْ

لم تلتق الغبار أمارا

ولا بمقدار ما يكتحلْ

وكيف ولاش فيه موضع رقاعا

إلا ونسرح فيه النحلْ"[٣٢٤]

بعد أن نضجت الموشحات والأزجال في الأندلس انتقلت إلى الأراضي الأوربية، واستطاعت أن تأثر في أدبهم، وكان ذلك في القرون الوسطى مع شعراء التروبادور. لقد تأثر شعراء التروبادور في شعرهم شكلا ومضمونا بالموشحات والأزجال الأندلسية. والباب الخامس يناقش تأثير الموشحات والأزجال في الشعر الغربي والعربي.

٣٢٤- ابن خلدون، المقدمة، المجلّد ٣، ص٤١١,٤١٠.

الباب الخامس

تأثير الموشحات والأزجال في الشعر الغربي والعربي

الفصل الأول : العلاقة بين الموشح والزجل

الفصل الثاني : تأثير الموشحات والأزجال في الشعر الغربي

الفصل الثالث : تأثير الموشحات والأزجال في الشعر العربي

الباب الخامس

تأثير الموشحات والأزجال
في الشعر الغربي والعربي

الموشح فن مستحدث في الشعر العربي، نشأ في أوساط الشعب الأندلسي خلال القرن الثالث الهجري على يد مقدم بن معافي القبري من شعراء الأمير عبد الله بن المرواني. يختلف عن ضروب الشعر الغنائي العربي في أمور كثيرة، وذلك بالتزامه بقواعد معينة في التقفية، وبخروجه غالبا على الأعاريض الخليلية، وباستعمال اللغة الدارجة أو العجمية في خرجته، وباتصاله القوي بالغناء.

بالإضافة إلى الجمع بين الفصحى والعامية تميزت الموشحات بتحرير الوزن والقافية وتوشيح أى ترصيع أبياتها بفنون صناعة النظم المختلفة من تقابل وتناظر واستعراض أوزان وقوافى جديدة تترك ملل القصائد، وتبع ذلك أن تلحينها جاء أيضا مغايرا لتلحين القصيدة، فاللحن يشتمل على تغيرات الهدف منها الإكثار من التشكيل والتلوين، ويمكن تلحين الموشح على أى وزن موسيقي، لكن عرفت لها موازين خاصة غير معتادة في القصائد وأشكال الغناء الأخرى. وكذلك تميزت الموشحة بألفاظها السهلة والموسيقية، فكلماتها سهلة وموسيقية، لذا كان من السهل تلحين الموشح غنائه بسبب نعومة ألفاظه وتعدد قوافيه وأوزانه، الموشح خالص من اللغة العاميّة مزين بالصور البديعية من الجناس والطباق والاستعارات والتشبيهات. وتميزت الموشحة أيضا بلغتها، فلغتها لغة عربية التي نظم بها الشعر منذ العصر الجاهلي. أما الخرجة التي كتبت بالعجمية تارة وبالعامية تارة أخرى، فهي تظرّف يستحسنه الوشاح لما في ذلك من متعة يتذوقها الناس. ولم تكتب كل الخرجات بالعجمية إلا بعض منها،

واقتصرت العجمية في الموشح على الخرجة فقط. أما الخرجات التي ابتعدت عن الفصحى فقد نُظمت بالعامية، والعامية لا يجوز أن تتسرب إلى الأجزاء الأخرى في الموشحة[٣٢٥].

ظهرت فن الموشحات في الأندلس بأسباب منها: جمال الطبيعة الخلابة في الأندلس وساعد على تفتح القرائح وظهور الموشحات، وظهور فن الغناء، فاستدعى ظهور نوع جديد من الشعر وهو الموشح امتاز بالموسيقى المطربة والمعاني المزيّنة التي تتناسب مع الغناء. ووجود ظاهرة اجتماعية، فالعرب امتزجوا بغيرهم من القوميات خاصة غير العربية، فكان لا بد من استحداث نوع جديد من الشعر بهدف تقليد الأعاجم. وكذلك سهول الموشحات للغناء والتلحين.

الزجل كذلك فن استحدثه الأندلسيون، وهو في الحقيقة أغنية شعبية تمثل ازدواج اللغة العربية في الأندلس لانقسامها بين لهجة دارجة ولهجة مكتوبة . ونشأ مرتبطاً بالأغنيات الشعبية الأعجمية الشائعة يومئذ في الأندلس. ومرَّ بأطوار قبل أن ينتقل من الشعبية الخالصة إلى يد الزجال الفرد الذي يمنحه قوة من شخصيته وتفننه، لذلك لم يسجل نماذج مبكرة من الزجل إلا في منتصف القرن الخامس الهجري.

يوضح ابن خلدون على أن الزجل الأندلسي نشأ تقليدا للموشح، غير أنه لا يمكن الاعتقاد أن الشعراء لما عجزوا عن نظم الموشح نظموا فنا بعامية أهل الأندلس وسموه "الزجل"،لأن الذين أنشأوا الزجل لأول مرة هم المثقفون الذين كانوا ينظمون القصائد الفصيحة وينتمون إلى الطبقة الوسطى وليس العامة، وكان لاختراع هذا النظم تلبية لحاجة العامة في القول الرفيع والغناء المنسجم.

يقول ابن خلدون: " وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان. وإن كانت قيلت قبله بالأندلس ولكن لم تظهر حلاها ولا انسبكت معانيها،

٣٢٥- الدكتور محمد عباسة – الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور. دار أم الكتاب، الجزائر، ٢٠١٢م. ص٨٤.

واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه. وكان لعهد الملثمين. وهو إمام الزجالين على الإطلاق. قال ابن سعيد : ورأيت أزجاله مروية ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب. قال : وسمعت أبا الحسن بن جحدر الإشبيلي إمام الزجالين في عصرنا يقول : ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة"[٣٢٦].

والزجل نوع من الإنشاد العربي قريب إلى اللهجة االعامية أو هو شعر سهل الألفاظ يحسبه السامع أنه من اللهجة العامية لسهولته وتطويعه للغناء، وقد جاء على أوزان مختلفة وربما تكون غير مظبوطة الوزن الشعري يظبطها اللحن والتناسق الموسيقي المتجاوب معه، أي يفضل فيها التناسق الموسيقي على الوزن في حالة التفاضل بينهما ولو أنهما الواحد يكمل الآخر، بحيث يعدها السامع متناسقة مألوفة وقد قربت إلى اللهجات العامية منها إلى اللهجات الفصحى في أغلب الأقطار العربية فيما بعد تبعا لطبيعة البلد وحاجته الى الغناء[٣٢٧].

فالزجل تأثر بالموشح واستفاد من هيكله وتسلق على أكتافه. أما موشحة أبي بكر بن زهر - وهو شاعر من شعراء في عهد الموحدين- فاللغة المستخدمة فيها تكاد تكون لغة دارجة كلغة الأزجال، وفيها من سهولة الألفاظ وبساطة الأسلوب.

٣٢٦- ابن خلدون – المقدمة، ص١١٥٣.

٣٢٧- http://falih.ahlamontada.net/t273-topic.

الفصل الأول

العلاقة بين الموشح والزجل

الموشح والزجل هما فنان شعريان مستحدثان يختلفا عن ضروب الشعر الغنائي العربي في أمور عدة وذلك بالتزامهما بقواعد معينة في التقنية وبخروجهما غالبا على الأعاريض الخليلية وباستعمال اللغة الدارجة أو العجمية في خرجتهما.

فالعلاقة بين الموشح والزجل أكثر مما يختلف بينهما. الموشح ضرب من ضروب الشعر العربي لا يختلف عن القصيدة التقليدية إلا في تعدد قوافيه وتنوّع أوزانه. فالزجل كذلك ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الإعراب والقافية كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب، ولا يختلف عنه من جانب القافية إلا نادرا.

الموشح والزجل من فنون الشعر الشعبي واتصلا اتصالا قويا بالغناء، وقد ظهرا أول مرة في بلاد الأندلس، وقد أكثر الشعراء بعد ذلك من نظمهما والتغني بهما وانشادهما كثيرا في دواوين وبلاطات الأمراء الأندلسيين أي كأنهما ابتدعا من قبل شعراء هذه البلاطات والداخلين في خدمة الأمراء والخلفاء في تلك البلاد، وذلك لحاجة هؤلاء إلى الغناء والطرب وبأساليب ومعان جديدة واضحة المعاني جلية الصورة سهلة الأسلوب تشنف الأذان وتطرب السامع بألحانهما الجميلة وكلماتهما الفياضة الداخلة إلى القلب مباشرة فتسر القلوب وتبهج النفوس. ثم انتقلا وانتشرا في البلاد العربية الأخرى انتشارا شديدا بالنظم والغناء أكثر ممّا انتشرا في بلاد الأندلس.

يتفق الزجل بالموشح بجميع أنحائها ـ بالبناء والأوزان واللغة والأغراض ـ. أما بناء الزجل فإنه لا يقل شأنا عن بناء الموشح، فالزجل يستفتح كالموشحة بالمذهب أو المطلع الذي يتكون عادة من أربعة أغصان يلي ذلك الدور، وكل دور ينتهي بقفل يكون مكونا من غصنين اثنين وتكون قافية القفل متحدة مع قافية

المطلع. أما الأدوار فإن لكل واحد منها قافيته الخاصة به، ويتكون الدور عادة من ثلاثة قسيمات، تكون أحيانا قسيمات بسيطة وأحيانا قسيمات مركبة. وينتهي الزجل عادة بخرجة من بحر وقافية المطلع والأقفال[٣٢٨].

أما أوزان الموشح فهو يتميز بأوزان لها من الحدة ما للقريض ولا تختلف عن أوزانه إلا شكليا. وكان أول من درس أوزان الموشحات ابن سناء الملك في كتابه "دار الطراز". لقد قسم الموشحات على قسمين، قسم جاء على أوزان العرب وآخر لاصلة له بأوزانهم. والقسم الذي جاء على أوزان العرب كذلك ينقسم إلى قسمين: قسم لا تختلف أوزانه عن أوزان الخليل وقسم ما تخللت أقفاله وأبياته كلمة أو حركة تخرجه عن أن يكون شعرا صرفا وقريضا محضا[٣٢٩]. فأوزان الزجل ليس كلها من البحور التي استنبطها الخليل من الشعر، فمنها ما يوافق الأوزان الخليلية ومنها ما هو فرع منها وهو الغالب في الأزجال الأندلسية[٣٣٠]. وفي رأي صفي الدين الحلي أن الأزجال الأولى نُظمت على منوال الموشحات التي ظهرت في القرن الرابع الهجري والتي جاءت على البحور الخليلية.

لغة الموشحات ليست لغة متميزة، وإنما هي اللغة العربية التي نظم بها الشعر. أما الخرجة التي كتبت بالعجمية تارة وبالعامية تارة أخرى فهي تظرف استحسنه الوشاح لِما في ذلك من متعة يتذوقها الناس. ولم تكتب كل الخرجات بالعجمية سوى بعض منها، واقتصرت العجمية في الموشح على الخرجة فقط، أو على جزء منها، ولم توجد موشحة واحدة تخللتها ألفاظ عجمية. فلغة الموشح إذن هي العربية.

٣٢٨- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه- ص٤٦٢.
٣٢٩- الدكتور محمد عباسة – الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور.. ص: ٧٤- ٧٥.
٣٣٠- نفس المرجع ، ص١٢٩.

أما أكثر الخرجات التي ابتعدت عن الفصحى، فقد نظمها أصحابها بالعامية. والعامية لا يجوز أن تتسرب إلى الأجزاء الأخرى في الموشحة، وإلا أصبح الموشح مزنما. وهذا يدل على أن الموشحة نظمت في بداية الأمر كلها بالفصحى، ولما لجأ بعض الشعراء إلى تقليد فحول التوشيح وقعوا في التزنيم. وهذا الانحراف عدّه بعض المستشرقين اللبنة الأولى في تكوين الموشح بغية إرجاع مصدره إلى عناصر غير عربية.

مر الزجل الأندلسي بأطوار لغوية مختلفة، فكان الطور الأول اللغة الفصحى غير المعربة، وكان الزجل في ذلك الوقت، من اختصاص الطبقات المثقفة التي نسجته على منوال الموشحات. ثم بدأت تتسرب إليه عناصر اللهجة الأندلسية حسبما تقتضيه ضرورة الوزن والغناء عند أهل الأندلس، ومع ذلك لم يستطع الزجالون الأولون التخلص من الإعراب إلى أن جاء إمام الزجالين أبو بكر بن قزمان (ت ٥٥٤ هـ – ١١٦٠ م)، الذي مهّد الطريق في ديوانه إلى العناصر اللغوية العامية التي غزت اللغة الرفيعة في الزجل. ولغة الزجل تتألف من هذه اللغة غير المعربة بالإضافة إلى عناصر لغوية أندلسية اختلطت فيها لهجات شمال إفريقيا مع لسان الوافدين من المشارقة والعناصر المحلية المولَدة والمبتكرة التي يبيحها الزجال في نظمه. أما الذين نظموا الزجل فهم من الشعراء المثقفين الذين لجأوا إلى هذه العناصر وهذبوها، لأنه لا يمكن لأي واحد أن يقول زجلا، فهذا الفن يخضع للوزن والقافية[٣٣١].

كان غرض الغزل هو الشائع بين الأغراض في أول نشأة الموشح والزجل، ثم عالج الموشح والزجل أغراض أخرى مثل الوصف والمدح والفخر والرثاء والهجاء.

وبالجملة أن العلاقة بين الموشحة والزجل كثير والإختلاف بينهما قليل.

---

٣٣١ نفس المرجع، ص١٣١-١٣٢.

الفصل الثاني

تأثير الموشحات والأزجال في الشعر الغربي

تأثير الشعر الأندلسي في شعر التروبادور :

التروبادور (Troubadour) هو شاعر جوّال أو موسيقي عاش في القرون الوسطي، وكان يؤدي أدوارا أو يخصص شخصا لتأدية هذه الأدور منشدا اشعار ألفها عند الملوك والسلاطين في الجنوب الشرقي لفرنسا وسرقسطة في مملكة أراغون وضواحيها بالخصوص، أصل هذا النوع الموسيقي هو أندلسي، فكلمة تروبادور مشتق من طرب وكلمة دور. وكانوا يغنون الموسيقي متنقلين بين القصور، يعني كانوا يتجولون من قصر إلى آخر.[٣٣٢] كان لشعراء التروبادور الذين ينتمون إلى إقليم البروفانس في جنوب فرنسا صلة الوصل بين الشعر الغنائي الأوروبي والشعر العربي الأندلسي، ولا سيما موشحاته وأزجاله.

الشعر العربي في أوربا :

عندما أعطى العرب أدبهم وشعرهم لأوروبا أعطوها شعرا عربيا خالصا لم يسهم في تطوره في مراحله الأخيرة إلى قوم استظلوا بالحضارة العربية وتأثروا بها وإن الشعر العربي لم ينتقل عن طريق الترجمة، وإنما انتقل من خلال عملية معقدة.[٣٣٣] لقد ظهر الشعر في أوربا منذ عصر قدماء اليونان، لكن الشعراء لم يعرفوا الشعر الغنائي المقفى إلا في بداية القرن الثاني عشر للميلاد في جنوب فرنسا. وكان أول من نظم هذا الشعر الجديد في منطقة بروفنسا (Province) شعراء التروبادور (Troubadours). ثم انتشر بسرعة في جميع أنحاء أوروبا. يعد ظهور الشعر الغنائي الأوكسيتاني في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي من

---

٣٣٢ - https://ar.wikipedia.org/wiki

٣٣٣ - http://www.alriyadh.com/335295

نتائج التغيير الذي وقع على منطقة البروفنس في جنوب فرنسا. ويتجلى هذا التغيير أيضا في اللغة التي كتب بها هذا الشعر وهي اللغة الأكسيتانية التي استخدمها أهل الجنوب ثورة على اللغة اللاتينية من جهة، وتعبيرا عن أدب وطني مستقل من جهة أخرى.[٣٣٤]

وكان اتصال البروفنسيين بحضارات الشعوب المجاورة من أندلسيين وصقليين عاملا مباشرا في تحرر أهل الجنوب من قيود الفرنجة الشماليين، وتكوين كيان سياسي واقتصادي وثقافي خاص بهم. فكان أول عناصر هذا الكيان شعرهم الغنائي وموضوع الحب الرفيع الذي ابتدعوه لأول مرة في أوربا.

الشعر الأوكسيتاني هو الشعر الذي نظم بلغة أوك، وهي لغة جنوب فرنسا دون شمالها، وتسمى كذلك الأوكسيتانية تنطق في لغتها الأصلية "أوسيتان"، كما يسمى أهلها بالبروفنسيين نسبة إلى منطقة البروفنس، لكن منطقة وجود هذه اللغة أوسع بكثير من منطقة البروفنس، فهي تكاد تنتشر في الجنوب كله. بالإضافة إلى تروبادور بلاد أوك الذين نظموا الشعر بلغتهم الأوكسيتانية، توجد شعراء تروبادوريون آخرون ولدوا خارج بلاد أوك أو من جنسيات أخرى نظموا الشعر بهذه اللغة، منهم هنري الثاني(Henry II) ملك إنكلترا، وألفونسو الثاني(Alfinso II) ملك أراغون، والتروبادور رايمون فيدال(Raymond Vidal) الكتالاني، والتروبادور صورديللو(Sordel) الإيطالي، وكل هذه الأشعار يطلق عليها اسم الشعر الأوكسيتاني نسبة إلى اللغة التي نظمت بها لا إلى بلاد أوك، أما الأشعار التي نظمها التروبادور الإسبان والطليان بلغاتهم فلا تدخل ضمن الشعر الأوكسيتاني. هذا الشعر الذي نظمه شعراء التروبادور في إجلال المرأة وتمجيدها، لا يعكس بتاتا تقاليد المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت، بل هو غريب

---

٣٣٤ - https://abbassa.wordpress.com/poesie-des-troubadours

تماما عن الأوروبيين. لكنه يشبه بعمق الشعر الأندلسي، وخاصة الموشحات والأزجال في أشكالها ومضامينها[٣٣٥].

تأثير الموشحات والأزجال في شعر التروبادور :

أ. في نظام القافية:

لم يعرف الشعر الأوربي نظام القافية إلا بعد مطلع القرن الثاني عشر الميلادي على يد الشعراء التروبادور. ولم ترد القافية في الشعر اللاتيني والإغريقي، وإنّ أوفيديوس (Ovide) الذي يعتقد الأوربيون أنّ التروبادور البروفنسيين قد تأثروا بأفكاره في حبهم الكورتوازي، لم يجد في كتبه ولو قصيدة واحدة مقفاة على الأقل.[٣٣٦]

إن رواد الأدب الروماني وعلى رأسهم هوراس (Horace) لم يهتموا بالقافية في شعرهم، وكان شأنهم في ذلك شأن الشعراء الإغريق الذين قيّدوا علومهم بالشعر، لكنهم لم يراعوا نظام القافية في نظمهم. وإن الأمم الأوربية التي جاءت بعدهم لم تعرف الشعر المقفى إلى بداية القرن الثاني عشر الميلادي، وهو العصر الذي ظهرت فيه القافية لأول مرة في الشعر الأوكسيتاني، الذي نظمه شعراء التروبادور في منطقة البروفنس.

إن نظام القافية في الشعر الأوربي قد استورد من العرب، وكان غيوم التاسع أول من نظم القافية الموحّدة التي اشتهر بها الشعر العربي، وذلك في ثلاث قصائد من ديوانه. طرق الشعراء البروفسيون الشعر المصرّع في كثير من قصائدهم، وهذا النوع من النظم يوجد عند العرب منذ العصر الجاهلي. لقد نظم التروبادور برنار مارتي (Bernart Marti) قصيدة من هذا اللون:

٣٣٥- مجلة حوليات التراث، مجلة علمية محكمة، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد ١٤/ ٢٠١٤. ص٨-٩.

٣٣٦ - الدكتور محمد عباسة – الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور. ص٢٦٥

"Faraiunversab son novelh

E vuelhm'en a totzquerelar

Qu'apenastrobi qui m'apelh

Ni sol mi denhel'uelhvirar

Trobatm'annesci e fadelh

Quar no sail'averajustar"

استخدم برنار مارتي القافية (أ ب، أ ب، أ ب) فجعل صدر الأبيات على قافية وعجزها على قافية أخرى، وهذا النوع من الشعر يعد من الشعر التقليدي عند الشعراء العرب في المشرق والمغرب، وهو من الأراجيز[٣٣٧].

ب. في بناء القصيدة

المطلع: في الشعر الأوكسيتاني يستهل الشعراء قصائدهم بالمطلع مثلما يرد في الموشحات والأزجال عند الأندلسيين، وقد استخدم البروفنسيون مختلف الأشكال الاستهلالية من المطلع المتكون من شطر واحد إلى المطلع المركب من عدة أشطر. كما استخدم البروفنسيون المطلع المركب من شطرين في بعض أشعارهم. ويرد في الشعر الأوكسيتاني المطلع المركب من ثلاثة أشطر، كما أكثر الشعراء كذلك من المطالع المتكونة من أربعة أشطر في أشعارهم. وهذا النوع الأخير يغلب على الموشحات الأندلسية. لقد تطرق الشعراء البروفنسيون إلى مختلف المطالع في قصائدهم، إلا أن هذه النماذج وردت عند الشعراء الأندلسيين في الموشحات والأزجال قبل عصر التروبادور.[٣٣٨]

البيت: تسمّى المقطوعة الواحدة من القصيدة عند التروبادور بيتا (vers) وهي التسمية نفسها التي اتفق عليها الباحثون في الموشحات والأزجال، وقد يأتي

٣٣٧- الأراجيز مفردها أرجوزة، وهي شعر منظوم على قافية بحر الرجز، والرجز بحر معروف من بحور الشعر.

٣٣٨- الدكتور محمد عباسة – الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور. ص٢٦٩.

الأبيات في الشعر الأوكسيتاني متفاوتة الأقسمة، فمنها ما جاء مركبا من أربعة أشطر من قفل من شطر واحد، وهذا الشكل استخدمه الأندلسيون في الأزجال.

ونظم البروفنسيون البيت المتكون من خمسة أشطر مع قفل من شطر واحد ومنهم التروبادور سركامون (Cercamon). ولم يكتفوا بنظم المقطوعة ذات القفل المتكون من شطر أو من شطرين، بل نظموا الأقفال المركبة من ثلاثة وأربعة أشطر على غرار ما يوجد في الشعر الأندلسي. لقد برع الشعراء الأوكسيتانيون في القوافي ولم يكتفوا بما نقلوه عن الأندلسيين بل أضافوا أشكالا أخرى إلى شعرهم، كما غيّروا في الكثير من عناصر القصيدة.[٣٣٩]

القفل: الأقفال عند الشعراء البروفنسيين منها ما يكون عدد أشطره عدد أشطر المطلع نفسه، ومنها ما يكون عدد أشطره نصف عدد أشطر المطلع. وكان غيوم التاسع أول شعر أوربي استخدم الأقفال في الشعر إلا أنه أحدث تغييرا طفيفا خرج بها خروجا قليلا عن النماذج الأندلسية، إن غيوم التاسع قد أحدث بعض التغيير على القفل الأندلسي، بأن أدخل على القفل شطرا آخر قافيته من قافية أشطر البيت والقفل يسمى vuelta عند الشعراء التروبادور.

وفي الشعر الأوكسيتاني يلجأ الشعراء التروبادور إلى تفريق الأقفال عن غيرها من عناصر القصيدة بواسطة القصر أو الطول. وقد تخلو القصيدة الأوكسيتانية من المطلع وتكتفي بالأقفال، شأنها في ذلك، شأن الموشحات والأزجال الأندلسية. ومن هذا النوع أيضا "الفجرية" (Alba) التي تخلو من المطلع والتي تكون مقطوعاتها على رسم أ أ أب، ج ج ج ب، فهي تتخذ شكلا مربعا. غير أن الشكل المربع وجد في أشعار العرب قبل هذا العصر، استخدمه الشعراء في الأراجيز والمسمطات. لعل أول من ذهب بهذا النوع من النظم إلى أبعد الحدود

٣٣٩ - نفس المرجع ، ص٢٧٠

في بلاد الأندلس هو ابن قزمان الذي جاءت أغلب أزجاله مبنية على هذا الشكل.[٣٤٠]

ويعد التروبادور غيوم التاسع أول من أدخل الشكل المربع إلى الشعر الأوكسيتاني لتأثره العميق بالأزجال الأندلسية، وهذا يتجلى في قصيدته الأخيرة المثبتة في ديوانه، والتي رسم قافيتها (أ أ أ ب، ج ج ج ب).[٣٤١]

الخرجة: تعوّد الشعراء البروفنسيون على تذييل قصائدهم بقفل يسمّى (finida) بمعنى الخرجة. ظهرت الخرجة لأول مرة في الموشحات ثم في الأزجال، ولم يعرف الشعر الأوربي الخرجة قبل شعراء التروبادور الذين عاصروا أشهر الوشاحين والزجالين الأندلسيين. ترد الخرجة في الشعر الأوكسيتاني عند التروبادور بأشكال مختلفة، لكن أغلبها لم يخرج عن نطاق الشكل الأندلسي. فالخرجة عند الأندلسيين هي القفل الأخير من الموشحة أو الزجل، أما في الشعر الأوكسيتاني فقد تكون بعض الخرجات القفل الأخير من القصيدة. والبعض الآخر يأتي مع القفل الأخير مباشرة وبالقافية نفسها.

جاءت الخرجة في القصائد الأوكسيتانية شطرا مفردا كما جاءت أيضا مركبة من عدة أشطر، وهذا هو الشائع عندهم، فقد تكون الخرجة مركبة من ثلاثة وأربعة أشطر. غير أن البروفنسيين لم يكتفوا بخرجة واحدة فمنهم من نظم خرجتين متتاليتين في آخر القصيدة، وهذا ما لا يوجد عند الأندلسيين. وكان غيوم التاسع أول من نظم القصيدة ذات الخرجتين.[٣٤٢]

---

٣٤٠ - ابن قزمان: الديوان، تحقيق ف. كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد ١٩٨٠، ص٢٠

٣٤١ - الدكتور محمد عباسة – الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص٢٧١-٢٧٢.

٣٤٢ - نفس المرجع. ص :٢٧٣.

ج. الشكل الحواري:

تبنى القصائد الحوارية على عدد من المقطوعات، يتناوب على نظمها شاعران، وهي المساجلات التي تختلف شكلا ومضمونا عن أشعار الحوار الأوربية التي سبقتها كالمأدبات وغيرها من أشعار اليونان والرومان التي تختلف عن الشعر الغنائي الأوكسيتاني. والشرط في قصيدة المساجلة أن تكون مقطوعة الشاعر الثاني مطابقة لمقطوعة الشاعر الأول من حيث القافية والوزن وعدد الأبيات. وقد تُنَظم المساجلة في مجلس بحضور الشاعرين كما تنظم أيضا بالمكاتبة مقطوعة بمقطوعة، وفي أحيان أخرى يكون الشاعر الثاني وهميا وتنظم القصيدة كلها من قبل شاعر واحد فقط. ففي هذه الحالة قد لا يكون الطرف الثاني شاعرا، وقد يكون الشاعر الثاني امرأة كما قد يكون ملكا أو أميرا. ويعد التروبادور رامبوا دورانج (Raimbaut d'Orange) من أكثر الشعراء الذين نظموا المساجلات. ومن القصائد التي نظمها في هذا الموضوع التانسو الذي كتبه بالاشتراك مع الشاعر غيرو دي بورناي، والذي أوله:[٣٤٣]

"Era'mplatzGiraut de Bornelh,

Quesapcha per c'anatzblasman,

Trobarclusni per calsemblan,

Aisso 'm digatz.

Si tan prezatz

So que vas totzescomunal,

Car adonctuchseranegal.

- SenherLinhaure no-m corelh,

Si quecs se trob'a so talan,

Mas me eisvolhjutjard'aitan,

---

٣٤٣ - الدكتور محمد عباسة – الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص ٢٧٤:.

Qu'esmaisamatz.

Chans e prezatz.

Qui-l failevetevenansal,

E vos no m'otornetz a mal."

يرد في شعر أوك نوع آخر من شعر المحاورة وهو المناظرة، التي يشترك في نظمها شاعران فأكثر. وفي الشعر الحواري طبيعة الموضوع تلزم التفريق بين قصيدتي المساجلة والمناظرة اللتين تتميزان بشكلهما من الأشعار الأخرى.

ظهر شعر المحاورة عند الأندلسيين قبل نشأة الشعر الأوكسيتاني وهو مستمد من شعر المساجلات والمناظرات العربي. وفي الشعر الأندلسي توجد طرق مختلفة في نسج هذا النوع من الشعر، فقد يشترك في نظم القصيدة شاعران أو أكثر، وقد يكون الشاعر الثاني امرأة شاعرة، أو ملكا أو أميرا، وقد تنظم هذه القصائد في مجلس أنس كما قد تحدث بالمكاتبة.

إن شعر المحاورة من مساجلات ومناظرات بين الشعراء وهو نوع من الشعر المقطعي الذي ظهر عند العرب قبل الموشحات والازجال، كان من بين الأشكال الشعرية الأخرى التي تأثر بها الشعر الأوكسيتاني، وإن أكثر الطرُق والمناسبات التي تنظم فيها هذا النوع من الشعر عند الأندلسيين قد حاكاها الشعراء البروفنسيون في نظمهم. أما الشعر الأوربي فلم يعرف هذا النوع من النظم قبل التروبادور. ومع ذلك يوجد هؤلاء الشعراءُ البروفنسيون الذين كتبوا بلغة أوك قد هذبوا شعرهم الحواري تهذيبا رائعا، ويتجلى ذلك في التزامهم طرقا محكمة في نظمهم هذا النوع من الشعر وتخصيصه مواضيع معيّنة لم ترد في الشعر الحواري الأندلسي.[٣٤٤]

٣٤٤- الدكتور محمد عباسة - الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور. ص٢٧٧.

د. الاستعمال اللغوي:

نظم التروبادور قصائدهم باللغة الأوكسيتانية أو لغة أوك وكذلك استعمل بعض الشعراء مفردات أجنبية في شعرهم، فكانت أصله من اللهجات الأيبيرية واللغة العربية واللغة الإيطالية القديمة وكذلك الفرنسية. جاءت هذه المفردات متناثرة في ثنايا قصائدهم على غرار ما ذهب إليه ابن قزمان في أزجاله إذ كان يستخدم أحيانا اللفظ العجمي في نظمه. ومن الشعراء الذين يستخدمون مقطوعات كاملة بلغة أجنبية، وكان من أولهم غيوم التاسع الذي ضمّن قصيدته مقطوعة برمتها صعب على الدارسين تفسير معناها وتبيان أصلها اللغوي. ورثت هذه الطريقة عن الزجالين الذين سبقوه أو الوشاحين الذين كانوا يستعملون العجمية في خرجات موشحاتهم.

لقد نظم شعراء الأوكسيتانية بعض الأقفال بلغات أجنبية نقلا عن الأندلسيين الذين نظموا بعض الخرجات بالعجمية. وممن نظموا الخرجات بالعجمية في موشحاتهم قول يحيى السرقسطي الجزار في خاتمة موشحة له.

"بئس ما رام الرقيب وما سعى

كلما يبدو الحبيب بدا معا

قلما أشدو نجيب من ودّعا

كذا أمي فلمولي البين إب كذل ميت طاري سرّ الرقيب"[٣٤٥]

كان استعمال العجمية عند الشعراء الأندلسيين لدوافع مختلفة منها الثقافية والاجتماعية، وقد تستعمل العجمية لإخفاء الأسرار عن الآخرين كما فعل السرقسطي في هذه الخرجة لما كتم السر عن الرقيب. أما الشعراء البروفنسيون فقد استعملوا الألفاظ الأجنبية عن لغتهم تقليدا للأندلسيين بفضل الخرجات العجمية التي تأثروا بها في مواضيع شتى. فالشعراء الأوكسيتانية نظموا

٣٤٥ - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، مطبعة المنار. ص: ١٥٥.

قصـائدهم بـأكثر مـن لغـة أجنبيـة. لقـد نظـم رامبـو دي فـاكيرا (Raimbaut de vaqueiras) قصـيدة بلغـة مختلفـة منهـا الأوكسـيتانية والإيطاليـة والفرنسـية والغسكونية والجليقية والبرتغالية.

اسـتخدم التروبـادور البروفنسـيون ألفاظـا مشـتركة بيـنهم، بـدأوا بهـا مقـدمات قصـائدهم، كلفظـة "رفـاقي" أو "خليلـيّ" (companho). وكـان أول مـن اسـتخدمها الكونـت غيوم التاسـع الـذي بدأ بهـا قصـائده. هذه الألفـاظ المألوفـة عند الشـعراء الجاهليين، تعوّد الشـعراء الأندلسيون علـى اسـتخدامها فـي شـعرهم قبل الشـعراء البروفنسيين. يقول الكونت غيوم التاسع في بداية قصيدته.[٣٤٦]

"Compaigno, non puoscmudarqu'eo no m'effrei

"De novellas qu'aiauzidas e quevei

وترجمتها:

"خليليّ، لقد أقلقتني كثيرا

هذه الأخبار التي أسمعها وأراها"

لقد تعوّد الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي أن يخاطبوا المرأة بصيغة المذكر، كأن يقال لهـا: سيدي ومـولاي وحبيبـي بـدلا مـن سيدتي ومـولاتي وحبيبتـي. وقد اسـتخدمها الأندلسـيون أيضـا فـي شـعرهم مـن موشـحات وقصـائد. هـذه الصـيّغ استلطفها البروفنسيون ونقلوها حرفيا عن الأندلسيين إجلالا للمرأة واحتراما لهـا. وكـان التروبـادور غيـوم التاسـع أول مـن اسـتخدم لفظـة "سـيدي" فـي الشـعر الأوكسيتاني عند مخاطبته المرأة. لقد استخدم غيوم لفظـة (mi dons) فـي بعض قصائده بمعنى سيدي أو مولاي، واستخدمها لأول مرة في الشعر الأوروبي. وقد استعذبها الشعراء التروبادور واستخدموها في شعرهم الكورتوازي. كما استخدم البروفنسيون لفظـة حبيبـي وصـديقي عنـد مخـاطبتهم سيداتهم فـي قصـائدهم. وقد

٣٤٦ - الدكتور محمد عباسة الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور. ص: ٢٨٠.

جاءت أشعار كثيرة من هذا النوع يخاطب فيها أصحابها سيداتهم بصيغة المذكر على غرار ما هو شائع في الشعر العربي من قصيد وموشح وزجل.[٣٤٧]

الموضوعات الغزلية:

ومن الموضوعات التي تؤكد تأثير الشعر الأندلسي في شعر التروبادور الحب المؤانس أو الكورتوازية[٣٤٨]. هو حب يسمو بقيّمه على أي حب فروسي آخر، هذا المفهوم يختص بتمجيد المرأة والخضوع لها، حتى وإن لم تبادل العاشق الشعور نفسه، فتكون المرأة التي يقصدها الشاعر البروفنسي في أغلب الأحيان من المتزوجات. وهذا تقليد للغزل العذرى الذي اشتهر به شعراء العذريين، غير أن حب العذريين لصاحباتهم بدأ قبل زواجهن.

أما أكثر الباحثين من العرب والمستشرقين يرون أن شعر الحب الكورتوازي الذي جاء به شعراء التروبادور البروفنسيون لأول مرة في أوربا، استورده الشعراء الأوكسيتانيون من الأندلس، لأن الحب المؤانس لا يعكس واقع المجتمع الأوربي في ذلك الوقت، وليس له صلة بالأدب الأوربي، وإنما هو من مقومات العرب[٣٤٩].

لقد طرق العرب موضوع الحب العفيف منذ زمن قديم، وقد انتقل هذا اللون إلى الأندلس، ونظم فيه كثير من الشعراء الأندلسيين، ثم انتقل إلى بلاد الإفرنج، فطرق الشعراء البروفنسيون الحب المؤانس ولكن لم تصل إلى درجة العفة العربية التي يتميز بها الشعراء العرب. فقد طرق بعض منهم خاصة المتأخرين هذا الباب واشتهروا به. ولعل غيوم دي مونتانياغول (Guilhem de

---

٣٤٧ نفس المرجع. ص :٢٨١.

٣٤٨- ظهر الحب الكورتوازي في البروفنس بجنوب فرنسا في القرون الوسطى عند الشعراء الفرسان. فالشاعر يلتزم بتخصيص كل مواهبه الشعرية لخدمة سيدته التي يحبها ويستوحي منها أفكاره وصوره.

٣٤٩- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور. ص: ٢٨٣.

Monthanhagol)، هو أول تروبادور الذي طرق الحب العفيف في الشعر الأوكسيتاني. وفي رأيه أن التروبادور القدامى لم يقولوا شيئا في الحب العفيف.

وبالجملة أن الحب العفيف الذي ورد في الشعر الأوكسيتاني استورده بواسطة الجونغلير[٣٥٠] من الأندلس، "وكان يمثل ثورة فكرية في وجه الكنيسة، فحاربه رجال الدين وعزموا على القضاء عليه بكل الطرق الممكنة، ذلك لأنهم اعتبروه دينا جديدا، رفع به الشعراء المرأة الأوروبية من وضعها الرديء إلى مستوى راق، يكمن في حريتها واعتبارها إنسانا لا يختلف عن الرجل من حيث حقوقه. وكانت الكنيسة لا تريد هذا التقديس والتبجيل للمرأة واعتبرت ذلك خارجا عن تعاليمها، فحاولت صرف الشعراء تجاه السيدة العذراء، ولاحقت كل من تجرأ على القول في العفاف ونفت بعضهم، وكان غيوم دي مونتانياغول أول من نفي إلى أراغون"[٣٥١].

ومن المواضيع التي تظهر تأثير الشعر الأندلسي في شعر التروبادور الحبيبة المجهولة، وهو يسمى أيضا بالحب المستحيل والحب البعيد، هذا الشعر يصور هموم الشاعر واشتياقه لرؤية حبيبته، التي لم يرها في حياته، و كان الشاعر غيوم التاسع أول من تطرق إلى هذا الموضوع، يقول في شعره[٣٥٢]:

"Amigu' aiieu, no sai qui s'es,

Qu' anc non la vi, sim'ajutfes ;

Ni' m fesque' m plassanique' m pes,

Ni no m'encau,

Qu' anc non ac Norman ai Frances

Dins monostau"

٣٥٠- هو المغنّي الجوّال الذي يتكسب بفنه ويضع موهبته الغنائية في خدمة التروبادور، وغالبا ما يكون من الطبقات الإجتماعية المتوسّطة أو الفقيرة.

٣٥١- د. محمد عباسة - الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور. ص: ٢٨٦.

٣٥٢- المصدر السابق، ص٢٨٧.

وترجمتها :

"عشقت امرأة لا أعرفهـــا

ولم أرها في حياتي أبـــدا

لا أحسنت لي ولا أساءت

ليس فـــي داري أجنبـــــي

لا نورمـــاني ولا فرنســـي"

في هذه القصيدة يتحدث التروبادور غيوم التاسع عن تعلّقه بحب امرأة لم يرها أبدا، ومع هذا يحبها ويتغزل بها. وهذا الموضوع لم يقع في الشعر الأوربي من قبل، أما العرب قد تطرقوا إلى هذا الموضوع في مختلف أشعارهم.

وممن اشتهروا بهذا الموضوع الشاعر التروبادورجوفري روديل (Jaufre Rudel) أمير بلايا الذي أحب امرأة من طرابلس الشرق، ولم يرها قط في حياته ولكنه كان يسمع عن أوصافها وخصالها من الحجّاج العائدين من الشرق، ومن شعره فيها الذي سمّاه " الحب البعيد":

"Nuilshom no' s meravill de mi

S'ieu am so queja no' m veira,

Que' l corjoid'autr' amor non ha

Mas de celaqu' ieuanc no vi,

Ni per nuilljoiaitan no ri,

E no saiqualsbesm'envenra, aa"

وترجمتها:

"لا تلومـــوني إذا عشـــــقت

مـــن لـــم ترنـــي أبـــدا

فهي وحدها من يجعلني سعيدا

تلــك التـــي لـم أرهـا أبـــدا

إنّـــي بهـــذا الحـــب مقتنـع

وأنا لا أعلم هل سيتحقق أم لا"[٣٥٣]

فهذا النوع من الغزل ظهر في الأندلس قبل عصر غيوم التاسع وجوفري روديل ورامبو دورانـج، وقد ورد عند الأندلسيين في مختلف أشعارهم من قصائد وموشحات وأزجال. ويعد سعيد بن جودي[٣٥٤] الأندلسي من أبرز شعراء الفرسان الذين اشتهروا بهذا الموضوع. فقد روي عنه أنه دخل ذات يوم مدينة قرطبة واقترب من قصر الأمير محمد بن عبد الرحمن، فسمع صوت جارية تغنّي لابنه الأمير عبد الله، اسمها 'جيجان' كانت معروفة بالجمال والحسن، فهام بذكرها واشترى جارية من قرطبة سمّاها جيجان، ولكن هذا لم يخفف هموم حبه لها التي سمعها ولم يرها، فقال فيها شعرا كثيرا، منها:

"سمعي أبى أن يكون الروح في بدني فاعتاض قلبي منه لوعة الحزن

أعطيت جيجان روحي عن تذكرها هذا ولم أرها يوما ولم ترني

فقل لجيجان يا ســولي ويا أملـــي استوص خيرا بروح زال عن بدن

كأنني واســمهـا والدمع منســكب من مقلتي راهب صلى إلى وثن"[٣٥٥]

ومن المواضيع التي تؤكد هذا التأثير في شعر التروبادور الفجريات، هو موضوع غزلي يتحدث فيه الشاعر عن لقاء الحبيبين في الليل إلا أنهما يستقصران الليل ويشتكيان من طلوع الفجر المبكّر، ولغِيرو دي بورناي قصيدة في الفجريات التي يقول فيها:

٣٥٣- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور. ص: ٢٨٩.

٣٥٤- سعيد بن سليمان بن جودي بن أسباط بن إدريس السعدي، أديب لاوشاعر وخطيب أندلسي، وأمير ألبيرة، توفي سنة ٢٨٤ هـ.

٣٥٥- ابن الأبار – الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، ج ١، دار المعارف ، ط ٢، القاهرة ١٩٨٥، ص١٥٧ – ١٥٨.

"Belcompanho, en chantanvosapel

Non dormatz plus, qu' euaugchantarl'auzel,

Quevaiqueren lo jorn per lo boscatge

Etaipaorque 'l gilosvosassatge

Et ades sera l'alba"[356]

ترجمتها:

"أيها الرفيق الجميـل إني أناديك

لا تنم لقد سمعتُ العصفورَ يغني

وسيأتي معه النهار عبْـر الغابة

فيهجَم عليكم الغيور إن لـمحتكم

وقـريبـا سـيطلـع الفجـر"

وهـذا النـوع مـن الغـزل ظهـر فـي الشـعر العربـي قبـل ظهـوره فـي الشـعر التروبادور، وطرقه أيضا الوشاحون الأندلسيون. ومن ذلك قول السلطان أحمد المنصور:

"وليالي الشعور إذ تسري ما لنهر النهار من فجر

حبّذا الليل طال لي وحدي

لو ترانـي جعلتـه بردي

فاطميّا في خلعة الجعـدي

هي ليلى أخت بني بشري فأين أنت يا أبا بدر

كم سقتنا ألطف من طـلّ

واجتمعنا وما درى ظلّي

٣٥٦- د. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور. ص: ٢٩٣.

واسترحنا من كاشح نذل

رب ليل ظفرت بالبدر ونجوم السماء لم تدر"[٣٥٧]

وموشحة أبي بكر بن الصابوني (ت ٦٣٨هـ):

"قسما بالهوى لذي حِجر ما لليل المَشوق من فجر

خمـــد الصـبح لـــيس يطـــرِّد

مـــا لليلـــى فيما أظـــن غـــد

صـــح يا ليـــل إنـــك الأبـــد

أو تقضّت قوادم النسر فنجوم السماء لا تسري"[٣٥٨]

تؤكد هذه الأمثلة أن الشعراء الأندلسيين قد استخدموا هذا الموضوع بكل خصائصه قبل شعراء التروبادور، فلم يترك الزجالين موضوع استقصار الليل في زجلهم، وقد استخدم هذا الموضوع الإمام ابن قزمان في زجله الذي منه:

"الكلام يدورْ والشراب يُشربْ

وأنا نغني وهي تطربْ

وطلبت منها الذي يطلبْ

هي تقول نعم وتمنّيني

أصبح الصباح وهو الظالم

لما أصبح ؟

قمت إلى غفارتي ولم نمهلْ

قالت أن تمور أش تريد تعملْ

زَوَل الغِفارهْ بعدْ وانزلْ

٣٥٧- المقري – نفح الطيب، ج ٧، ص٧٣.

٣٥٨- ابن سعيد – المقتطف من أزاهير الطرف، مستلة من كتاب " أعمال مهرجان ابن خلدون"، القاهرة ١٩٦٢، ص٤٨٢.

قلت عن ذهب نمضي خليني

إن ابن سُميدع أبو القاسمْ

نريدْ ونمدحْ"

وفي الشعر الأوكسيتاني الذي نظمه الشعراء التروبادور في جنوب فرنسا موضوعات وأغراض أخرى التي لم تذكر هنا، تأثر فيها هؤلاء الشعراء بالشعر العربي خاصة بالموشحات والأزجال. ولم يقتصر التأثير العربي الأندلسي على شعراء جنوب فرنسا بل تأثر أيضا شمال أسبانيا المسيحي بالموشحات والأزجال الأندلسية. فشعراء النصارى الأسبان في عهد الأندلسيين نظموا أشعارهم على طراز الأراجيز التاريخية، وكذلك تأثر هؤلاء الشعراء أيضا بالمقامات والفروسية والتصوف ومواضيع أخرى في شعرهم ونثرهم.

الفصل الثالث

تأثير الموشحات والأزجال في الشعر العربي

انتشرت الموشحات والأزجال في الأندلس وذاع شهرتهما وتعددت أغراضهما، وكثر الوشاحون والزجالون في الأندلس وأصبحتا سمة يعرف بهما العصر الأندلسي. وسرعان ما امتد تأثيرهما إلى المشرق العربي لحلاوتهما وطلاوتهما على الأسماع، فقلد شعراء المشرق الوشاحين والزجالين الأندلسيين في نظمهم.

وقد انتقلت الموشحات إلى بلاد المشرق في القرن السادس الهجري مع الوافدين من الأندلس، فنزل بها محي الدين بن عربي في أواخر حياته، وحمل معه هذا الفن ونشره بين الناس. وجوّدوا فيه وطوروا في بنائه حتى نافسوا فيه أهل الأندلس[٣٥٩]. فظهرت الموشحات في الإسكندرية وبالتحديد في الدولة الفاطمية (٤٤٧ – ٥٦٤). وكان أول وشاحي هذه الدولة علي بن عياد الإسكندري (ت ٥٢٦هـ)[٣٦٠].

وللمشارقة فضل كبير في تأسيس هذا الفن، فهم أول من وضع المصنفات الخاصة به التي توضح أقسامه وأصنافه وأوزانه، فظهرت الموشحات في بلاد المشرق وفي مصر خاصة في العصر الفاطمي، أما ازدهرت في مصر في العصر الأيوبي. فوضع لأول مرة في تاريخ هذا الفن كتاب مصري لابن سناء الملك الذي يوضح أصول هذا الفن وقواعده، ويبين خصائصه وطرق نظمه وأوزانه، فيعد كتاب "دار الطراز في عمل الموشحات" من أهم المصادر لهذا الفنّ. وهذا ما يصرح به ابن سناء في كتابه "ولما كانت الموشحات بهذه المثابة ولها في سوق الأدب هذه القيمة، ولم أر أحدا صنّف في أصولها ما يكون للمتعلم

٣٥٩- د.أحمد محمد عطا – ديوان الموشحات الفاطمية والأيوبية، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠١م. ص٣.

٣٦٠- المصدر السابق، ص٤.

علي بن عياد الإسكندري المعروف بابن القيم من أهل الإسكندرية، عاش في زمن الخلافة الفاطمية وتوفي سنة ٥٢٦هـ، وهو من الشعراء المشهورين في ذلك الوقت.

مثالا يُحتذى وسبيلا يُقتفى، جمعت في هذه الأوراق ما لا بد لمن يعاينها ويعني بها من معرفته ولا غناء به عن تفصيله وجملته، ليكون للمنتهي تذكرة وللمبتدئ تبصرة"[٣٦١].

وقد نهج عدد كبير من الوشاحين نهج ابن سناء الملك في نظم الموشحات أو تأليف المصنفات الخاصة بها. ومن الكتب التي اهتمت بالموشحات كتاب "توشيع التوشيح" و"العاطل الحالي والمرخص الغالي" لصلاح الدين الصفدي، وكتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" وغيرها.

الموشحات المشرقية تختلف عن الموشحات الأندلسية في ناحية فنية هامة، ففي الموشحات الأندلسية كانت الكلمات هي التي تحدد الموشح وليس اللحن، وكان للموشح الأندلسي أوزانه الشعرية الخاصة. أما في الموشحات المشرقية فقد أصبح اللحن والأوزان الموسيقية هي التي تحدد الموشح، وبشكل خاص الأوزان[٣٦٢].

الوشاحون في المشرق :

وقد كثر عدد الوشاحين في المشرق خاصة في العصر الأيوبي والمملوكي، لأن الشعراء قد نظموا الموشحات كما نظموا الشعر، توضح الباحثة هنا ترجمة موجزة عن عشرة الوشاحين في المشرق. فمنهم:

١- ابن قلاقس الإسكندري

أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي اللخمي الإسكندري، المعروف بابن قلاقس الإسكندري، لقب بالقاضي الأعز، هو كاتب

٣٦١- ابن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق: جودة الركابي، ط ١، دمشق ١٩٤٩، ص: ٢٤.

٣٦٢- حسّان عبّاس - الموسيقى التقليدية في سوريا، منظمة الأمم المتحدة، ص٩٠.

وشاعر نبيل من كبار الكتاب المترسلين[٣٦٣]، عاش في القرن السادس الهجري. وكان شاعرا ووشاحا، وله ديواني شعر.

ومن موشحاته:

"يا كــواكبَ الرّاحِ في بروج اقداح مزّقي دُجَا الهَمْ تَصْبَاحَ أفْرَاحِي

قَدْ تَبَسَّمَ الفَجْرُ وتنسّم الزَّهْرُ

وتَدَفَّقَ النّهْرُ واسْتَدَارَتِ الخَمْرُ

كضِيَاءِ مِصْبَاحِ بَلْ ضِيَا اصباحِي فاقْتَضِي لها حُكْمِي إنّ الرَّاحَ للرَّاحِ

مَا قَضيبُ البانْ مَاسَ فوقَ كُثْبَانْ

تَحْتَ العمرِ الثّاني فِي أَنْعَمِ فِتْيَانْ

يَا صُبْحِي ومِصْبَاحِي وَرَاحِي وتُفّاحِي وَاصِلْنِي على رَغْمِ أَنْفِ الحَاسِدِ الأَحِي

وَمَغَرّدِ غَنَّى فِي أَرَاكَةِ وَهْنَا

فَاغْرُبِ بِالمَعْنَى منْ عَلَى الأسنا

فَشَدَا بِإفْصَاحِ عَنْ لِسَانِ أَمْدَاحِ مَا أَبَانَ مِنْ نَظْمِي عَجْزَكُلّ وَشَّاحِ

وَصَغِيرَةِ القَدّ قَدْ جَبَذْتُهَا عِنْدِي

مَثْلَ دَوْحَةِ الرَّنْدِ فَشَدَتْ مِنَ الوَجْدِ

أَوَّحْ أَوَّحْ أَوَّاحِي مَزْقَ الصَّبَى رَاحِي ايشْ تُقُولِي يَا أمّي سكْرانْ هُو أمْ صَاحِي"[٣٦٤]

٢- ابن الدهان الموصلي

أبو الفرج عبد الله بن أسعد بن علي، فقيه شافعي ونحوي ومهذب الدين الحمصي وأديب وشاعر. ولد بالموصل وأقام مدة بمصر ومدح طلائع بن رزيك وزير

٣٦٣- د.أحمد محمد عطا – ديوان الموشحات الفاطمية والأيوبية، ص٢٣٧.

٣٦٤-د.أحمد محمد عطا – ديوان الموشحات الفاطمية والأيوبية، ص٤٤.

مصر ثم رحل إلى الشام، فولى التدريس بحمص واستقر به إلى أن توفي سنة ٥٨١هـ.

ضم ديوانه موشحتين في مدح الوزير طلائع بن رزيك، وهما من أقدم الموشحات الشامية[٣٦٥].

ومن موشحاته:

"الذّنـــبُ ذنـــب طرفـــى فـــي الحـــب إذْ رنـــا
فكـــم أخـــذت قلبـــى ظلمـــا ومـــا جنـــا
نـــام فـــي خفـــاء جســـم فـــي الـــبرد نـــاحلِ
لـــم يبـــق غـــير رَسْـــمِ تحـــت الغلائـــلِ
ودمـــع عينـــي يـــهمي يـــهدي عواذِلـــي
..... الثيـــاب تخفـــي مـــا بـــي مـــن الضّنـــا
..... شـــحوبي تنســـى فيفطُنـــا
قـــذ لـــجّ فـــي هَـــواهُ أو فـــي نـــوى قَـــذَفْ
غَضَبـــانُ مـــا رضَـــاهُ منّـــي ســـوى التلـــفْ
يُسْـــرفُ فـــي أذاه لا خـــير فـــي السّـــرَفْ
حِـــبّ يحـــب حتفـــي يجفـــو إذا دنـــا
قَـــدْ فـــاق كـــلّ حُسْـــنِ لَـــو كـــان محســـنا"[٣٦٦]

٣- القاضي الفاضل

أبو علي عبد الرحيم بن علي بن محمد اللخمي المعروف بالقاضي الفاضل، قاض وشاعر وكاتب متفوق في الشعر والكتابة. ولد بمدينة عسقلان شمال غزة في

٣٦٥- مقداد رحيم – الموشحات في بلاد الشام منذ نشأتها حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٩٨٧، ط ١، ص: ١٨٩.
٣٦٦- د.أحمد محمد عطا – ديوان الموشحات الفاطمية والأيوبية، ص٤٨.

فلسطين عام ٥٢٩هـ، وانتقل إلى الإسكندرية ثم إلى مصر، كان يعمل كاتبا في دواوين الدولة ووزيرا ومستشارا للملك صلاح الدين الأيوبي لبلاغته وفصاحته، حيث قال فيه صلاح الدين: لا تظنوا أني فتحت البلاد بالعساكر إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل".

وله موشحة عارضها جماعة من المتأخرين، وهي:

"من لي به بدر كلّه قد حاز قلبي كلَه فهل ترى نتعزّز والعزّ في الحب ذلّه

رضيت فيه مصاني فما على الناس منّي

وراحتي في عذابي فلو مضى ذاك عنّي

لا شتاق قلبي لما بي فهل علمتم بأنّي

أمسيت أحمل مقلة من المنام مقلّة لو زارها الطيف اغوز نوم يكون محلّه

مزجت منهـــا كئوسا تجلو الدجي بشعاع

إذا تجـــلّت شموســـا وقـــام للّهـــو داع

فالروض يجلي عروسا قد سوّرت بشجـــاع

أشجارها مثل كلّه فالروض مطرح بذلّه له من النهر فروز فانظر إلى صنعة الله"[٣٦٧].

٤- ابن سناء الملك:

أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن المعتمد ابن سناء الملك، الملقب بالقاضي السعيد والمعروف بابن سناء الملك، شاعر مفتن أول من أدخل فن الموشحات إلى الشرق[٣٦٨]. ولد بالقاهرة في حدود سنة ٥٥٠هـ (١١٥٥) ونشأ وافر السعادة في أسرة غنية، وتولّى منصب القضاة كأبيه. قرأ القرآن على القارئ الشريف الخطيب ودرس الحديث واللغة والنحو من العلماء البارعين. فقد أفادته مخالطة

٣٦٧- صلاح الدين خليل الصفدي – الوافي بالوفيات، ج ١٨، ط ٢، دار النشر ١٩٩١، ص٣٧٨.
٣٦٨- ابن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق: جودة الركابي، ط ١، دمشق ١٩٤٩، ص: ٩.

هؤلاء العلماءُ، فبرع في العلوم الدينية والأدبية واللغوية. ولكنه منذ شبابه أظهر ميلا للشعر ولا سيما الموشح.

كان ابن سناء الملك يعجب بالشعراء الذين كانوا يهتمون بالصنعة وضروب البيان والبديع، ولذا كان يفضل من بين القدماء مثل أبي تمام والبحتري[٣٦٩]. ربطت ابن سناء منذ شبابه علاقة متينة بالقاضي الفاضل، فقد قال عنه: "هو الأستاذ وأنا التلميذ له والمتعلم منه". فكان يجتمع معه بالقاهرة وخارج مصر، ويعرض عليه آثاره ويتقبل ملاحظاته ثم يتناقش معه في أمور الشعر والأدب. هكذا يرحل ابن سناء إليه عدة مرات عندما كان القاضي الفاضل بدمشق، فيجتمع إليه ويتحدث معه حتى أخذا تبادل الرسائل والكتب. ويحتوي كتاب "فصوص الفصول وعقود العقول"على كثير من الرسائل التي أرسلها القاضي الفاضل إليه والرد عليها. هذه الصداقة أدت إلى نظم عدة قصائد مدح فيها ابن سناء أدب صديقه وفضله[٣٧٠].

وقد تمكن ابن سناء الملك من الإتصال بالسلطان صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية وحاشيته، فمدح صلاح الدين وأولاده وأخيه الملك العادل ووزيره ابن شكر.

ومن مؤلفاته : "روح الحيوان" وهو كتاب ملخص لكتاب الحيوان للجاحظ، وفصوص الفصول وعقود العقول، وديوان الشاعر- هو ديوان كبير يضم على ثمانية آلاف بيت، و "دار الطراز في عمل الموشحات" - هو من أشهر مؤلفاته، يبين كيفية نظم الموشحات وقواعد عروضها، ويشتمل موشحات الأندلسيين والمغربيين وتراجمهم المختصرة وموشحات ابن سناء الملك.

ومن موشحاته:

"بنت الكرم لها حسيس قد سمعته النفوس

٣٦٩- المصدر السابق، ص١٠.
٣٧٠- المصدر السابق، ص١٠.

منه نفسي تسمع أمره

بأن أمسي أشرب خمره

أُذكي حسّي منها بجمره

هذا عرْسي شربتُ سِرَّه

على رسمي تُجلى عروسُ لها الثيابُ كؤوس

يصغي ذهني يُجري أموري

على الحُسْن شربُ الخمور

أخت الدّن أم السرور

أجلو حزني منها بنور

يبدى نجمى منها الشموس قضبان بان تميس

وفي قسمي منهم غلام

أضنى جسمي فيه الغرام

فللضم منه القوام

وللشم وردٌ يُشام

وللثم عقد نفيس لثمي عليه حَبيس"[٣٧١]

وقال أيضا:

"هب نسيمُ الكاسْ كنكْهة النـــدِّ

يا طيبها أنفاس من جنة الخلد

فقل لغصن الآس يشربها عندي

وانسَ حديث الناس

فيها وهل تذكر وهل تشكر زمانا سر ودهرا مَر

٣٧١- المصدر السابق، ص١٠٤.

بَلا شَيْن وعيشنا راخي وحكمي ماضي حتى على الشمس

شمس من الإشراق تهزأ بالشمس

صيـرت العشـــاق بالهمّ في لبس

ويصبح المشتـاق فيها كما يُمسي

فكيـف بالأفـــراق

من طرفها الأحور فكم حير وكم أسكر وكم أسهر

وللحَين يرمي بأجراخ إلى أغراضي من أنفس الأنس"[٣٧٢].

٥- ابن النبيه المصري

كمال الدين علي بن محمد بن الحسن الملقب بابن النبيه المصري، أديب وشاعر بارع، ووشاح وزجال، مدح ملوك الأيوبيين واتصل بالملك الأشرف الأيوبي وكتب له الإنشاء.

ولد بمصر وعاش بها ثم انتقل إلى بلاد الشام، حفظ القرآن وبعض الأشعار، ثم أخذ يتردد على حلقات العلماء والأدباء وتفتحت ملكته الشعرية. تولى بمصر ديوان الخراج والحساب ومدح الملوك من بني أيوب ووزرائهم، ثم رحل إلى نصيبين وتوفي بها سنة ٦١٩هـ، وقال الملك الأشرف عند موته "مات رَب القريض". وله ديوان شعر مطبوع.

وموشحته في مدح الملك الأشرف:

"قل لمن يلوم في مهفهفٍ أسمر

غصنه قويم في كثيبه الأعفر

ثغره النّظيم مِسْكِر على سُكَّر

آه لو سقاني أطفى حرّ نيراني دُرَرٌ ثمينه في الياقوتِ مكنونَه

٣٧٢- المصدر الشابق، ص١٠٢.

ما أشدّ حالي إذا لم أر وجهك

بِنتَ يا غزالي ووكّلتَ بي ذِكرَك

طالتِ اللّيالي من بعدكَ يا أيبك

هل أراك داتيففرّحْ يا جاتي مُهجة حزينه في يديكمرهونه

تطيب الحميّا إذا كان ساقينا

واضحَ المحيّا كغُصن النّقا لينا

قال لي هنيّا فقل يا مغنينا

ليّن البنانِ محياه بستاني لو غضَّ جفونه جنيت رياحينه"[٣٧٣]

٦- شهاب الدين العزازي:

أبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العزازي، ولد بمدينة عزاز بالشام ونشأ هناك، ثم انتقل إلى مصر ممتهن التجارة، وبها توفي سنة ٧١٠هـ. كان أديبا وشاعرا بارعا، جيد النظم مكثرا فيه، وله يد طولى في نظم الموشحات، وله ديوان شعر مخطوط بدار الكتب[٣٧٤].

يقول في احدى موشحاته في الغزل:

"يا ولاة الحبّ إنّ دمي سفكته الأعيُنُ النُّجُلُ

أنا مالي بالعيون يدُ

لا ولا صبر ولا جلد

شفّني منهنّ ما أجد

فتكت بي فتك منتقم بسهام راشها الكحل

بت مشغوفا بحبّ رشا

٣٧٣- د.أحمد محمد عطا – ديوان الموشحات الفاطمية والأيوبية، ص٢٠٦.

٣٧٤- د. أحمد محمد عطا - ديوان الموشحات المملوكية في مصر والشام (الدولة الأولى)، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٩٩، ص٤٠٨.

بين حبّات القلوب نشا

قد براه الله كيف بشا

صنم ناهِيكَ من صنم حائرٌ في خدِّه الخَجَلُ

لاح بدرا وانثنى غُصْنا

وأغار الظبىُ حين رنا

خَصْرُهُ المَكْسُوُّ ثوبُ ضنا

كم إلى كم يدّعِى سقمى وهْوفي دعواه منتحِلُ"[٣٧٥]

٧- ابن نباتة المصري :

جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة الفارقيّ، ولد بالقاهرة سنة ٦٩٦هـ، كرّس حياته لطلب العلم ودراسة الأدب، وقراءة الشعر ونظمه، حتى أصبح واحدا من أبرز الشعراء المصريين، ولم يصل إلى أسلوبه في التصوير وانسجام العبارة ورقّة اللفظ أيّ شاعر آخر من بعده. اهتمّ بالشعر وبدأ ينظمه في الرابعة عشرة من عمره. وله عدّةُ موشحات، يقول فيها:

"أحبــتي وشبـــــابي هذا أوان شرابـــــــي

باكر خلاصـــة خمر مســـرّةً للنفـــــــوس

على أهـلّة فطـــــــر تحكـــــي شفاه الكؤوس

فــي كفّ ظبـــي كبدر في العرب نامي الغروس

إلى الخطا ذي انتساب عدمتُ فيهِ صوابـــــي

أَما ترى الريح تجنــى طيب الحـــــيوة لديها

وروضة الحسن يُثنــى وجه السحـــــاب إليها

يكـــاد ان يتغنـــــى وقـــــع الرباب عليها

٣٧٥- المصدر السابق، ص١٩.

فاستجلِ وجه السحابِ واطرب لوقع الرباب"[٣٧٦]

٨- ابن حجة الحموي

تقي الدين أبو بكر علي بن حجة الحموي الحنفي. شيخ أديب فاضل وشاعر جيد الإنشاء، ولد بحماة سنة ٧٧٧هـ ونشأ بها. وقصد دمشق ومدح أعيانها واتصل بخدمة نائبها، وزار مدينة القاهرة والتقى بعلمائها وملوكها، ثم عاد إلى موطنه حماة ولازم العلم والأدب حتى توفي سنة ٨٣٧هـ. ومن مؤلفاته بلوغ الأمل في فن الزجل.

ومن موشحاته :

"قالوا فلق الصبح لقد حاكاني بين الأفق

فاضرب بعصا الجوزاء هذا الجاني تحت الفلق

قرطاه بوجنتيه لما اتسقا قلبي خفقا

والثغر غدا بينهما مُنتشقا لما عبقا

ناديتُ وقد قبّلته حين سقى ريقا عبقا

قد كنت رفيع القدر في الأعيان مفتي الفرق

أصبحت مهتكا بلا كتمان بين الحلق"[٣٧٧]

٩- ابن حجر العسقلاني

أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد. محدّث وعالم، مولع بالأدب والشعر، لقب بشيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث. ولد على شاطئ النيل بمصر سنة ٧٧٣هـ من أصل شامي عسقلاني، له مصنفات كثيرة مشهورة في موضوعات مختلفة. وله ديوان شعر يضم سبع موشحات.

ومن موشحاته :

٣٧٦- فيليب قعدان الخازن – العذاري المايسات في الأزجال الموشحات، مطبعة الأرز جونية ١٩٠٢، ص٩.

٣٧٧- فيليب قعدان الخازن – العذاري المايسات في الأزجال الموشحات، ص٨٠.

"سقِمتُ من بعدكم فعودوا فما على محسن جُناح

عشقتُ بدرا بلا سِرار أفلحتُ في حبّه فلاح

بدْرٌ أنا في الهوى شَهِيدُهْ لمّا بسَيْفِ الجُفُونِ صَالْ

وَطَرْفَهُ والجَفَا وَجِيدُهْ ماضٍ ومُسْتَقْبَلٌ وحالْ

لوْ صَدَقَتْ باللّقا وُعُودُهْ مَا علَّلَ القَلْبَ بالمُحَالْ

رَأْيُ الّذِيلَامني سديدُ حقّ وحقّ الهوى صُراحْ

لكنّني لست بِاختياري يا عاذلي في هوى المِلاح

يا أمّي الحبيب الذي نُريدو لو زار كان ابركو صباح

لَمّنْ طرقْ أمسِ باب دارِي أخذْ قُليبي معُو وراح "[٣٧٨]

١٠- ابن عطار الحموي

شرف الدين بن العطار الحموي، أديب بارع متفنن، واحد من شعراء عصره ورؤساء زمانه. ولد سنة ٧٨٩هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٣هـ، وله عدة موشحات.

يقول في احدى موشحاته:

"يا من هجر المحبّ لا عن سبب إلاّ وصبي

سكن خفقان قلبي الملتهب المضطرب

واسكنه ولا تخف أذى من حرب يفديك أبي

لا تخشى إذا سكنت من جثماني حرّ الحُرق

واصبر سيفيض دمعي الطوفان تحت الحدق"[٣٧٩]

٣٧٨- ديوان بن حجر العسقلاني، تحقيق السيد أبو الفصل حالة، المكتبة العربية، حيدر آباد ١٩٦٢، ص١١٧.

٣٧٩- فيليب قعدان الخازن – العذاري المايسات في الأزجال الموشحات، ص٨٢.

الزجل في المشرق :

انتقلت الأزجال إلى المشرق بعد أن ازدهرت في الأندلس، ثم اشتهرت وانتشرت في بلاد المشرق ولا سيما في مصر والشام، ولاقت قبولا حسنا في مختلف الفئات الشعبية لسهولتها وتحللها من قواعد اللغة والإعراب، حتى قيل أنها صارت في القرن السابع مروية في بغداد أكثر مما هي في حواضر المغرب[٣٨٠]. فالمشارقة قد أولعوا بالزجل وأكثروا من أوزانه وتفننوا في إبداعه أنواع البديع، ومن أشهرهم علاء الدين بن مقاتل الحموي من أدباء الملك المؤيد والشيخ شمس الدين بن الصانع.

وقد بلغ شهرة الزجل شهرة عظيمة في عصر المماليك، وقد أبدع الزجالون في التعبير عن مكنون أنفسهم وتصوير واقعهم، والتغني بليالي الأنس والبكاء على الأيام الحلوة. ومن الزجالين المشهورين في المشرق: عبد الله الغباري وصفي الدين الحلي وابن النبيه المصري والوزير محمد بن عمر المعروف بابن المرحل.

وقد انتقلت الموشحات والأزجال إلى بلاد المشرق بعد أن ازدهرت في الأندلس ثم انتشرت في البلدان المشرقية، وأصبحت حيوية بنظمها ولحنها وغنائها حتى اليوم. والباب السادس يبين الموشحات والأزجال في العصر الحديث.

٣٨٠- مصطفى صادق الرافعي _ تاريخ آداب العرب، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ٢٠٠٠، ص١٣٢

الباب السادس

الموشحات والأزجال في العصر الحديث

الفصل الأول : الموشحات والأزجال في مصر

الفصل الثاني : الموشحات والأزجال في سوريا

الفصل الثالث : الموشحات والأزجال في لبنان

الفصل الرابع : الموشحات والأزجال في شعراء المهجر

الباب السادس

الموشحات والأزجال في العصر الحديث

في منتصف القرن التاسع عشر وصلت الموشحات إلى مجموعة من الفنانين المشتغلين بالغناء والمهتمين به، اتخذوها وساهموا فيها بالنظم واللحن، ولم يقتصروا على حفظ القديم بدون التجديد بل حملوا راية التجديد في هذا القالب، فظهرت موشحات جديدة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. ومن هؤلاء الفنانين محمد عثمان ملحن موشحة " ملا الكاسات" الذي أسهمت ألحانه القوية مع صوت عبدَه الحامولي[٣٨١]، وأصبح الموشح جزء هامّا في الألحان الموسيقية.

ظهرت في أوائل القرن العشرين باقة من الموهوبين مثل سلامة حجازي وداود حسني وكامل الخلعي حتى وصل إلى الموسيقار الشهير سيد درويش، وكان رائد الموشحات في العصر الحديث، ولكن المفارقة الكبيرة تمثلت في أن سيد درويش كان كخط النهاية في هذا الفن، فلم يتم تأليف أي موشح آخر بعده.

ازدهر في العصر الحديث اللحن والغناء للموشحات القديمة أكثرا من النظم، بدأ غناء الموشحات في أواخر الستينيات من القرن العشرين، كمادة تراثية عن طريق فرق إحياء التراث التي بدأت بفرقتين، هما فرقة الموسيقى العربية بقيادة عبد الحليم نويرة[٣٨٢] في القاهرة وفرقة كورال سيد درويش بقيادة الموسيقار محمد عفيفي[٣٨٣] بالإسكندرية، ثم ظهرت فرق أخرى كثيرة في مصر، خاصة في قوية لاستعادة التراث خلقت جمهورا جديدا من محبي الموشحات والفن القديم. وكثرت فرق الموشحات إلى حد وجود فرقة بكل مدينة، وظهرت فرق في

٣٨١- مطرب مصري ومجدد في الموسيقى العربية، ولد سنة ١٨٣٦م بمدينة طنطا.
٣٨٢- عبد الحليم نويرة (١٩١٦- ١٩٨٥) موسيقي مصري وقائد فرقة الموسيقى العربية.
٣٨٣- الفنان محمد عفيفي (١٩١٣ – ٢٠٠٣).

الجامعات لنفس الغرض، ثم بدأ غناء الموشحات بعد ذلك مطربون فرادى مثل فيروز وصباح فخري، وظهرت أجزاء من الموشحات كمقدمات لأغاني عبد الحليم حافظ وفايزة أحمد وآخرين[٣٨٤].

وأصبح للموشح وجود جديد له جمهور كبير واكتسبت الموشحات أيضا قيمة اجتماعية راقية نظرا للتطور الذي أدخل على طريقة الأداء في هذه الفرق موسيقيا وغنائيا، حيث اتسم الأداء بالدقة التي ساهمت في تصنيفه كفن من الذوق الرفيع. وانعكس هذا الإتجاه على الجمهور الذي أبدى انضباطا كبيرا وحسن استماع إلى عروض خصصت للموشحات، فإن الجمهور قد استجاب لشرط المنظمين دخول حفلات الموشحات بالملابس الرسمية كما ساهم في عودة الموشحات لاكتساب الجمهور شرقية ألحانها التي اشتاق الناس إلى الاستمتاع بفنونها بعد سنوات طويلة من التغريب والتجريب[٣٨٥].

٣٨٤- http://3olooom.yoo7.com/t96-topic

٣٨٥- https://www.middle-east-online.com

الفصل الأول

الموشحات والأزجال في مصر

وصلت الموشحات في العصر الحديث إلى مصر عن طريق الفنّان شاكر أفندي الحلبي، كان من أهل حلب وفد إلى مصر سنة ١٨٤٠م، قام شاكر أفندي بتلقين أصولها وضروبها لعدد من الفنّانين المصريين، فحفظوها بدورهم وأورثوها لمن جاء بعدهم، وممّن اهتمّ في الموشحات من مصر الفنّانون عبد الرحيم المسلوب ومحمد عثمان وعبده الحامولي وسلامة حجازي وداود حسني وكامل الخلعي وسيّد درويش.

هاجر الفنان أبو خليل القباني الدمشقي بعد وشاية حساده إلى الإسكندرية وشكّل فرقة الموسيقى، ولحّن للموشحات والأدوار، ومن أهم الموشحات التي لحّنها القباني هي: برزت شمس الكمال وحب سلمى قد دعاني والعيون النرجسية. وبعده يأتي الفنان صفر بك علي، فطالب بإلغاء الألفاظ التركية مثل يا لالي وأمان، ولحن كثيرا من الموشحات، منها موشح "يا قلبي من قال لك تعشق" من ابراهيم حسني.

وقد ازدهرت الموشحات المصرية في زمن الخديوي اسماعيل باشا وجاء الفنان الكبير الشيخ محمود صبح الذي مزج بين الأنغام المصرية والتركية التي انتشرت في عموم البلدان العربية. وظهرت هناك مدارس مصرية متعددة في الموشحات أهمها مدرسة الشيخ درويش الحريري وله موشحات كثيرة منها موشحة "حبي زرني ما تيسر". وله دور "أحب اشوفك كل يوم" الذي غناه الفنان محمد عبد الوهاب، وهو من نظم حسن بك أنور. ومن أشهر تلامذة الحريري الموسيقار أحمد صدقي الذي يعتبر من أحدث ملحني الموشحات. ثم أقبل المصريون على غناء الموشحات حتى وصل الموشح الغنائي إلى قمته على يد محمد عثمان الذي لحن وغنّى عدة موشحات.

بدأ المصريون على حفظة الموشحات، كانوا يقدمونها في الحفلات الخاصة والأيام الزفاف والمناسبات الاجتماعية الشعبية في فرق تسمى ب"الصهبجية"، فهم يجلسون في دائرة يتوسطهم ضابط الإيقاع عازف الدف وهو الرئيس، ويقدمون موشحاتِهم. هكذا انتشر الموشحات الغنائية على يد الصهبجية الذين هم بمثابة المدرسة المصرية الأولى في غناء الموشحات واستمرت إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ثم ظهرت مدرسة ثانية وكان رائدها محمد عثمان حيث نقلها مع عبده الحامولي من المقهى إلى المجالس الخاصة في القصور، واستبدلت بعض الألفاظ التركية مثل أمان أفندم، وجانم، ودوس، وعمرم، بألفاظ عربية مثل "يا ليل يا عين". ومن أبرز ملحني الموشحات الغنائية في مصر: محمد عثمان وداود حسني وزكريا أحمد وكامل الخلعي وسيد درويش وغيرهم[٣٨٦].

بالإضافة أن للزجل مكانة مرموقة في العصر الحديث، وهو نوع من الشعر العامي كالموشحات، وقد اختص به المصريون حتى يقال عنه الزجل المصري كما يقال المعنّى السوري. وظهر في في مصر باقة من الزجالين المشهورين وبرعوا في النظم والتلحين، ومنهم بيرم التونسي الذي لقب ب'أمير الزجل في العصر الحديث'.

الشعراء والموسيقيون الذين ساهموا في تطويرالموشحات والأزجال في العصر الحديث

١- محمد عثمان

هو ملحن ومغني ورائد من رواد الموسيقى البارزين، وعلم من أعلام الموسيقى المصرية. ولد في القاهرة سنة ١٨٥٥، شغف بالموسيقى في صغر سنه، وكان يقلد المغنيين ومنشدي الأذكار، فاكتشف والده هذه الموهبة وانضمّ إلى تخت[٣٨٧]

٣٨٦-http://kanouz.ahlamontada.net/t6916-topic

٣٨٧- التخت هو جوقة الموسيقيين والمغنّين.

قصطندي منسي[٣٨٨]، فدرس على يده العود والغناء. وبعد وفاة أبيه انضم إلى تخت علي الرشيدي حتى تعمّق في فن الغناء وأصبح له لون خاص في التلحين، فكوّن تختا خاصا به الذي بلغ من الشهرة ما قارب شهرة عبده الحامولي. ويعتبر محمد عثمان من تلاميذ الشيخ الشلشموني ومحمود الخضراوي، وكذلك تعلم من الحاج الرافعي وحسن الجاهل[٣٨٩].

كان صوته جهوريا رخيما شجيا، ولذا كان يشرك معه في معظم أحيان مساعد ذو صوت رفيع يغني معه في الجواب بينما هو يغني في القرار. وكانت ألحانه مميزة وأخذ عنه الحامولي عددا منها وأعاد صياغتها وفق مزاجه، وكانت المنافسة على أشدها بين الصديقين عثمان وحامولي، فكان يغني عبده الحامولي دورا بلحن ينفرد به ويغني محمد عثمان هذا الدور بلحن آخر[٣٩٠]. سافر عثمان مع عبده الحامولي إلى الآستانة وتعرّف على بعض جوانب صناعة الموسيقى التركية واستفاد من خبراتهم. توفي عثمان بعد رجوعه من آستانة في ١٩ ديسمبر عام ١٩٠٠م.

ترك محمد عثمان وراءه إرثا كبيرا من الموشحات والأدوار، بعضها ما زال حاضرا إلى اليوم. ومن موشحاته:

ملا الكاسات وسقاني:

"ملا الكاسات وسقاني نحيل الخصر والقد
حياة الروح في لفظه سباني لحظه الهندي
مليمي لا تسل عنـي ودعني على عهدي
أمـان يـا مليمـي

- أتاني زماني.

٣٨٨- عازف بيانو مشهور وملحن مصري، ورائد من رواد فن الموشحات.
٣٨٩- http://www.amar-foundation.org/muhammad-uthman/?lang=ar
٣٩٠- نفس المصدر

- اسقني الراح.
- هات يا أيها الساقي بالأقداح.
- حير الأفكار.
- يا غزالا زان عينه الكحل.

٢- سيد درويش :

موسيقي ملحن ومغنّي مصري، يعد رائد النهضة الموسيقية العربية الحديثة في مصر والوطن العربي. ولد في الإسكندرية سنة ١٨٩٢م، ابتدأ حياته بتلاوة القرآن وإنشاد الموشحات والقصائد النبوية.

تزوج سيد درويش في السادسة عشر من عمره وصار مسؤولا عن عائلته، فاشتغل مع الفرق الموسيقية ولكن لم يكف منها، فاضطر أن يشتغل عامل بناء. وكان خلال عمله يرفع صوته بالغناء الذي يثير إعجاب العمال، وتصادف وجود الأخوين أمين وسليم عطا الله وهما من أشهر المشتغلين بالفن، في المقهى قريب من الموقع الذي كان يعمل به سيد درويش، فأعجبا بصوته واتفقا معه على أن يرافقهما في رحلة فنية إلى الشام. وأتقن منها أصول العزف على العود وكتابة النوتة الموسيقية، فبدأت تتفجر موهبته الموسيقية.

وقد تميزت موسيقى سيد درويش بالتصاقها بالجماهير، فألف كثيرا من المقطوعات الحماسية التي أطربت الجماهير في عصره، وعبرت عن مشاعرها وحماسها الوطني، وأهم ماألف في هذا المجال النشيد الوطني الذي وضعه للحركة الوطنية.

ذاع صيته بالأوساط الفنية بالقاهرة والشام ولبنان وغيرها، وأصبح يغني وينشد في المقاهي والأفراح، وانضم إلى فرق سليم عطا الله وسلامة حجازي، أعجب سلامة حجازي جدا بصوته وألحانه وشجعه عليها وليقدمه للجمهور.

توفي سيد درويش سنة ١٩٢٣م، بلغ إنتاجه خلال حياته القصيرة من القوالب المختلفة من الأدوار والموشحات والطقطوقة ورواية مسرحية وأوبريت. وله عشرات أدوار وأربعين موشحات. ومن موشحاته:

- "يا شادي الألحان
- منيتي عز اصطباري:

منيتي عز اصطباري زاد وجدي والهيام

من لحاظك كم أداري من سيوف مع سهام

يا آل وُدي ساعدوني وآشرعولي في الغرام

إني مغرم حبي هاجر ناري تضرم قلبي صابر

كم يِيوعد ثم يخلف لم أخالف وهو يخلف

هو يخلف وإنت عارف

ولا أقولك ما علينا كن في حالك والسلام

- يا بهجة الروح
- حبي دعاني
- يا ترى بعد البعاد
- اجمعوا بالقرب شملي

٣- كامل الخلعي

محمد كامل الخلعي ملحن ومغن وخطّاط ورسّام وشاعر وأحد أبرز أعلام الموسيقى في مصر خلال القرن العشرين ، ولد بالإسكندرية سنة ١٨٨٠م وتعلم بالمدارس في القاهرة، بعد وفاة أمه هرب من منزله واشتغل بالتدريس وانضم

فـي فرقـة سـلامة حجـازي مـع المنشـدين، درس كامـل الخلعـي أصـول الغنـاء والتلحين على يد أبي خليل القباني وسلامة حجازي[٣٩١].

لحن الخلعي حوالي مائة موشح، لا يزال بعض موشحاته التي لحنها معروفا حتى اليوم. من أشهرها:

- حامل الهوى تعب زارني المحبوب
- هات يا محبوب كاسي
- يا راعي الظبا
- في هوى حاوي البها

في هوى حاوي البها ضاع مالي والنُهى
عنه رضوان سها حُور عين أم مَلَك
الهوى روض أغن والطلا سيف الحزن
بين أرباب اللسن نور الصفا قد أم لك
قيل في الورد ضحى أنت خد تحترق
كل حسن وضحا باللواحي تحت رق
كم وكم نظمي فتن من فتاة أو فتى
هذه ورق الفَنن ساجعات بالحِكم
والنغـــــــــــم من تآليف العجم "

٤- بيرم محمود التونسي

شاعر وأديب وزجال مصري من أصل التونسي، يعد واحدا من أبرز شعراء العامية وكتاب الزجل في القرن العشرين، وصفه النقاد ب'فنان الشعب'[٣٩٢] و 'شاعر العامية الأول'.

٣٩١- https://www.sama3y.net/forum/archive/index.php/t-1623.html

٣٩٢- خير الدين الزركيلي- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين – ج ٧، ص : ١٨٦

ولد محمود بن محمد مصطفى بيرم في حي الأنفوشي بمدينة الإسكندرية شمالي مصر يوم ١٢ آذار سنة ١٨٩٣م، لعائلة تونسية كانت تقيم فيها. وسمي التونسي لأن جده لأبيه كان تونسيا[٣٩٣]. وكان والده صاحب مصنع للحرير، وعندما بلغ الرابعة من عمره أرسله إلى كتاب الشيخ جاد الله، فحفظ بعض سور القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة و الحساب.

لم يستمر محمود في الكتاب طويلا بسبب كرهه لمادة الحساب، ولكن والده أصر على استكمال تعليمه فأرسله إلى المعهد الأزهري بمسجد المرسي أبو العباس بالإسكندرية، فانتظم في الدراسة لكن وفاة أبيه دفعته إلى تركها حيث كان الثانية عشرة من عمره للبحث عن عمل.

وبعد وفاة أبيه مر محمود بظروف صعبة، إذ لم يوفق في إيجاد عمل، وسرعان ما توفيت والدته بعد أبيه بخمس سنوات، ولم يكن يمتلك إلا بيتا من ميراثه فباعه واشترى آخر أقل ثمنا. تزوج وهو السابعة عشرة من عمره لكن زوجته توفيت بعد ست سنوات وتركت له طفلين محمد ونعيمة، فاضطر إلى زواج ثانية بعد ١٧ يوما من وفاة زوجته.

أحب بيرم منذ صغره الحكايات الشعبية فبدأ يقرأ قصص أبو زيد الهلالي وألف ليلة وليلة وعنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن وغيرها، وكان يحفظ بعض أبيات الشعر الموجودة في هذه القصص، وبدأت هوايته تظهر مع قراءة الأشعار ابن الرومي التي تعلم منها ومن غيرها روح الهجاء والنفد اللازع. وأيضا قرأ لأبي الحامد الغزالي والمقريزي وعبد الله النديم، وكان إعلان مولد موهبته الزجلية متزامنا مع قصيدته الزجيلة التي كتبها عن 'مجلس البلدي' يذكر فيها:

يا بائع الفجل بالمليم واحدة كم للعيال وكم للمجلس البلدي

٣٩٣- http://www.turess.com/alfajrnews/885

وقد أثارت هذه القصيدة ضجة واسعة في مدينة الإسكندرية بعد نشرتها صحيفة 'الأهالي'، مما دفع بيرم إلى إعادة طباعتها وتوزيعها منفصلة، حيث وزع منها مائة ألف نسخة. كانت هذه البداية الفعلية لظهور موهبته في كتابة الزجل والشعر العامي، وكانت أزجاله الأولى مليئة بالدعابة والنقد الاجتماعي وتعتمد على السرد القصصي، مما جعل النقاد يسمونه 'فنان الشعب'.

وفي عام ١٩٢٠م التقى بالفنان سيد درويش فاتفقا على كتابة "أوبريت" يعلي همة المصريين في مواجهة المحتلين الإنجليز، فكتب بيرم "شهرزاد" التي يقول في مقدمتها:

أنا المصري كريم العنصرين بنيت المجد بين الأهرمين

أغضبت قصيدته المعنونة " البامية الملوكي والقرع السلطاني" الملك فؤاد فأصدر أمرا بنفيه خارج مصر سنة ١٩٢٠م، واستمرت رحلته القاسية في المنفى ١٨ عاما وتنقل فيها بين تونس وفرنسا. عانى فيها آلام جوع القلب والغربة وفقدان الأهل والأصدقاء حتى نجح في العودة مرة أخرى إلى مصر في أبريل ١٩٣٨م بعد وفاة الملك فؤاد.

التقى بيرم بالفنانة أم كلثوم نهاية ١٩٤٠م فكتب لها أكثر من عشرين أغنية، من أشهرها 'أنا في انتظارك' و'الأولى في الغرام' و'حبيبي يسعد أوقاته' و'أهل الهوى' وشمس الأصيل والحب كده وهو صحيح الهوى غلاب والقلب يعشق كل جميل، كما غنى له مشاهير الطرب مثل فريد الأطرش وشادية والكحلاوي.

حاز على جنسية المصرية سنة ١٩٥٤م، وقدم لها العديد من الأغاني الوطنية والأزجال. وله آثار كثيرة ومنها ديوان الشعر يحتوي آلاف القصائد والقطع الزجلية القصيرة والطويلة، والأغاني والموشحات وصدرت أعماله الكاملة في ثلاثة مجلدات.

أصيب بمرض الربو وتوفي في ٥ كانون الثاني ١٩٦١م.

من أزجال بيرم:

زجله في منفاه:

أنا التهيت وخدل زندي مانيش نبي الله غاندي

إن كانت الغلطات عندي يكون في عون اللي عمَلها

إن كان على الملح أكلنا وإن كان على السجن دخلنا

والصوم نحلناه ونحلنا خلي اللي فاضل لرجالها

ياما انطحن شاعر قبلي واللوح كتب له اللي كتب لي

واشمعني شعرك يا غربلي خلاك تفوت من غربالها

أنا اللي ضلّيت ف جهادي وغشّني سحر الوادي

حدفت لنيل أولادي من بعد ما عمرو دخلها[٣٩٤]

ومن زجله أيضا:

"مرمر زماني يا زماني مرمر

البنت ماشية من زمن تتمخطر

والغفلة زارعة في الديوان قرع أخضر

يا راكب الفيتون وقلبك حامي

أسبق على القبة وسوق قدامي

تلقى العروسة زي محمل شامي

وأبوها يشبه في الشوارب عنتر".

٣٩٤- بكر، عبد الرحمن - الزجل والزجالون والصحافة الساخرة أبوبثينة.. أمير الزجالين، وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٨.

الفصل الثاني

الموشحات والأزجال في سوريا

وكانت سوريا أحد ثلاثة بلدان ترعرع فيها الموشح في المشرق العربي، إضافة إلى مصر ولبنان. وكانت حلب مهد إبداع الموشح في سورية الذي انتقل إليها بفضل جهود الموسيقي الحلبي الشيخ علي الدرويش الذي نقل إلى حلب التراث الموسيقي الأندلسي وبشكل خاصّ النوبات[٣٩٥].

وكذلك ازدهر الزجل في سوريا وحظي بمكانة متميزة لدى السوريين، وبرز منهم كثير من الزجالين البارزين. ومن أنواع الزجل السوري الشروقي وبغدادي وعتابا وميجانا والقصيد والقرادي والحداء ومعنى وغيرها. وكذلك تأسس في سوريا فرقات زجلية عديدة، فأول فرقة زجلية أسس عام ١٩٦٥ عن طريق فؤاد حيدر وعلي جمعة ومحمد التروزوري، وتأسس أيضا جمعية شعراء الزجل في مصر سنة ١٩٧١على هدف صون الشعر الزجلي والمساهمة في احيائه وحمايته وجمعه ونشره[٣٩٦]. وخصص بعض الشعراء من الجمعية برنامج أسبوعي باسم ندوة الزجل في إذاعة دمشق، كما تخصص برنامج تلفزيوني في التلفزيون العربي السوري.

بالإضافة إلى الموشحات السورية ظهر في حلب 'رقص السماح' هو أحد أنواع الرقص التقليدي الجماعي الحلبي، يرتبط بفنون الموشحات وألحانها، ويرتدي الراقصون والراقصات لرقص السماح الأزياء التاريخية. ظهر رقص السماح على يد الشيخ عقيل المنبج، وتطور على يد عمر البطش أنه قام بإدخال العديد من التغيرات لجعل رقص السماح أكثر مواكبة للعصر ولإخراجه من الزوايا والتكايا الصوفية إلى المسارح.

٣٩٥- جريدة الوطن، الإثنين ٢٠ حزيران ٢٠١٦، العدد ٢٤٢٢ السنة العاشرة.

٣٩٦- https://www.sana.sy/?p=398654

من الوشاحين والزجالين في سوريا :

١- أبو خليل القباني

هو موسيقي عبقري ومسرحي مبدع، ورائد المسرح الغنائي العربي ولد عم في ١٨٣٣. بداياته الموسيقية كانت في حلقات الذكر والزوايا الصوفيّة ومنها تعلم بعض الموشحات وتتلمذ موسيقيا على يد الفنان علي حبيب. ثم انتقل إلى حلب ليتعلم من الموسيقي أحمد عقيل وأتقن هناك الموشحات. وتقسم مسيرته الفنية إلى ثلاثة مراحل: الأولى من دمشق والثانية في القاهرة والثالثة من في دمشق من جديد.

ومن موشحاته:

'أفرغ الروض عليانا' و'اليوم يا بدري نزيل الهموم' و'آه من جور الغوالي' و'أي ظبي لوا عنى بعدا بالوصل تكرم' و'بالنهاوند الكبير' وبدر حسن لاح لي، وبرزت شمس الكمال، وراق أنسي، وشادن صاد قلوب الأمم، وشجني يفوق على الشجون، و صاح هات الراح، وعيد المواسم.

٢- عمر البطش

عملاق الموشح العربي في القرن العشرين، أبدع مجموعة بديعة من الموشحات إضافة إلى إبداعه في رقص السماح ولد عام ١٨٨٥ في حيّ الكلّاسة في حلب امتلك صوتا جميلا تتلمذ على يدى أقطاب الموسيقا في حلب مثل أحمد عقيل وأحمد مشهدي وأحمد الشعّار و صالح الجذبة. أهم مراحل حياته رحلته إلى العراق والعمل في فرقة الشيخ علي الدرويش الموسيقية والتدريس في دمشق في المعهد الموسيقي التابع لإذاعتها فتتلمذ على يده الكثير من الموسيقيين كعدنان وزهير منيني وسعيد فرحات وبهجت حسان. ومن أهمّ ما يمكن أن يُذكر أيضا سيد درويش تتلمذ على يد عمر البطش وتعلم منه أساليب تلحين الموشح وأوزانه

وإيقاعاته أيضا يمكن أن يذكر مرحلة تدريبه لكورس إذاعة حلب في غناء الموشحات مثل صبري مدلل وصباح فخري ومصطفى ماهر.

موشحاته: بين قاسيون وربوة، وحسنك النشوان، وداعي الهوى قد صاح، ورمى قلبي، وصاح قم للحان، وطف يا داري، ومفرد الحسن المبين، وفتاكة اللحظ، وياعيونا راميات، زارني تحت الغياهب، وسحبان من صور حسنك، وطار عمر الليل عندى، وطلعة البدر المنير.

٣- الشيخ علي الدرويش

مؤلف وملحن وباحث موسيقي عمل على تطوير الموسيقى العربيّة، وحفظ تراثها من الضياع من المواليد مدينة حلب، ١٨٨٤ بدايته كانت من تكيا حلب فحفظ الأذكار والأناشيد الدينيّة، ثم تعلم الموشحات على يدي الموسيقيين أحمد الشعار وأحمد جنيد. درس الموسيقى العراقية والتركية والفارسية، وبحث في الموشحات من عهد الأمويين والعباسيين والأندلسيين. ودرس رقص السماح وموشحات أبي خليل القباني. ومن أهم محطات حياته السفر إلى تركيا وإلى مصر والعراق وتونس والمشاركة في مؤتمر الموسيقى العربية عام ١٩٣٢ وجولته في أوروبا لاطلاع على الموسيقى هناك.

ومن موشحاته: يا ساكنا بفؤادي، وماش الأعطاف أزرى، وهل لمفتون العيون السود، ويا قاتلي بالتهديد، وآه من نار جفاهم.

٤- مجدي العقيلي

هو باحث موسيقي ولد في حلب ١٩١٧ وتعلم الموسيقى على يد الشيخ على الدرويش، وعمر البطش، وبكري الكردي. تعلم العزف على العود، وأحاط بالنغمات والأوزان الموسيقيّة وقوالب الغناء الغربي، ومنها الموشح، وصنع آلة موسيقيّة جديدة هي الغانغيران مصنوعة من الخشب ووجهها من الجلد، تجمع بين آلتي العود والفيولونسيل. سافر إلى روما وترأس القسم العربي في إذاعة

باري، وتعلم هناك قواعد وعلوم الموسيقى العربية. درس الموسيقى في مدارس حلب ودار المعلمين مدّة ٣ سنوات، ثم سافر إلى الأردن لتشكيل فرقة موسيقيّة للجيش، ثم عمل كمراقب موسيقي في إذاعة دمشق عام ١٩٤٧، ثم عيّن مديرا لإذاعة حلب عام ١٩٤٩، ثم مديرا للمعهد الموسيقى الشرقي في دمشق ومستشارا موسيقيا في التلفزيون العربي السوري.

ومن موشحاته: أيها الساقي، وجادك الغيث، وأيا دارها بالحزن، وطال ليلي، ولو كنت تدري.

الفصل الثالث

الموشحات والأزجال في لبنان

لبنان هو البلد الوحيد الذي كثر فيه عدد الزجالين، يوجد فيه آلاف من الزجالين، إن شعب لبنان كله يحب الزجل ويهتم به، وهم يرتجلون الزجل ارتجالا ويأتون فيه بمعان رائعة وأخيلة جميلة، يستوي فيه الرجال والنساء والشبان والشابات[٣٩٧].

وامتاز اللبنانيّون عن سواهم في الزجل أنّهم كَوّنوا فرقاً خاصة للزجل تجمع بين أعضائها أربعة زجّالين. ويكون رئيس الجوقة أقدمهم وأكثرهم شُهرةً وخبرةً في القول والإرتجال. هكذا خرجوا بهذا الشعرمن حيّز الخصوصيّة، أي خصوصيّة المناسبات الفرديّة، إلى حيّز العموميّة التي تتّخذه من المنبر ساعة لها. وانتقل الشعر الزجلي من المناسبة والهواية إلى الاحتراف، منذ تشكيل أول جوقة زجلية عرفها لبنان بمبادرة من جوقة شحرور الوادي عام ١٩٢٨، واشتهرت بشعراء ثبتوا فيها إضافة إلى الشحرور أسعد الخوري فغالي، كان هناك الشاعر علي الحاج وأنيس روحان وطانيوس عبده واميل رزق الله. مع هذه الجوقة وصل الشعر اللبناني إلى مصر. بعد ذلك انتشرت الجوقات في كل لبنان، ولم يكن للناس من سلوى يتجهون إليها غير الحفلات الزجلية في زمن لم يكن فيه تلفزيون أو فيديو أو حتى راديو، كانت الأيام شفهية. وبعد ما اتسعت الدائرة المرئية والمسموعة ظل الزجل على رونقه، ونجاحه في المهرجانات التي كانت تقام سنوياً، ويحضرها الآلاف، وقد شارك فيها أقطاب الزجل أمثال جوقة خليل روكز، وجوقة زغلول الدامور، وجوقة محمد المصطفى، وجوقة القلعة. ثم أتت فوضى الحرب اللبنانية، وانحسر الزجل في زمن التلفزيون إلى بعض الحفلات الصغيرة في القرى الجبلية.

٣٩٧- بكر، عبد الرحمن - الزجل والزجالون والصحافة الساخرة أبوبثينة.. أمير الزجالين.

أشهر الجوقات الزجلية في لبنان :

كان الشعراء يسعون إلى تأسيس جوقات زجلية، وترئس هذه الجوقات دلالة على مكانتهم الشعرية في المجتمع، حققت شهرة كبيرة ومنها ما هو مستمر حتى اليوم.

١. جوقة شحرور الوادي: تأسست في ١٩٢٨. وهي من أولى الجوقات، حيث راودت الشحرور فكرة وضمت في بدايتها الشحرور أمين أيوب، ويوسف عبدالله الكحالة، وإلياس القهوجي، ثم انضم إليها بعد ذلك علي الحاج، طانيوس عبده، وأنيس روحانا. بعد وفاته انضم إلى الجوقة حسب وصية الشحرور الشاعر أميل رزق الله، وبقيت الجوقة محافظة على أعضائها إلى تاريخ وفاة الشاعر علي الحاج عام ١٩٧١.
٢. جوقة بلبل الأرز: تألفت سنة ١٩٢٨، وأسسها وليم صعب الملقب ببلبل الأرز، وكان حينها في السادسة عشرة من عمره، بقيت حتى عام ١٩٣٧.
٣. جوقة كروان الوادي: تألفت عام ١٩٣١، وكان يرأسها الشاعر كميل خليفة الملقب بكروان الوادي، وظهرت على شاشة التلفزيون اللبناني بحفلات أسبوعية.
٤. فرقة زغلول كفرشيما: تألفت في عام ١٩٣٢، وكانت برئاسة ميشال القهوجي الملقب بزغلول كفرشيما، وبقيت حتى عام ١٩٦٥. وفرقة زغلول كفرشيما كانت منافسة لجوقتي شحرور الوادي والكروان.
٥. جوقة نسر المزرعة: تأسست سنة ١٩٣٤ ألف الشعراء أمين أيوب وإلياس القهوجي وسليم الفران ومتري الدَرَزي، هي جوقة زجلية دون أن يكون لها اسم وأحيوا العديد من الحفلات، وبعد فترة قصيرة أطلقوا عليها اسم 'نسر المزرعة' نسبة إلى لقب الشاعر متري الدَرَزي.

٦. الرابطة العاملية: تأسست سنة ١٩٤٣ برئاسة الشاعر علي الحاج البعلبكي.
٧. جوقة أهل الإذاعة: تأسست في سنة ١٩٥٥.
٨. جوقة الأرز: أسسها الشاعر حنا موسى سنة ١٩٤٤.
٩. جوقة زغلول الدامور: أسسها الشاعر جوزيف الهاشم الملقب بزغلول الدامور سنة ١٩٤٤.
١٠. جوق الجبل فرحان العريضي: تأسست عام ١٩٥٣ برئاسة فرحان العريضي.

يميز الزجل اللبناني بمحاورات زجلية تجري بين الشعراء. أما الحوار الزجلي حرب فكري له أصول وقواعد، فيها الهجوم والدفاع والمناورة والاستدراج[٣٩٨]، وكان خليل روكز مشهور بين شعراء الزجلية.

نموذج لمحاورات الزجلية بين خليل روكز وأنيس الفغالي[٣٩٩]:

خليل:

يا أنيس لا تذمني ولا تحبني

مشغول عقلي الشعر عارف شو بني

أنيس:

بالصيف حرمتك على نوم الغفا

وبعدك لهلك كل حكايتك جفا

٣٩٨- أسعد سعيد – الزجل في أصله وفصله، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعةالأولى ٢٠٠٩، ص : ١٨٣.
٣٩٩- المصدر السابق، ص : ١٨٤-١٨٥.

ع مجـــــالي مـــــش شـــــموخك رجعـــــك

مـــا كرهـــت درب الجـــرد لـــولا مـــن الحفـــا

خليل:

بصـيف وشـتى نحـن بنعـرف أنـت مـين

نقطـــة نـــدي بترنخـــك أربـــع ســـنين

تـــا أطلـــع علـــى الجـــرد مـــا عنـــدي حنـــين

وســـاعة مـــا بـــدي بطلـــع معلّـــي الجبـــين

أســـمى نبـــي ومـــن قبـــل كـــانوا الأنبيـــا

مـــــا يطلعـــــو ع الجـــــرد إلاّ حـــــافيين

أنيس:

تجـــاهلتني لكـــن أنـــا اســـمى عريـــق

ومـــن كبـــر عقلـــي هـــالحكي منـــك بطيـــق

بهنيـــك مـــا زال الـــوعي عنـــدك عميـــق

مـــن قبـــل مـــا كـــانوا الحفـــاة يبشّـــرو

وأنـــت حـــافي بـــس غيـــرت الطريـــق

أمّا الموشح في لبنان وهو نوع من الزجل اللبناني أطلق عليه 'الموشح الزجل اللبناني' أو القرّادي الموشح. فبنائه كالقرادي، فهو ينظم على تقاطيع وقواف معلومة بحيث لا يتقيد الناظم بقافية بل بقافيتين في المطلع والأدوار أما قافية الدور الأخير فتعود إلى قافية المطلع، ومثاله موشحة للشاعر طاليع حمدان:

خلّـــي الفستان البنّـــي المحروق يروق

البنّـــي مش أكتر منّي عليكـــي محروق

تاشعرك عطرو يدري عليـــي هـــادي

بحسّـــو طفل وعا صدري عـــم بيدادي

وتا ورد الحب العذري يحلى زيـــادي

مســـروقه منو مدري منك مســـروق

انتـــي الزهرة المخجولي قبال النحلات

وجداديلك مغزولـــي بلون العســـلات

وتا تكمشـــني جدّولـــي بين النســـمات

إرخي الجدولي وقولي من حدّي مروق

الموشح الزجلي لون محبّب كثيرا بين النّاس، وهو يدخل قلوب الجميع بلا استئذان، وغالبا ما يغنّى على المنابر في الحفلات الزجليّة، وموضوعه دائماً الغزل، فيتبارى الشعراء الأربعة أعضاء الجوقة بالتغزّل كلٌّ بحبيبته بشكل يثير إعجاب الجمهور، نظراً لوزنه الذي يمهّد للحنه الجميل. والموشح يسهل ويستحبّ تناقله وغناؤه لرقته ولحنه الشجيّ، وقد اعتمده الأخوان رحباني في

مسرحياتهم، وغنّاه مطربون كبار كفيروز ووديع الصّافي ونصري شمس الدين وغيرهم.

من أهمّ شعراء الزجل في لبنان :

خليل روكز

خليل روكز شاعر مبدع ومفكّر فيلسوف. أغنى الزجل اللبناني كتابة وارتجالاً وسما بالمنبر الزجلي إلى ذروة الكمال. ولد في وادي الليمون سنة ١٩٢٢. وكان له فضل تطوير المناظرات الشعرية بنقلها من صعيد العنتريات إلى صعيد الحوار الفكري البنّاء فتناول مختلف المواضيع وتصدى لأغلب المشكلات التي عاناها الإنسان في زمانه كما في كل زمان. ولا شك أن الخليل استطاع بموهبته الفذّة وسعة اطّلاعه أن يعالج كثيراً من المسائل الاجتماعية المهمة عارضا لها. توفي خليل روكز سنة ١٩٦٢.

زغلول الدامور

هو جوزيف الهاشم الملقب بزغلول الدامور، شاعر لبناني من أشهر شعراء الزجل، ولد في بلدة البوشرية قضاء المتن في لبنان سنة ١٩٢٥، ويعود أصل عائلته إلى بلدة الدامور الساحلية.

ارتبط اسمه بشعر الزجل وبدأ ينظمه من عمر التاسعة، كان تلميذا في مدرسة جديدة المتن، ينتظر فرصة الساعة العاشرة لكي يخرج إلى الملعب حيث كان يجلس تحت شجرة وفي يده ورقة وقلم ويكتب الشعر، وكانت هذه في طفولته. لما بدأ جوزيف بقول الزجل صاروا يقولون هذا الصبي مزغلل يعني زغير، وترسّخ لقب 'زغلول الدامور' وحلّ محل الاسم الأصلي، حتى أهله والجمهور ينادونه "زغلول".

وكان من رواد الزجل الذي اشتهرت بـه لبنـان ومنـاطق مـن سـوريا، اشـترك فـي مسابقة للزجل نظمتها الإذاعة اللبنانية عام ١٩٤٥ وربح المسابقة.

موسى زغيب

هو شاعر لبناني من أشهر شعراء الزجل الملقَّب ب "المَلِك"، وُلِدَ فـي حراجل عام ١٩٣٧. واعتلى المسرح حين كان في السابعة عشرة من عمره، وظلَّ رفيق الشاعر خليل روكز حتى وفاة هذا الأخيرعام ١٩٦٢. وبعده رئس جوقة "خليل روكز"، ثم غير الإسم إلى "جوقة القلعة" التي لا يزال رئيسَها. ويُعتبَر موسى زغَيب القُطب الأكبر في مباريات التحدّى بين الفِرَق الزجليّة في لبنـان. وهو يختـار خصـومَه بـرويّ، ولا يقبـل النِّـزال مـع أيٍّ كـان. وتقديرا لجهوده وشـعره المميَّـز منحتـه الحكومـةُ اللبنانيّـة وِسـامَ الاسـتحقاق اللبنـانيّ عـام ١٩٧٣، لِنَشـرِه رسـالةَ التُّراث اللبنـانيّ فـي لبنـان وجميـع بلـدان الاغتـراب. ويتميّزُ شـعرُ زغَيـب بـالعمق والصـعوبة. فهـو إنّمـا " ينحـتُ مـن صـخر"، مقارنًـا مـع الزغلـول الـذي وكأنّه "يغرف من بحر" لسلاسة تدفُّقه وسهولة انسياب أبياتـه وأُسلوبه السـهل المُمتنع. وموسى زغَيب خصمٌ عنيد وجبّارٌ صـنديد يُحسَبُ لـه ألفُ حسـاب علـى المنبر.

طليع حمدان

طليع نجيب حمدان معروف بأبي شادي وملقب بشاعر المنبرين، هو أحد شعراء المنبر الزجلي. ولد في قرية عين عنوب سنة ١٩٤٤. بدأ مسيرته الفنية عام ١٩٦٣، وكانت أول حفلاته مع الشاعر أبو علي زين شعيب، وهو من شعراء الزجل المشهورين. استمر طليع حمدان في جوقة زغلول الدامور حوالي عشر سنوات، وبعدها أسس جوقة الربيع سنة ١٩٧٥.

الفصل الرابع

الموشحات والأزجال في شعراء المهجر

لما تأثر شعراء المشرق بالموشحات والأزجال ونظموا فيها موشحات وأزجال جميلة، ظهر هذا التأثير والتجديد في شعراء المهجر، فكان رغبتهم في التخلص من قيود الوزن والقافية، فتطلعوا إليها ومالوا إلى استعمالها والإكثار من نظمها، كما أنهم افتنوا في صوره وأشكاله افتنانا تبتعد عن القواعد والقوانين التي وضعها الوشاحون الأندلسيون. وفي ذلك تقول الدكتورة نعيمة مراد: "وإنما اتخذوه وسيلة للتخفيف من قيود الوزن والقافية الموحدة، فتلاعبوا بأقفاله وأبياته حتى نجحوا في تقديم صور أكثر لطفا ورقة من الموشحات الأندلسية ذاتها، وهي مليئة بالأفكار والحيوية والرشاقة"[٤٠٠].

وقد ضمن دواوين شعراء المهجر موشحات كثيرة يحذون بها حذو الوشاحين، فتارة يأتون بموشحات ملتزمة بكل الشروط التي وضعها ابن سناء الملك للموشح، وتارة بموشحات غريبة وغير ملتزمة للشروط، وهذا النوع كثر في موشحاتهم. ومن ذلك موشح الياس فرحات، يقول فيه:

"عيناك عيناك يا غزالي قد خلتاني كما تشاء

سهران استعطف الليالي ولهان استنجد الماء

كم ليلة بتها أعاني بتها أعاني

حر الجوى وهو لا يطاق

أرونى إلى البدر وهو ران

٤٠٠- كوثر هاتف كريم – البناء الفني للموشح النشأة والتطوير، رسالة الماجستير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠٠٢.

حتى كأن على اتفاق

يا حلوة الثغر واللسان

كأس النوى مرة المذاق

جرعتنيها ولم تبـــــــالي اذلال من يعبد الأبـــاء

ما أرخص الأنفس الغوالى عند الغواني من النساء"[٤٠١]

فهذا الموشح من ناحية شكله موشح تام يشبه موشحات الأندلسيين لكنه يخرج عن قاعدة ابن سناء ذلك لأنه يتكون من أربعة أقفال وثلاث أبيات كما نظم ايليا أبو ماضي موشحا اقرعا متكونا من عشرة أبيات بعنوان 'متى يذكرالوطن النُوم' منه قوله:

"جلســـت وقـــد هجـــع الغـــافلون أفكـــــر فـــــي أمســـــنا والغـــــد

وكيـــف اســـتبد بنـــا الظـــالمون وجـــاروا علـــى الشـــيخ والأمـــرد

فخلـــت اللـــواعج بـــين الجفـــون وإن جهـــــنم فـــــي مرقـــــدي

وضـــــاق الفـــؤاد بمـــا يكـــتم فأرســـــلت العـــــين مـــــدرارها

ذكـــــرت الحـــــروب وويلاتهـــــا مـــــا صـــــنع الســـــيف والمـــــدفع

وكيـــف تجـــور علـــى ذاتهـــا شـــعوب لهـــا الرتبـــة الأرفـــع

وتخضـــــبت بالـــــدم راياتهـــــا وكانـــــت تـــــذم الـــــذي تصـــــنع

فبانـــــت بمـــــا شـــــيدت تهـــــدم صـــــروح العلـــــوم واســـــرارها"[٤٠٢]

٤٠١- د. محمد نعيمة مراد – العصبة الأندلسية، منشأة المعارف، مصر ١٩٧٧، ص : ١٩٢.

٤٠٢- https://www.startimes.com/f.aspx?t=10330776

كما استخدم المهجريون الموشحات المرتبطة باللازمة وهذه اللازمة تتكرر بألفاظها بعد كل مقطع من الموشح من ذلك موشح الشاعر رشيد أيوب يقول فيه:

"يا خليلي إذ شط المزار بفؤاد ماله غير الزفير

وهمي دمعي لدى ذكر الديار خلياني

عندما اجلس في الليل البهيم ونجوم الأفق فوقي سابحات

في فضاء عنده النفس تهيم خلياني"[٤٠٣]

كما أنهم نظموا الموشحات على شكل المقطوعات فيقسم الشاعر موشحته إلى مجموعات. تحمل كل مجموعة منها قافية مخالفة للمجموعات سواء أكانت مقطوعات ثنائية أو ثلاثية فمن الثنائيات قول ميخائيل نعيمة في الموشحة بعنوان النهر المتجمد من قوله:

"بالأمس كنت مرنّما بين الحدائق والزهور

تتلو على الدنيا وما فيها أحاديث الدهور

بالأمس كنت تسير لا تخشى الموانع في الطريق

واليوم قد هبطَت عليك سكينة اللحد العميق

بالأمس كنت إذا أتيتك باكيا سلّيتني

واليوم صرت إذا أتيتك ضاحكا أبكيتني"[٤٠٤].

ظهرت ألوان أخرى من التنويع الفني في صور الموشح فقد تنظم الموشحات على شكل مقطوعات أيضا لكنها تختلف عن المقطوعات الثنائية والثلاثية. وتكون هذه المقطوعة متكون من خمسة أبيات منها ثلاث أبيات في قافية متحدة

٤٠٣- كوثر هاتف كريم – البناء الفني للموشح النشأة والتطوير

٤٠٤- ميخائيل نعيمة – همس الجفون، الطبعة السادسة، بيروت لبنان ٢٠٠٤، ص : ٨.

واثنان في قافية متحدة لكنها مخالفة للثلاثة الأولى وهكذا تسير في باق المقطوعات وبقافية مختلفة عن المقطوعات الأخرى والأمثلة على هذا النوع كثيرة منه موشح بالأمس للشاعر جبران خليل جبران يقول فيه:

"كان لي بالأمس قلب فقضى وأراح الناس منه واستراح

ذاك عهد من حياتي قد مضى بين تشيب وشكوى ونواحي

إنما الحب كنجم في الفضا نوره يحمى بأنوار الصباح

وسرور الحب أحلام تزول عندما يستيقظ العقل السليم"[٤٠٥].

ولأبي ماضي موشح عنوانه أمة تفني وأنتم تلعبون نظمها على هذه الشاكلة من التقسيمات يقول فيها:

"أعلى عيني من الدمع غشاء أم على الشمس حجاب من غمام

غامض نور الطرف أم غارت ذكاء لست أدري غير أني في ظلام

ما لنفسي لا تبالي الطربا أين ذك الزهو أين الكلف؟

عجبا ماذا دهاها عجبا فهي لا تشكو ولا تستعطف

ليتها ما عرفت ذاك النّبا فالسعيد العيش من لا يعرف

لا ابتسام الغيد لا رقص الطلاء يتصبّاها ولا شدو الحمام

بالكرى عني وبي عنه جفاء أنا وحدي... أم كذا كلّ الأنام؟"[٤٠٦].

كذلك استخدم الشعراء المهجريون الموشح الذي يتألف من مقطع قوامه ثمانية ابيات تشكل قوافيها على النحو الآتي أب أب أب ج د ومن ذلك موشحة إيليا أبو

٤٠٥-كوثر هاتف كريم – البناء الفني للموشح النشأة والتطوير.

٤٠٦-ميرزا، زهير – ايليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر : شعر ودراسة، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣، ص : ٦٩٤.

ماضي متى يذكر الوطن النوم. وهذه الأشكال التي ظهرت للموشح عند شعراء المهجر كانت ذائعة ومتداولة في التراتيل الكاثوليكية في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر وقد تأثر بها كثير من الشعراء، كذلك يرجع إلى الثقافة الخاصة التي تلقاها هؤلاء الشعراء في المهجر الأمريكي فكان نعيمة ونسيب عريضة على سبيل المثال من مدرسة الروم الارثوذكس وجبران خليل جبران وباحوط كانا من مدرسة الموازنة وهذه المدارس كانت مرتبطة بنشاط الارساليات البروتستانتية والتأثير الكبير في الترانيم المسيحية والتي توضحت في الأمور الخاصة بالشعر المهجري وخاصة في استخدام الشكل المقطعي. وهناك صورة أخرى للموشح المهجري وهو المواكب ذات القوافي العشر لجبران خليل جبران وقال عنه الدكتور البصير إنه موشح معقد التركيب غريب في بابهيتألف من سبعة عشر دورا يتألف أحد عشر منها على وجه التالي: أربعة قافيتها الراء المضمومة دائما، وأربعة أبيات لها قافية أخري تتغير في كل دور، وبيتان قافيتها مغايرة لقوافي الأبيات السابقة أما الأدوار الستة الأخرى فهي على عدد الأبيات السابقة في ترتيب قوافيها، إلا أنه لا يلتزم عددا معينا في الأبيات التي قافيتها على الراء المضمومة ولذلك بلغت الخمسة في ثلاثة أدوار والستة في اثنين والسبعة في واحد. ثم اتبع هذه الأدوار المعقدة قطعة من بيتين متفقين في القافية، قطعة أخرى مؤلفة من أربعة أبيات متحدة القافية أيضا فسبع قطع يتألف كل منها من بيتين قافيتها موحدة كذلك تلي ذلك قطعة قوامها ثلاثة أبيات قافيتها الراء المضمومة والتي التزمت في كل ما يشبهها من الأبيات الموجودة في الموشح وهذا مقطع منها:

"وأفضل العلم حلم إن ظفرتبه وسرت ما بين أبناء الكرىسخروا

فإن رأيت أخا الأحلام منفردا عن قومه وهو منبود ومحتقر

فهو النبي وبرد الغد يحجبه عن أمة برداء الأمس تأتزر

وهو الغريب عن الدنيا وساكنها وهو المجاهر لام الناس أو عذروا

وهو الشديد وإن أبدى ملاينة وهو البعيد تداني الناس أمهجروا

ليس في الغابات علم لا ولا فيها الجهول

فإذا الأغصان مالت لم تقل هذا الجليل

إنّ علم الناس طرّا كضباب في الحقول

فإذا الشمس أطلّت من ورا الأفاق يزول

أعطني الناي وغنّ فالغنا خير العلوم

وأنين الناي يبقى بعد أن تطفي النجوم"[٤٠٧].

ولم يقتصر تأثير الموشحات والأزجال في البلدان المذكورة هنا ولكن شاع شهرتها إلى البلدان العربية الأخرى كالعراق والأردن والفلسطين وغيرها. فينظم الشعراء قصائدهم على منوال الموشحات والأزجال.

٤٠٧- جبران خليل جبران – المواكب، ص: ٢٩.

خاتمة

الأندلس تقع في شبه الجزيرة الأيبيرية. وهي معروفة بالفردوس الإسلامي المفقود بطبيعتها الخلابة وبقصورها الجميلة وحدائقها البديعة ومساجدها الشامخة التي فقدها المسلمون في سنة ١٤٩٢م.

فتحت الأندلس في عهد الخلافة الأموية على يد القائد طارق بن زياد والوالي موسى بن نصير سنة ٩٢هـ. واستمر حكم المسلمين فيها ثمانية قرون وحكمها في هذه القرون الخلفاء والولاة وملوك الطوائف وغيرهم. تقلبت خلالها بين قوة وضعف ووحدة وتفرق وعزة وذلّة. وسقطت الأندلس من أيدي المسلمين سنة ١٤٩٢.

انتشر الشعر العربي في الأندلس بعد أن استقر المسلمون فيها. وكان الشعر الأندلسى تقليدا للشعر العربي في المشرق في أغراضه ومضامينه، فقد برع الشعراء بنظم الشعر في جميع أغراضه التقليدية من الغزل والتصوف والزهد والحكمة والمدح والهجاء والفخر. ثم ظهر التجديد في شعرهم وطوروا على أغراضه وزادوا عليها رثاء المدن والممالك الزائلة وشعر الإستغاثة. فقد أحدث شعراء الأندلس فنّين جديدين اللذين لم يظهرا في بلاد المشرق. وهما الموشحات والأزجال.

ظهرت الموشحات لأول مرة في بلاد الأندلس في القرن الثالث الهجري. وهو نوع من الشعر العربي لا يختلف عن القصيدة إلا في تعدد قوافيه وتنوع أوزانه أحيانا. كما يختلف عنها أيضا في تسمية أجزائه.

والموشح يعد ثورة على الطريقة التقليدية التي تتقيد بوحدة الأوزان والقوافي. بحيث أنه يعتمد على أكثر من وزن داخل قصيدة الواحدة، كما أن أوزانه تنقسم إلى قسمين قسم جاء على أوزان أشعار العرب، وقسم لا مدخل لشيء منه في

شيء من أوزان العرب. وأمّا لغة الموشحات فهي عربية دون الخرجة التي تكتب بالعامية أو العجمية أحياناً.

اقتصرت الموشحات في أول ظهوره على غرض الغزل، بعد تطوره وشيوعه طرقت الموشحات جميع الأغراض التي عرفها الشعر العربي التقليدي. وظهرت أسماء لامعة في هذا الفن كلسان الدين بن الخطيب والأعمى التطيلي وابن سهل الأندلسي وغيرهم.

أمّا الزجل فهو فن مستحدث ظهر بالأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري. فقد ظهر بعد الموشح شبيها له في بنائه وأجزائه وأغراضه. وازدهر الزجل في القرن السادس الهجري بسبب عدم اتقان المرابطين اللغة الفصحى. فنظموه باللغة العامية بل مزيجا من اللغاة العامية. وقد مر الزجل بمراحل متلاحقة منها مرحلة الأغنية الشعبية التي كان أهل العامة بالأندلس يعبرون من خلال الأغنية الشعبية عمّا يعالجهم من عواطف وآراء ومعتقدات وأخلاق. ثم مرحلة الزجل المغرب وقد لجأ زجالو هذه المرحلة إلى النظم في إطار بحور الشعر العربي وبإتخاذ قافية واحدة. ثم مرحلة ابن قزمان التي امتازت بإنشاد زجل سهل الفهم. ومن أشهر الزجالين في هذه المرحلة ابن قزمان الذي قفز بالزجل إلى منزلة عالية، ثم مرحلة ما بعد ابن قزمان التي ازدهر الزجل بالزجالين الماهرين. ثم مرحلة سقوط الأندلس التي قلّ فيها عدد الزجالين.

بعد أن نضجت الموشحات والأزجال في الأندلس انتقلت إلى الأراضي الأوربية، واستطاعت أن تأثر في أدبهم، وكان ذلك في القرون الوسطى مع شعراء التروبادور. لقد تأثر شعراء التروبادور في شعرهم شكلا ومضمونا بالموشحات والأزجال الأندلسية.

وانتقل تأثيرهما إلى البلاد المشرقية وبرع كثير من الوشاحين والزجالين من المشارقة حتى في العصر الحديث.

أهم النتائج التى توصل إليها الباحثة :

- كان الشعر العربي الأندلسي تقليدا في الفترة الأولى للشعر العربي في البلاد العربية. ثم ظهر التجديد في شعرهم في مضموناته وأسلوبه وأغراضه. وظهر عند الشعراء الأندلسيين لون جديد من الشعر هو الموشح والزجل.
- الموشحات فنّ عربي أندلسي خالص، تختلف عن الشعر العربي بتعدد قوافيه وتنوع أوزانه. بعد ظهورها في الأندلس انتقلت إلى المشرق العربي. وكان انتقالها أولا إلى مصر، فإبن سناء الملك هو أول وشاح مشرقي الذي وضع قواعد الموشحات، وعلى يده عرفت الموشحات في البلدان العربية الأخرى.
- وللموشحات والأزجال أجزاء معينة معروفة بمصطلحات خاصة، وهي المطلع والدور والقفل والبيت والغضن والسمط والخرجة. فالخرجة هي أهمّ جزء في بناء الموشح.
- عالجت الموشحات الأندلسية معظم الأغراض التي عالجتها الشعر العربي التقليدي. بالإضافة إليها استحدثت أغراض أخرى كالحنين إلى الوطن والمكفّر والحبيبة المجهولة وغيرها من الأغراض الشعرية.
- الزجل هو ثاني فنّ مستحدث في الأندلس. وظهر أوّل مرّة في الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري، وإن أول من برع بفن الزجل الشاعر أبو بكر بن قزمان.
- إن لغة الأزجال لم تكن عامية خالصة بل هي مزيج من اللغات واللهجات العامية، فوجدت فيها العامية الأندلسية واللغات البربرية الرومانتية.
- فالزجل شبيه بالموشحة في تركيبها وبنائها وأجزائها وأغراضها. ولا تختلف عنها في تركيبها عن عناصر الموشحة ما عدا اللغة.

- وقد تطرق الزجالون إلى الأغراض نفسها التي اشتملت عليها الموشحات. لكن غلبت عليه مواضيع التغزل بالمذكر والمديح، وكما طوّر الزجالون في أغراضها واستحدثوا أغراضا أخرى كالمدائح الدينية والزهريات وغيرها.
- للموشح والزجل فضل في تطور الآداب الأوربية، وقد تأثر الشعراء التروبادور البروفنسيون في شعرهم بالشعر الأندلسي، خاصة بالموشحات والأزجال.
- وقد تأثر الشعراء المشرقية بالموشحات والأزجال، أمّا الموشحات المشرقية فكانت أغلبها تقليدية للأندلسيين واستعملوا الألفاظ االبدوية بشكل واسع.
- فالموشحات والأزجال مستمرة وحيوية بنظمها ولحنها وغنائها إلى اليوم. وقد حدث للغة الموشحات تطورا وتجديدا في العصر الحديث. وقد تميزت لغتهم بالرقة والعذوبة وخاصة في موشحات شعراء المهجر.
- يعد الموشح والزجل ثورة تجديدية في الشعر العربي التقليدي وسلك طريقته شعراء كثيرون في العصر الحديث.

المصادر والمراجع

١. ابـراهيم الأبيـاري، أخبـار مجموعـة فـي فـتح الأنلـس ، دار الكتـاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت.

٢. ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، دار المعارف ، ط ٢، القاهرة ١٩٨٥، ج١.

٣. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ١٩٩٧

٤. ابن حجة الحموي، بلوغ الأمل في فن الزجل، تحقيق رضا محسن القريشي، دمشق ١٩٧٤.

٥. ابن حجر العسقلاني، ديوان بن حجر العسقلاني، تحقيق السيد أبو الفصل حالة، المكتبة العربية، حيدر آباد ١٩٦٢.

٦. ابن حمديس، ديوان بن حمديس، رومية الكبرى ١٨٩٧.

٧. ابن خفاجة، ديوان بن خفاجة، شرحه وضبط نصوصه د. عمر فاروق الطبّاع، دار القلم ، بيروت، لبنان.

٨. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق ا. م . كاترمير، طبعة باريس ١٨٥٨،مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٢.

٩. ابن دحية عمر بن حسن، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبـراهيم الإبيـاري، د. حامد عبد المجيد، ود. أحمد بدوي، الأميرية ١٩٥٤.

١٠. ابن دراج القسطلي، ديوان بن دراج القسطلي، تحقيق الدكتور محمود مكي، دمشق ١٩٦١.

١١. ابن زيدون، ديوان ابن زيدون رسائله أخباره شعر الملكين، شرح كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة، ط١، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٢.
١٢. ابن سعيد، المغرب في حلى العغرب، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١١١٩، ج ١.
١٣. ابن سعيد، المقتطف من أزاهير الطرف، مستلة من كتاب " أعمال مهرجان ابن خلدون"، القاهرة ١٩٦٢.
١٤. ابن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق: جودة الركابي، ط ١، دمشق ١٩٧٧.
١٥. ابن عربي، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦.
١٦. ابن قزمان، الديوان، تحقيق ف. كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد ١٩٨٠.
١٧. ابن منظور، لسان العرب، بيروت ١٩٥٥.
١٨. ابن هانئ الأندلسي، ديوان بن هانىء الأندلسي، دار بيروت، بيروت ١٩٨٠.
١٩. احسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة، بيروت.
٢٠. أحمد محمد عطا، ديوان الموشحات المملوكية في مصر والشام (الدولة الأولى)، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٩٩.
٢١. أحمد محمد عطا، ديوان الموشحات الفاطمية والأيوبية، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠١.
٢٢. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، مطبعة دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١.

٢٣. أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط ١١، دار غريب، القاهرة، ٢٠١٠.
٢٤. أسعد سعيد، الزجل في أصله وفصله، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٩.
٢٥. بكر، عبد الرحمن، الزجل والزجالون والصحافة الساخرة أبوبثينة.. أمير الزجالين، وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٨.
٢٦. جبران خليل جبران، المواكب، https://www.kutubs.com
٢٧. حسّان عبّاس، الموسيقى التقليدية في سوريا، منظمة الأمم المتحدة.
٢٨. حسين مؤنس، فجر الأندلس، دار المناهل، بيروت، لبنان ٢٠٠٢.
٢٩. حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) دار الجيل، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥.
٣٠. خير الدين الزركيلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، ج ٧.
٣١. الششتري، الديوان، تحقيق علي سامي النشار، الإسكندرية ١٩٦٠.
٣٢. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف ، الطبعة السابعة ، القاهرة ١٩٦٩.
٣٣. الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، بيروت، ١٩٩٧.
٣٤. صفي الدين الحلي، العاطل الحالي والمرخص الغالي، تحقيق ولهلم هونرباخ، فيسبادن ١٩٥٥.
٣٥. صلاح الدين خليل الصفدي، الوافي بالوفيات، ط ٢، دار النشر ١٩٩١، ج ١٨.
٣٦. صلاح فضل، طراز التوشيح قراءة نصية حرة، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٤.
٣٧. طاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية، ط٣، دار المعارف، ١٩٨٧.

٣٨. عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلمي حتّى سقوط عرناطة، ط٢، دار القلم، بيروت ١٩٨١.
٣٩. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس،دار النهضة العربية، بيروت.
٤٠. علي ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف.
٤١. علي ابن سعيد، المقتطف من أزاهير الطرف، مستلة من كتاب " أعمال مهرجان ابن خلدون"، القاهرة ١٩٦٢.
٤٢. علي حسين الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠١.
٤٣. غوستان لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة ٢٠١٢.
٤٤. فوزى سعد عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية ٢٠٠٧م.
٤٥. فوزى سعد عيسى، الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٠.
٤٦. فيليب قعدان الخازن، العذاري المايسات في الأزجال الموشحات، مطبعة الأرز جونية ١٩٠٢.
٤٧. لسان الدين بن الخطيب، جيش التوشيح، مطبعة المنار.
٤٨. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٠.
٤٩. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، القسم الأول ، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧.
٥٠. محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٠.

٥١. محمد نعيمة مراد، العصبة الأندلسية، منشأة المعارف، مصر ١٩٧٧.
٥٢. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، بيروت، لبنان ١٩٨٦.
٥٣. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٠٠٠.
٥٤. مصطفى عوض الكريم، فن التنوشيح، بيروت، دار الثقافة، ط٢، ١٩٧٤.
٥٥. المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٨٨.
٥٦. ميخائيل نعيمة، همس الجفون، الطبعة السادسة، بيروت لبنان ٢٠٠٤.
٥٧. ميرزا، زهير، ايليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر : شعر ودراسة، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣.

الرسائل والأطاريح

٥٨. كوثر هاتف كريم، البناء الفني للموشح النشأة والتطوير، رسالة الماجستير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠٠٢.
٥٩. محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في الشعر التربادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، ٢٠١٢.
٦٠. مقداد رحيم، الموشحات في بلاد الشام منذ نشأتها حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٩٨٧.
٦١. نميش أسماء، الموشحات والأزجال وأثرها في الأدب الأوربي القديم: شعر التربادور أنموذجيا، رسالة الدكتوراه قدمتها في جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس عام ٢٠١٦.

المجلات

٦٢. إنسانيات: المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الإجتماعية، عدد١٧-١٨،٢٠٠٢م.

٦٣. جريدة الرياض، الخميس، ١٧ أبريل ٢٠٠٨م، العدد ١٤٥٤٢

٦٤. جريدة الوطن، الإثنين ٢٠ حزيران ٢٠١٦، السنة العاشرة العدد ٢٤٢٢.

٦٥. مجلة حوليات التراث، العدد ١٤، ٢٠١٤م.

٦٦. مجلة حوليات التراث، العدد ٤، ٢٠٠٥م.

٦٧. مجلة حوليات التراث، العدد٩، ٢٠٠٩م.

المواقع الإنترنت

1. http://www.3olooom.yoo7.com/t96-topic
2. http://www.alhayat.com/article/1894269
3. http://www.alriyadh.com/335295
4. http://www.amar-foundation.org/muhammad-uthman/?lang=ar
5. http://www.falih.ahlamontada.net/t273-topic
6. http://www.kanouz.ahlamontada.net/t6915-topic.
7. http://www.kanouz.ahlamontada.net/t6916-topic
8. http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/
9. http://www.turess.com/alfajrnews/885
10. https://abbassa.wordpress.com/poesie-des-troubadours
11. https://ar.wikipedia.org/wiki
12. https://www.middle-east-online.com
13. https://www.sama3y.net/forum/archive/index.php/t-1623.html
14. https://www.sana.sy/?p=398654

DECLARATION

This thesis "**Development of Arabic Poetry in Spain with special reference to Muwashah and Zajal**" is substantially my own work and has not been submitted for a higher degree to any other university or institution. I have indicated in this thesis the source of information used and extend to which the work of others has been utilized.

SOUDHABI K.P.

Place:

Date:

CERTIFICATE

Certified that this thesis titled "**Development of Arabic Poetry in Spain with special reference to Muwashah and Zajal**" submitted to University of Calicut for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic language and literature, is a bonafide record of the research work carried out by Saudhabi K.P. under my supervision and guidance. No part of this thesis has been submitted earlier for any other purpose.

Dr. K.M. Mohamed
Supervising Teacher
Department of Arabic
University of Calicut

Place:

Date:

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled **'Development of Arabic Poetry in Spain with special reference to Muwashah and Zajal'** submitted for the Degree of Doctor of Philosophy in the Faculty of Languages, University of Calicut is a bonafide study and research work conducted by **Soudhabi. K.P**, under my supervision and guidance. And also certified that no adjudicators have recommended any modification in the thesis and in the soft copy submitted by her.

Dr. K.M. MOHAMED
Professor of Arabic (Rtd)
Department of Arabic
University of Calicut

DEVELOPMENT OF ARABIC POETRY IN SPAIN WITH SPECIAL REFERENCE TO

MUWASHAH AND ZAJAL

Thesis submitted to the University Of Calicut
for the award of
Doctor of Philosophy in Arabic

by
SOUDHABI K.P.

under the supervision of
Dr. K.M. MOHAMED
Professor and Head (Rtd), Department of Arabic

UNIVERSITY OF CALICUT
2020